

وقصص أخرى من الهند



نظرات حائرة

نقلها إلى العربية وقدم لها
جلال السعيد الحفناوي

المشروع القومي للترجمة

نظرات حائرة
(وقصص أخرى من الهند)

نقلها إلى العربية وقدم لها :
جلال السعيد الحفناوى

مراجعة :
محمد أسلم إصلاحي



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

. العدد : ٣٣٨

. نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)

. جلال السعيد الحفناوى

. محمد أسلم إصلاحي

. الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت : ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax:7358084 E.Mail: G.ASF0UR@starnet.com.eg

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة

تقديم :

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة مختارة ومنتقاة من القصص القصيرة التي صدرت في شبه القارة الهندية في الخمسين عام الأخيرة ، وقد راعيت عند اختيارى هذه القصص أن أقدم نماذج من القصص القصيرة فى جميع أنحاء شبه القارة الهندية بداية من أقصى شمال الهند، وتوجد نماذجها فى قصص " آدم خان ودرخانى ، ومزرا صاحبان ، ومومل رانو ، وعمر ماروى " مروراً بمدينة دلهى حيث قدمت نماذج للقصة القصيرة فيها عند قرية العين حيدر " نظرات حائرة " وبريم تشاند " الكفن " و " جاء العيد " ، وتعد قصص بريم ماتشاند قمة النضج الفنى فى القصة القصيرة فى شبه القارة الهندية .

وقد قدمت نماذج للقصة القصيرة فى جنوب الهند عند فقير موهان سيتاباتي " العقار المسجل " و " ام. موكوندان - "

"الريف" وبشيشر بردايب "الشعر الطويل" وأوشا جون
"غداً سيكون يوماً آخر".

وقد راعيت في هذه المجموعة القصصية أن أقدم نماذج
لل قصة القصيرة في شبه القارة الهندية عند المرأة ؛ فقدمت
" ربة البيت " عصمت جفتائي "وغداً سيكون يوماً آخر"
لـ أوشاجون و " نظرات حائرة " لقرة العين حيدر .

أما قصة " الإهانة " لسعادت حسن منتو الذي ينتمي إلى
باكستان الحالية، فقد أوردت قصته هنا لعدة اعتبارات منها
أن قصته تمثل القصة القصيرة في شمال الهند بمعناها
الجغرافي واللغوي، وهي كذلك من القصص القصيرة
والشهير في الأدب الأردى .

وسوف يرى القارئ في هذه القصص تمثيلاً كاملاً
للقوميات والأعراف والأديان الهندية المتعددة؛ فمثلاً نجد
الزرداشتية ممثلة في قصة " نظرات حائرة "، والهندوسية
ممثلة في " الكفن " و " مالك البقرة "، والإسلام ممثل في
قصة " جاء العيد " .

وتمثل قصة " الريف " القيم الاجتماعية الخاصة بالريف
الهندي ، أما قصص " آدم خان درخاني ، ومزار صاحبان ،
ومول رانو ، وعمر ماروي " فهي تمثل الأدب الشعبي
الهندي في شمال الهند، وقد كتبت معظم هذه القصص باللغة
الأردية والهندية .

وأرجو أن تتال هذه المجموعة القصصية قبول القارئ
العربي، وتكون جسراً للتعاون الثقافي بين مصر والهند .

جلال السعيد الحفناوي

مدينة ٦ أكتوبر

٣ / ٢ / ٢٠٠٢ م

نظرات حائرة

قرة العين حيدر*

عينا تارا تتلألأ كالنجوم ، وتتنظر إلى كل شئ بعينون حائرة ، وفي الحقيقة إذا نظر أحد إلى وجهها لا يرى سوى عينيها الوامضتين ففي وجه تاراه ، لا توجد إلا هاتان العينان ..

وتارا نحيلة من الفقر ، فهي لم تبدأ العمل عند السيدة ألماظ خورشيد عالم إلا منذ بضعة أشهر ، وكان العجب يتملكها عندما تتطلع بعينيها إلى الفخامة من حولها في مسكن السيدة ألماظ حتى أن عينيها لا تقويان على التقاط الأنفاس من هول وأبهة ما ترى ، فلم تكن تارا تحلم بأن ترى تلك الرفاهية ..

تارابي أرملة قروية من قرية " جوراك بور " استدعاها خالها بائع اللبن إلى بومباي بعد وفاة حميها ووالديها، وكان هذا بعد بضعة أشهر من زفاف ألماظ التي رحلت عنها وصيفتها التي كانت قد أرسلت معها كعادة أهالي الهند في إرسال وصيفة مع العروس (فقامت خالة ألماظ وكانت على قدر كبير من الرقة والنظام بإرسال أخرى لتحل محلها عن طريق أحد مكاتب التوظيف المنتشرة في الهند .. برقت عينا تارابي عندما وصلت إلى ناطحة سحاب في كمب لاهيل في الطابق العاشر .. استراحت ألماظ إلى تارابي فقد كانت ذات

طابع يبعث على الاطمئنان، ولكن تارا احتجت عندما دعاها باقى الخدم بتارابى وقالت لهم ، هل ما أزال صغيرة ، ومنذ ذلك الحين أصبحوا ينادونها تارا بدلا من تارابى (... وكانت تارا دائما منهمكة فى عملها صامئة يتنقل نظرها دوما بين السيد والسيدة . ولو كان فى استطاعة ألماظ ألا تترك زوجها ولو لحظة واحدة لفعلت فهى لم تكن لتقبل أن تعمل فى منزلها وصيفة شابة ولكنها لم تعترض هذه المرة بعد أن رأت أن تارابى نحيلة خالية من الحيوية على اختيار خالتها لها . وكانت تارابى تحضر الشاى إلى حجرة النوم كل صباح.. وبأدب جم تلمع أحذية السيد وتكوى ملابسه وتسخن الماء لحلاقة ذقنه .. وكانت يداها تتلمس بانددهاش عجيب الأشياء الجميلة التى يحضرها سيدها من باريس بينما تزيل التراب عنها . وفى أول مرة نظفت تارابى فيها حجرة السيد أخذت وقتا طويلا فى لمس الكمان الموجودة فى أعلى الحجرة. ومنذ يومين ، كما اعتادت .. لمست الكمان بيد حانية ، وبينما تفعل ذلك دخل سيدها الحجرة غاضبا جدا وسألها لماذا لمست الكمان ؟ وانتزعه من يديها ورمأها به وأعادته إلى مكانه بأعلى الحجرة .. حينئذ سككت تارابى وتجمدت فى مكانها وامتألت عيناها بالدموع فخرج صاحب المنزل من الحجرة وامتلكه شعور بشئ من الخجل ووقف فى الشرفة حيثما كانت صاحبة البيت تشرب الشاى .

اعتادت ألماظ أن تقضى نهارها عند مصفف الشعر وصالون الجمال " مانيكير وباديكير " ... ترتدى كل يوم

سارى من الحرير الملون أفضل من الآخر وتختار العطور والزهور وتلك الأشياء التى يزخر بها صندوق ملابسها ..

أما تارابى فهى تفكر أن الله قد منح صاحبة المنزل المال والجاه والزوج الوسيم لكنه بخل عليها بالجمال .. فقد شاع أن صاحب المنزل كان يحتفى به فى مجتمعات السيدات المتمدينات لكن بعد زواجه أصبحت زوجته تضع العراقيل فى سبيل ارتياده هذه الأماكن والمجتمعات فإذا ذهب إلى المكتب فإنها تلاحقه بالاتصال مرارا حتى تتأكد من وجوده هناك ... وإذا خرج من البيت فى المساء فإنها تحرص على معرفة كل الأماكن التى يزورها وتتصل تليفونيا بكل مكان، وعندما يخرجان فى المساء لمقابلة بعض الأشخاص فهى تهتم بشدة بمن يقابل ، فمن المستحيل عليه أن ينظر إلى أية فتاة .. وخورشيد عالم يقابل كل هذا بالابتسام والرضا لأن زوجه ثرية جدا وقد حصل على عمله نتيجة ثراء حميه فهو الذى أعطاه عمله بعد أن كان فقيرا جدا قبل زواجه ، وكان قد ذهب فى بعثة إلى فرنسا لدراسة الهندسة وبعد عودته لم يجد عملا وكان مشوش الذهن عندما التقطته أسرة زوجه .. كانت تارابى تستمع إلى تلك القصص العجيبة عن هؤلاء الناس العظماء بالنسبة لها من شغالى الشقة كالطباخين والحمال، وكانت عيناها تلمع وهى تستمع إلى كل هذا ..

كان خورشيد عالم عازف كمان بارع لكن بعد زواجه انهمك فى الغرام إلى حد أنه فقد نفسه فلم يعد يلمس الكمان لأن ألماظ تنفر من صوت الكمان فهى تكرهه بشدة وهو

يشعر بأنه مدين لها لأنها أعطته العمل، ولأن حياته قد تبدلت بعد هذا الزواج والدين شئ يمكن أن ينسى الموسيقى موسيقاه وهو يضحى بها من أجل زوجه ...

كان خورشيد عالم قبل زواجه يسكن في بناء متهدم قديم وكان يبحث عن العمل أما الآن كمليونير يسكن في كسب لاهيل . وبالنسبة لرجل فإن الاحتفاظ بحالته الاقتصادية ربما أهم بالنسبة له من أى شئ آخر، ولذا فهو لن يعزف الكمان أبدا ..

حدث هذا منذ سنة ونصف وكانت ألماظ تسكن في بناء ضخم مع أبيها في مالابار هيل، وكانت اجتماعية جدا وبما أن سنها قد تقدمت فقد نفضت يديها عن الزواج ويئست منه، وقابلت خورشيد عالم في حفلة ما وكانت خالتها قد دبرت هذا اللقاء بعد أن عرفت أن هذا الشاب خورشيد من شمال الهند ، قد رجع من أوروبا يبحث عن عمل ولكن لا يقبل فكرة الزواج لأنه ترك في فرنسا فتاة ينتظرها . فركزت عليه خالة ألماظ ووظيفه والدها في إحدى شركاته مقابل ١٥٠٠ روبية ، ودعاه والدها مرارا إلى بيته فزادت اللقاءات بينه وبين ألماظ تلقائيا لكن الفتى لم يظهر أى اهتمام بالفتاة .. بعد عودته من العمل كان عليه أن يمضى وقتا عند ألماظ وبعد أن يمل من حوارها السطحى يتركها متجها إلى الشرفة التى اعتاد أن يتطلع منها إلى البحر وهو يفكر أن يوما ما " سفينتها " سوف تحط على هذا الشاطئ وسوف تنزل منها ويراها، فقد كان من المفروض أنها سترجع معه لكن شغلها

فى باريس لم يكن قد انتهى .. ويظل محدقا فى البحر وتلقت
إليه الماظ وتضع يديها برفق وتساله عما يفكر فيه ولكنه
يكتفى بالابتسام بشئ من الخجل .. وفى أثناء العشاء يتحدث
مع والد الماظ فى الأمور السياسية والاقتصادية ثم يعود إلى
مسكنه الفقير وهو متعب فيخرج الكمان ويعزف الألحان التى
عزفها معها فى باريس، وكان يتراسلان فيما بينهما وفى
رسالته الأخيرة أخبرها بأنه حصل على عمل جيد فى
بومباى نفسها ، أما الأشواك المتعلقة بهذا العمل فلم يشر إليها
مطلقا ، هكذا مضت سنة ولم يذكر شيئا عن الزواج من
الماظ الذى لم يظهر فيه أية رغبة لكن الخالة فكرت أنه من
الأفضل أن تتكلم هى عنه بصراحة .

فى هذا الوقت جاءت برقية من أحد أقربائه بأن والده
مريض جدا فحصل على إجازة وذهب لرؤية والده . ولم
تمض أيام كثيرة على رحيله ، وكادت الماظ تياس من فكة
الزواج منه، وخرجت مع صديقاتها للاستماع إلى عزف
بيانو المائى فى معزف تاج محل، وكالمعتاد اجتمع رهط من
الناس فى الحجرة البلورية .

وكانت هناك فتاة مجوسية ذات عينين باهرتين الجمال
توزع برنامج الحفل الموسيقى، قامت إحدى السيدات بتقديمها
إلى الماظ قائلة الانسة باروتشا دستور ثم ولت عنها، وكعادة
الماظ تفحصت الفتاة بانتقاد وكانت الفتاة جميلة "للغاية"
وعادت الماظ وسألتها بترفع : ماذا قلت عن اسمك .. ردت

الفتاة ببساطة باروتشا دستور . فقالت ألماظ : أنا لم أشاهدك من قبل فى أية حفلة موسيقية .

فأجابت باروتشا : لقد عدت فقط من أسبوع بعد أن قضيت سبع سنوات فى باريس .

- إذن أنت تتكلمين الفرنسية بطلاقة .. ولم يعجب هذا ألماظ خورشيد عالم .

- أجابت : نعم (وكانت تضحك) .

- فى هذه اللحظة كان كبار الضيوف يتجهون نحو عزف البيانو .

قالت باروتشا : معذرة .

ثم بدأت فى الحديث مع سيدة إنجليزية فى تفاصيل فنية عن الموسيقى، وفى هذه اللحظة أيضا جاءت ألماظ لتصطدم معها مرة أخرى بينما بدأ البوفيه فى تقديم المشروبات

قالت باروتشا لألماظ تعالى نجلس هنا ..

وبقرب الناقة جلستا على مائدة فى مواجهة إحداهما الأخرى، ثم قالت ألماظ: تبدين كخبيرة فى الموسيقى الغربية.. حيث إنها لا تستطيع تحمل الفتيات الجميلات صغيرات السن .

قالت : نعم لقد ذهبت إلى باريس للدراسات العليا في فن البيانو . بدأت الماظ في القلق وتواردت الخواطر عليها منبهة بعلامات الخطر، نظرت في الخارج على البحر ومياهه الزرقاء الصافية وقالت: يا له من أمر مثير عندنا بيانو أيضا تعالى يوما ما لتعزفي عليه ..

قالت : بكل سرور .. سوف أحضر

قالت الماظ: ماذا تفعلين في يوم السبت؟ عندي حفلة ، وصديقتي سيكن سعيدات جدا بلقائك .

ثم أضافت: أين تعيشين ؟

فأعطتها باروتشا عنوان حي في تارديو وعندما قالت ذلك اطمأنت الماظ إلى أن المكان يسكن فيه الفقراء فقط .

واستطردت باروتشا : أنا أسكن مع عمي فقد توفي والدي وليس لي أخوة وقد رباني العم فليس له أولاد . والعم موظف في بنك ، كانت تروى قصتها بسهولة لأنها كانت بسيطة، وبعد الحديث القصير نظرت إلى البحر وقالت فجأة: عندما اقتربت سفينتي نحو الشاطئ في الأسبوع الماضي انتابني إحساس أنني مثل الأجانب بعد كل تلك المدة التي غبتها وأن هذه المدينة قاسية كما تعرفين يا الماظ .. والأصدقاء المخلصون من النادر أن نجدهم لكنني محظوظة جدا أن قابلتك اليوم . أومات الماظ برأسها وسألت كيف ذهبت إلى باريس ؟

قالت : ذهبت فى منحة وبعد أن نلت شهادة عازف البيانو بقيت فى كلية الموسيقى أقوم ببعض الأبحاث والدراسات ، كنت سعيدة هناك .. لكن كان عمى وحيدا هو وعمتى وهما كبيران فى السن وأصبحت عمتى صماء فرجعت من أجلها وعلاوة على هذا ..

قاطعهما شخص ما قائلا : أهلا ألماظ .. أنت تجلسين هنا؟ إن السيدة مالجمونيكر تدعوك ..

ولم يكتمل حديث باروتشا .. اعتذرت ألماظ وقالت إنها سترسل السيارة يوم السبت فى الساعة الحادية عشرة ثم نهضت واختفت فى الحفل .

وفى يوم السبت وصلت باروتشا إلى بيت ألماظ حيث كان الحفل فى أوجه، كانوا يديرون موسيقى الخنفس Beatels وبعض الفتيات اللاتى اشتركن فى عرض الازياء كن يتحدثن عن هذا العرض، وكن جميعا يتحدثن بالإنجليزية حتى يبدن وكأتهن من النخبة وكن يرتدين البنطلونات السترتش بدلا من الزى الهندى، وفكرت باروتشا لبرهة أنها لم تعد فى الهند فكان الجو لا يوحى بذلك وكانت برروتشا تنتمى إلى طائفة تحاكي الغرب لكنها بعد سنين فى أوربا أدركت أن الناس فى الغرب ينظرون بالأسى للنساء الهند اللاتى يحاكين الغرب وعاداته بدلا من التمسك بالتقاليد الهندية كما تبدو فى لوحات الأجناتا الحية ..

لهذا السبب كانت باروتشا تتمسك بالزى الهندى الصميم
وعندما رأت هؤلاء الفتيات تركتهن وذهبت إلى الشرفة
تتطلع إلى البحر ورأت هذا البرج "برج الصامتين" ^(١) وعندما
نظرت إلى السماء رأت النصور تدور حول البرج، وساد
الجو صمت ، صمت مخيف فارتعشت وعادت إلى الداخل
وجلست على أحد المقاعد .. وكان فى ركن الحجرة بيانو
كبير وكانت فتاة قد أدارت أسطوانة هارى بيلافوننت
والصوت يملأ المكان .

" فى الطريق لعدة أيام الليلي السعيدة "

" الشمس تسطع يوميا على قمم الجبال أخذت رحلة على
سفينة مبحرة "

" وعندما وصلت جامايكا وقفت ولكن اليوم حزين أنا فى
طريق "

" ولن أعود لعدة أيام لأترك فتاة صغيرة فى كينجز تاون ."

الماظ ذهبت إلى الشرفة صامتة وبعد انتهاء الاغنية قالت
لباروتشا: نحن غير مثقفين للغاية ، بينما عازفة بيانو ملهرة
موجودة نستمع إلى الاسطوانات .. هيا بنا ..

^(١) يوجد " برج الصامتين " فى مدينة بومباى فى الهند . وينتمى لطائفة
المجوس الذين يأتون بموتاهم ويضعونهم أعلى هذا البرج حيث تنهشهم
الطيور الجارحة طبقاً لعقيدتهم. (المترجم)

باروتشا جلست أمام البيانو : ماذا ألعب ؟ أنا أعرف فقط الموسيقى الكلاسيكية.

قال الجميع : أوه .. لا .. بوب .. نحن نريد موسيقى بوب .

حسنا .. فلتعزفي أغنية هندية على الأقل .

قالت : لا أستطيع فأنا لا أعرف الأغاني الهندية .. لكن أستطيع أن أتذكر غزلا علمنى إياه .

ثم أطرقت قليلا ولم تتكلم .. فسخرت منها إحدى الفتيات وكانت لغتها الاردية قائلة : أوه .. الآن ستعزفين شعرا بالأردو ، فعزفت ببطء على البيانو نغمة أثارت الإعجاب .

قالوا لها : غنى معها . . (صاحت كل الفتيات) .

قالت : لا أستطيع أن أغنى لأن نطقى بالأردو ليس جيدا.

قالوا : قولى على الأقل الكلمات ونحن سنغنى .

قالت باروتشا : هكذا تجرى الأغنية ..

أنت أمامنا .. قل أين أنت .. كيف أنظر إليك

أنظر إليك بين حين وآخر ولكنى لا أجدك

شاركت البنات قائلات .. أنظر إليك بين حين وآخر

وبدأوا فى التصفيق .. الآن نريد شيئا غريبا

قالت فتاة : فتاة فى رؤيا لشوبان .

قالت باروتشا : هذه الاغنية كنا نلعبها أنا وخطيبى وكان يصاحبنى بالعزف على الكمان .

خطيبك أيضا موسيقار .. سألت إحدى الفتيات .

قالت : هو ليس محترف ولكنه هاو .. وبدأت فى العزف ..

فى الأسبوعين التاليين .. عقدت ألماظ صداقة عميقة مع باروتشا، وفى هذه الأثناء حصلت باروتشا على عمل فى إحدى الكليات لتدريس البيانو وكان العمل سيبدأ بعد انتهاء الإجازة .

وكانت تدرس لفتاة أمريكية ثلاث مرات أسبوعيا .. فكلن عليها أن تجد بعض العمل .. وكان هذا الأمريكي والد الفتاة قد ماتت زوجته ولكى ينسى حزنه أتى إلى بومباى مع أطفاله وكان ينزل فى فندق الشمس والرمال Sun & Sand وكانت " بارديو " بعيدة عن هذا الفندق لكن الأمريكي كان مقدرا لذلك فكان يعطيها راتبا جيدا وكانت باروتشا سعيدة جدا بحياتها . وبعد أيام كان من المتوقع أن يعود " هو " من بلده إلى بومباى ولم تشأ باروتشا أن تخبره بأنها رجعت وبدأت فى العمل .. لأنها كانت تريد أن تفاجئه .

وفى أحد الأيام كانت باروتشا تنتزه مع ألماظ وفجأة
سألته ألماظ عندما وصلوا عند نافورة : أين تعلمت تلك
الأغنية ؟

قالت : أوه .. فى باريس .

- باريس ؟ .. من الذى علمك ؟

- خطيبى ... " قالت "

- أوه .. باروتشا أنت تحتفظين بالأسرار بخبث .. أنت
ماكراة! لم تخبرينى حتى الآن .. أنه من طائفتك .. ها
حقا ؟ وجلست ألماظ على حافة النافورة. قالت باروتشا:
كان أبى تقليديا لكن عمى مستنير فسمح لى

- ما اسم الخطيب؟

هناك قصة مثيرة غريبة عن الأسماء .. خورشيد عالم
وقع فى الحب بسبب عينيها فعندما رأى عينيها اللتين تشبهان
زهرة النرجس .. عندما قابلها فى سفارة الهند بباريس أول
مرة وقدمها أحدهم قائلا : هذه باروتشا .

قال خورشيد عالم فى شقاوة : بل يجب أن يكون اسمك
نرجس ، قالت : نرجيش ؟ هو اسم عمتى ، لا حول ولا قوة
الا بالله قالها خورشيد بدون تردد كأنه عرفها منذ زمن .

- نرجيش ، باروتشا ، خورشيد لقد أخذتم الأسماء
الإيرانية ..

هل تسمحين لى بأن أدعوك فيروزا ؟ هل هناك ما يمنع؟
قالت : أبدا لا، وضحكت باروتشا .

ومرة أخرى على ضفة النهر قال خورشيد عالم وهو
يمشى :

عيونك الجريئة .. عيونك المثيرة

تتألأ كالحورية كالشهاب الثاقب

مثل الماس والجواهر ... مثل الضحى كرزاذ المطر

فزهور النرجس تبدلت إلى عيونك ..

سألته ألماظ ما اسم هذا الشخص ؟

انتبهت باورتشا إلى صوتها الجاف .. خورشيد عالم -
قالت هذا بعد سكون للحظات ارتجفت باروتشا ونظرت إلى
ألماظ وهي تقول : يا لها من مصادفة غريبة باروتشا ، اسم
خطيبى أيضا خورشيد عالم ويعزف على الكمان ورجع من
باريس أيضا وفي هذه الأيام ذهب لمقابلة أبيه فى بلده .

برقت سماء أغسطس بعنف لكن لم يلاحظ أحد هذا البرق
الخاطف الذى وقع على باروتشا دستور .. سكنت لبرهة . ثم
نظرت إلى المبنى الفخم وفكرت فى بيتها الحقيق فى تارديو

.. برقت السماء مرة أخرى فأضاء البرق جزءا من
مالابارهيل وفجأة فهمت باروتشا كل شيء ولماذا لم يذكر
خورشيد عالم شيئا في رسائله عن ألماظ ولم يذكر شيئا عن
الزواج .. قامت ببطء وقالت بهدوء : حسنا ألماظ مبروك
عليك الخطبة مع السلامة .

هل تذهبين باروتشا ، سيارتي ستوصلك .. أيها السائق،
تكلمت ألماظ بسكون ((لا شكرا)) قالتها باروتشا وهي تكاد
تركض إلى الباب .. ومن الناحية الأخرى جاء الأتوبيس
وتوقف .. عبرت الشارع وقبل أن تدخل الأتوبيس وقفت
وكانت تنظر إلى الباب والمطر ينهمر بغزارة، وكانت أوراق
أشجار النخيل تتدلى وبسرعة جذبت نفسها مبتعدة عن الطين
وقفزت في الأتوبيس .

بعد ثلاثة أيام وصلت ألماظ رسالة من خورشيد عالم كتب
فيها أن والده مريض جدا ولذا لا يستطيع العودة سريعا .

ثلاثة أيام بعد هذا الحدث وصلت رسالة خورشيد عالم إلى
والد ألماظ قال فيها أن أباه مريض بشدة ولهذا السبب طلب
إجازة أطول .

كان خورشيد عالم قد أخبر أباه أنه لن يتزوج من ألماظ
ولكن ينوى الزواج من فارسية مما أحدث لأبيه صدمة شديدة
كانت سبب ما ألم به من مرض وكان هذا ما لم يخبر به والد
ألماظ في الرسالة ..

وكان واضحا من رسالته أنه كان شديد القلق لدرجة أن
الماظ ردت على رسالته بنفسها .. وقالت له : يمكنك أن
تتغيب كما تشاء ، فأبى لا يعتبرك غريبا ونحن نشاركك فى
آلامك وقلقك .. فلماذا لا تحضر أباك إلى بومباى للعلاج ؟

وقالت له : لقد ذهبت أمس إلى السباحة فى فندق " صن
آند ساند " وقابلت هناك فارسية مثقفة جدا تدعى باروتشا
دستور تعزف على البيانو وعادت مؤخرا من باريس وأظن
أنها صديقة لشاب أمريكي وتقيم معه فى " صن آند ساند "
أكتب لك هذا عنها لأنك ربما قابلتها فى باريس ..

وقالت : الآن أحضر أباك .. أرسل برقية حتى نحجز
غرفة له فى مستشفى بريتش كاندى .. المخلصة الماظ .

فى المساء وقف التاكسى عند منزل قديم فى تارديو ونزل
منه خورشيد عالم وعندما أخرج مفكرته نظر إلى العنوان
ووضع قدمه على السلم الذى كان منغرسا قليلا فى الرمال .

فى الداخل .. فى حجرة مظلمة رأى عجوزا فارسيا
يرتدى بنطلونا أبيض متسخا وصديريا وقبعة مستديرة حول
رأسه يحيط الزنار ، وكان يدعو ببعض الأدعية . وفى جانب
يوجد كرسي متسخ مريع وفى المنتصف مائدة بلاستيكية غير
نظيفة ، وعلى الحائط صورة كبيرة لزرادشت ورائحة قوية
لجوز الهند والسّمك تملأ المكان ..

عجوز فارسية ترتدى ساريا أحمر من الجورجيت تربط رأسها بمنديل وكانت تهز رأسها يمينا ويسارا .

سأل : هل الأنسة دستور موجودة ؟

قالت : باروتشا ؟ وكانت تنظر إليه بعينين ضعيفتين وأجابت: باروتشا ؟ صن آند ساند .

قال : ماذا ؟ هل انتقلت الأنسة باروتشا إلى هناك .

هزت رأسها بالايجاب ..

قال: مع من ؟ مع من ؟ قالها خورشيد عالم بارتباك..

دخلت إلى الحجرة وأحضرت كارت زيارة وأعطته لخورشيد عالم فى يده وكان مكتوبا عليه اسم أمريكى .

هل أنت السيد خورشيد عالم؟ لقد ذكرت باروتشا أنك ستجئ ، وإذا جئت تسأل عنها يجب على فوراً أن أتصل بها تليفونيا وأخبرك أين هى .. وأخرجت من بلوزتها ٢٥ قرشا للتليفون .

كان خورشيد عالم مذهولا وهو ينظر إليها وقال : ألا تعترضين على هذا الوضع .. هزت رأسها بالنفى .. وقالت نحن فى فقر مدقع .. لكن الآن باروتشا مع هذا الأمريكى .. وفجأة أدركت المرأة أنها لم تدعه للدخول فدعته .. ولكن خورشيد عالم كان واقفا هناك كأنه تمثال وفجأة انتبه وعاد إلى التاكسى ..

قالت العجوز ملوحة : مع السلامة .

الرجل العجوز أنهى صلاته واندفع إلى الخارج لكن التاكسي كان قد مضى .

في ليلة خطبة خورشيد عالم وألماظ .. كانت السماء تمطر بشدة حتى أن السماء والبحر كانا كأنهما شيء، واحد ... وقبل العشاء كانت تمطر .. خورشيد عالم ووالد ألماظ ودكتور صديقي الذي جاء مؤخرا إلى بومباي كانوا يقفون في الشرفة وفي الجانب المظلم من الأدغال كانت الأشجار مغرقة بالماء، والرياح رطبة كما لو كان الهواء مشبعا بالماء ومن الصالون تعالت الضحكات ودوت القهقهات . كانت أضواء الشموع تتلألأ فوق البيانو الكبير وكان الجو شاعريا، في الممر رن الهاتف جاء الخادم إلى ألماظ وقال مكالمة لخورشيد عالم ورغم أنها كانت العروس إلا أنها قفزت إلى التليفون ومن مستشفى عام سألت الممرضة هل السيد خورشيد عالم موجود ؟ قالت لها ألماظ ماذا تريد من منه ؟ كانت تسألها بنبرة حازمة .

قالت الممرضة : منذ شهر .. تعاني هنا الأنسة باروتشا دستور من مرض شديد واليوم ازدادت الحالة سوءا وطلبت لو كان من الممكن للسيد عالم أن يجيء هنا ؟

قالت ألماظ: السيد عالم غير موجود .

- هل أنت متأكدة ؟ قالت الفتاة .

- طبعاً، أنا متأكدة جداً .. قالت ألماظ وكأنها ترتعد ..
وأردفت : هل تعتقدين أنني كاذبة ؟ ووضعت سماعة
الهاتف ثم عادت بهدوء إلى كرسيها بعد ساعتين رن
الهاتف .. دكتور صديقي .. مكالمة لك .

قال أحدهم .. تليفون من المتحف ينبغي عليك أن تذهب
إلى المستشفى حالا. ذهب إلى الهاتف ، ونادى ألماظ معذرة
يجب أن أسرع إلى المستشفى .. ألماظ جاءت إلى الباب
وقالت يجب أن تأتي غدا .. نحن نذهب إلى "بونا" لنقضى
نهاية الـأسبوع .

- بالتأكيد .. عمت مساء .. وذهب .

من مستشفى بريتش كاندى رجع والد خورشيد عالم وهو
سعيد إلى قريته وحتى ذلك الوقت لم تكن الشقة التى كانت
جزءاً من مهر العروس جاهزة .. وبعد الزواج مكث مع والد
ألماظ بعض الوقت وكان معتاداً على الوقوف بالشرفة ..

ومن خلال الأشجار الكثيفة فى الحديقة ظهر ممر ضيق
يمتد إلى برج الصامتين - حيث تستطيع أن ترى الكهنة فى
ملابسهم البيضاء من وقت إلى آخر يحملون الجثث بينما
كانت الطيور تحوم حول المكان ..

وعند بوابة برج الصامتين يقف عجوز فارسى مرعب
يرتدى ملابس بيضاء والندابون يهبطون إلى أسفل التل
ويجلسون فى سياراتهم .. وفى خارج البوابة كانت الحياة

تجرى كالمعتاد والأمواج فى البحر ترتطم بالشاطئ، وفى
الجانب المقابل إعلان لشركة الطيران الهندية لاير انديا Air
India

يدعو الناس إلى السفر إلى الأماكن الجذابة وتذكر.. أنها
كتبت مرة " الذهن له ألف عين لكن القلب له عين واحدة
ولكن عندما ينتهى الحب تنتهى الحياة " كانت الأمواج تفنى
عند الشاطئ واحدة تلو الأخرى والسحب ذابت من فوق
الرؤوس وعندما ماتت فى ليلة عاصفة وصعدت روحها إلى
السماء .. سألوها : من أنت ؟ قالت : لا أعلم فقد مت
البارحة فقط .. فأين روحها الآن ؟ الأموات يسافرون
بسرعة .

" تارابى " تنظر إلى أدوات المنزل بحيرة وكانت دائماً
تحملق فى وجه السيد عالم .. ألماظ تنتظر مولودا ولذا كانت
أعباء تارابى تتضاعف ..

اليوم .. فى الصباح .. دكتور صديقى ، أخصائى عيون
.. عندما أحضرت له تارابى الشاى فجأة لاحظها وسألها
بسعادة : تارابى؟ أنت تعملين هنا ؟ قالت: نعم ..
سيدى الطبيب ، أجابته تارابى بشئ من الحياء .

- هل تستطيعين الرؤية بوضوح ؟ نعم سيدى كل شئ
واضح وجيد ، وتوجه إلى السيد والسيدة عالم : هذه
الفتاة فقدت بصرها وعمرها عشر سنين لكن عماها كلن

مؤقتا : هل تتذكرين الماظ يوم خطوبتك .. كنت مضطرا للذهاب إلى المستشفى فهناك توفيت الأنسة باروتشا دستور وكانت قد أوصت بعينيها إلى بنك العيون .. بهذا فقد استدعيت فوراً بعد وفاتها كى أستأصل قرنيتهما .. وكانت عيونها نرجسية جميلة لا أعرف من كانت هي .

وكانت هناك عجوز تقف بجوار سريرها منخرطة فى البكاء وكان مشهدا مأساويا جدا وبعد أيام فقط من هذا أحضر خال تارابى ، تارابى له .. وكان أحد الأطباء قد أوصى لها بزرع قرنية فأخذت عيون الأنسة دستور ووضعتها لها انظروا لها كيف تتلألأ تلك العيون كالنجوم والله إن الطيب اليوم يقدم لنا المعجزات . أنهى دكتور صديقى حديثه براحة كبيرة .. وأشعل سيجارته . احمر وجه الماظ ونهض خورشيد عالم كما لو كان أعمى يتحسس طريقه ذاهبا إلى غرفته .. تارابى تركض خلفه إلى الحجرة .. عندئذ التفت إليها ونظر محمقا فيها . لم تفهم تارابى شيئا وعندئذ لم تدر ماذا تفعل .. فذهبت إلى المطبخ لتغسل الصحون .^(١)

* قرّة العين حيدر كاتبة هندية رائدة فى مجال الرواية الهندية الأردية وحصلت على عدة جوائز محلية وعالمية . ولدت عام ١٩٢٧م فى ولاية اوتربراديش فى شمال الهند . وقد عاصرت أحداثاً هامة فى تاريخ شبه القارة الهندية خاصة أحداث التقسيم الى الهند وباكستان .

حيث هاجرت إلى باكستان وعاشت بها اثني عشر عاماً . ثم عادت مرة أخرى إلى الهند وتفرغت لأعمالها الأدبية وهي تعيش الآن في نيودلهي وتكتب باللغة الأردية ومن أشهر رواياتها " آج كادريا " أي " نهر النار " وتؤرخ فيها لأحداث التقسيم ونالت هذه الرواية الفخمة التي تقع في تسعمائة صفحة أكبر الجوائز الأدبية في الهند . وعنوان هذه القصة التي قمت بترجمتها بالأردية " نظارة درميان " (المترجم)

الشعر الطويل

بشير براديب *

كان قد تقرر أن زواجها سيعقد بعد ستة أشهر من الخطبة، وكان أبواهما قد رضا بأنهما سوف لا يتبادلان الرسائل خلال هذه الشهور الستة فحسب بل يلتقيان ويتجولان مجتمعين ، لكي يتعرف كل منهما على الآخر ويتقرب منه .

ولم يكن قد مضى بعد ذلك الاتفاق إلا شهر واحد حتى علمت " مکتا " أن الشيء الذي راق " سمير " أكثر من أي آخر هو شعرها الطويل الفاحم ، شعرها الذي يلامس ركبتيها تحت خصرها إذا كان مصفورًا ، وكان يغطي ظهرها برداء حريري أسود إذا كان مسترسلًا . أخبرها بذلك صديق لـ " سمير " كان من أصدقاء عائلتها أيضًا ، وكان يختلف مع قرينته إلى منزلها من حين لآخر . وهذا الصديق وزوجته هما اللذان بواسطتهما بدأ حديث خطبتها لسمير ، وكانا بمثابة جسر بين العائلتين بعد انعقاد الخطبة كذلك ، وهما اللذان كانا قد أخبرا بأن " سمير " وأبويه وأخويه عندما رأوا " مکتا " عقدوا في منزلهم اجتماعًا خاصًا قبل الإيجاب بـ " نعم " ، وكان هذا الصديق وزوجته هما الآخران يشهدان هذا الاجتماع . كان كل واحد يبدي رأيه في حق " مکتا " ، وكان الحديث يجري حول لون " مکتا " وملامح وجهها وقامتها وشخصيتها وميزاتها الأخرى ، وفي نهاية الاجتماع بدأت

عملية الاقتراع ، بدعوا يعطون كل صفة فيها درجات تستحقها .

انتبهت " مكتا " وأصغت لحديث الأرقام وسألت قائلة :

كيف تمت عملية الترقيم يا عم ؟

إنهم حددوا مائة درجة لكل صفة ، وكان كل واحد منهم يعطي كل صفة ما تستحقه من الدرجات وكان من المقرر أن تجمع الأرقام ويستخرج معدلها ، وعلى ذلك فكانت درجات كل صفة على النحو التالي :

القامة : ٨٠ في المائة

الملامح : ٧٠ في المائة

نعم ! طيب قالت أم "مكتا"

اللون : ٥٠ في المائة

أجل ! ذلك خطأ ، فليس لونها سيئاً بهذا القدر ، وجهت أم " مكتا " اعتراضها بقوة

أسلوب التكلم : ٧٠ في المائة . تقدم العم في حديثه دون أن يبالي باعتراض أم " مكتا"

وأما الشعر فكانت أرقامه مائة في المائة .

حسن جدًا أي والله . صرخت " مكتا " قائلة .

نعم يا مكتا ! لقد أعطى كل واحد شعرك مائة في المائة ،
بل إن " سمير " أعطاه مائتي في المائة

وتعالت ضحكة مجلجلة ، وشعرت " مكتا " كأن شعرها
ليس شعراً وإنما هو تاج أو إكليل ، وإنها ليست فتاة عادية
بل هي ملكة معظمة فدفعت بكبرى ضفائرها على ظهرها في
دلال وجعلت الأخرى على صدرها وانطلقت إلى حجرتها ،
قائلة في نفسها : " سمير " معجب بشعرها لدرجة أنه أعطاه
مائتين في المائة !!

وفي اليوم التالي كانت هي على موعد مع " سمير "
لتذهب إلى صديقة لها كانت قد دعته على مائدة الغداء .
كانت صديقتها هذه بيضاء اللون حادة الملامح أجمل منها
بكثير ، وكانت تحمل شعراً كشعر الفتيان ، وكانت تنصح
" مكتا " أيضاً بذلك دائماً ، وكانت تقول لها :

" قص شعرك يا مكتا أو قصريه إلى متى ستجملينه
وتنفقين عليه من وقتك وعنايتك ؟ إن هذا الشعر الطويل
سيشكل لك عقبة وسيصبح صداعا لرأسك "

لكن مكتا لم تعتن بحديثها قط ، وإنما كانت ضاحكة
دائماً .

وفي أثناء عودتهما من منزل الصديقة قال سمير : إن صديقتك هذه ازدادت حسنا وجمالا لو أنها لم تقصر شعرها . إنها تحاول بقصر شعرها أن تتشبه بالرجال دون جدوى .

كانت مكتا تعرف أن " سمير " سيتأثر بجمال صديقتها ، ولذلك كانت مستعدة من ذي قبل لسماع مدحها بلسانه ، لكن " سمير " لم يكتف بالثناء عليها فحسب بل قد استهدفها للسخرية أيضا ، الأمر الذي أقنع " مكتا " وأرضاها لدرجة ما ، حيث إن استنكار " سمير " لشعر صديقتها الرجالي كان يعني في الواقع ذاته ثناء لشعرها هي الطويل وجمالها كذلك ، حقا إن شعرها الطويل كان أعلى ثروة عندها .

تذكرت مكتا أنها كم أولت شعرها من اهتمامها وعنايتها ، وكيف رعته وربت وصرفت له من جهد عظيم .. تسرحه كل ليلة وتغسله كل يوم وتوصل الدهن بالأصابع إلى جذور الشعر وما إلى ذلك .. وقد كلل الله جهدها فكان شعرها الطويل سببا في زيادة جمالها وبهائها .

منذ أن سمعت مديح شعرها بلسان " سمير " غمرتها نشوة غريبة ، نشوة يشوبها الفخر وشيء من الكبر أيضا ، وكانت هي لا تتردد في إبداء ذلك حتى أمام سمير نفسه . ومع هذه النشوة والسرور مضى الشهر الثاني من الخطبة كذلك .

ذات يوم استيقظت " مكتا " من نومها في الصباح فوجدت على وسادتها عدة شعرات طويلة ... وقفت مندهشة وأخذ قلبها يخفق بشدة . هل بدأ شعرها يتساقط ؟ جمعت تلك

الشعرات من وسادتها بقلب خافق وأيد مرتعشة ، وظلت جالسة على فراشها برهة طويلة والشعرات بيدها . إنها كانت قد لاحظت منذ عدة أيام أن أطراف شعرها تجف أيضا ، ولذلك كانت قد قصت نحو بوصتين من شعرها كعلاج لذلك .

وكان قد حدث ذلك مرة فيما سبق ، حيث إن شعرها أخذ يجف من أطرافه فقصت قدر إصبع منه ،فزال هذا المرض ، لكنه عاد اليوم مرة أخرى وبدأ شعرها يتساقط أيضا ، ومعنى ذلك أن يضيع الشيء الذي هو أحب شيء لدى " سمير " .

ظلت مكتئبة طوال اليوم وبدأت تستخدم شتى الطرق والأساليب لمنع الشعر من السقوط .. تارة تستخدم صغار البيضة وأخرى تغسل رأسها بماء " أملا " أو تدلكها بالزبادي، أو تمسح جذور الشعر بالفازلين والدهون وتستعمل الخضر والفواكه في غذائها .

وفي أيام القلق والكآبة هذه التقت بـ " سمير " عدة مرات لكنها لم تطلعه على ما تعانيه ، وظلت أمامه فرحة مسرورة، إلى أن توقف الآن شعرها عن السقوط .

نعم ! توقف شعرها عن السقوط ، لكن ساد قلبها وهم وهو أن شعرها يمكن أن يتساقط مرة أخرى ، ويمكن أن يصبح خفيفا ، ويمكن أن يجف من الأطراف فتضطر لقصه

وتقصيره حتى يصبح طوله كطول عامة الفتيات ، إذا ماذا يبقى الفرق بينها وبينهن ؟ ولو بدأ سمير يكرهها عند ذلك فماذا يكون ؟ ماذا تصنع ؟ إن سمير لا يحبها هي وإنما يحب شعرها ، ذلك الشعر الذي يعتبر أضعف جزء في جسم الإنسان .

والحب الذي يتوقف على طول الشعر لا فائدة منه .

توقف سقوط الشعر لكن الوهم والشك والخوف الذي وقر في قلبها لم يكن ليخرج ، وإنما أخذ يزداد تأصلاً ورسوخاً . إنها كانت قد نجحت في إخفاء القلق والاضطراب الذي تتعرض له بسبب سقوط الشعر ، لكنها لم تستطع أن تخفي القلق الذي تتعرض له بسبب الوهم وهذا الخوف، ولذلك كلما كان يلتقي بها " سمير " يسألها قائلاً :

" في أي شيء بدأت تفكرين بغته ؟ "

" أراك اليوم مضطربة يا مكتا ! أخبريني ماذا يهيك ؟ "

" أنا متأكد أن هناك أمراً تخفيه عني "

وكانت تجيبه كل مرة قائلة : أنت واهم يا سمير . ليس هناك أمر . لا شيء يهمني أو يقلقني " وبعد ذلك كان سمير يسمع ضحكة باردة ويرى شفتين ترتعشان فيكاد قلبه ينفطر .

وقررت يوما أنها ستقص شعرها ، ستجعله قصيرا للغاية،
أن تبلغ به درجة عامة الفتيات .. وفي اليوم الثاني قصت من
شعرها أربع عشرة بوصة كاملة ، وبقي شعرها حتى
الخصر فقط . ظلت تنظر إلى الخصلة المقطوعة بعيون
دامعة ثم كبستها في قبضة يديها وضمتها إلى صدرها
وانفجرت باكية .

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا الأمر حديث بيتها كله :

- ماذا فعلت يا مكتا ؟ لماذا قطعت شعرك

- ما كنا نعلم أنك حمقاء بهذا القدر .

- ماذا سيقول زوجك وأهل بيته يا مكتا ؟ فأجابت " مكتا "
في البداية كانت تقول : إن شعري كان يجف من أطرافه
وكان يتساقط أيضا ، فخففته ، لأن ذلك يساعد على
إعطائه غذاء جيدا ، وهو بذلك سيصبح قويا "

ولكن لما رأت أهل بيتها لا يسكتون ولا يمسون ألسنتهم،
ثارت وغضبت وقالت باكية:

" إنما قطعت شعري أنا ، ولي أن أصنع بشعري ما بدا
لي ، أن أقصّه أو أحلقه ، وليس لأحد أن يمنعني
وينصحني .

وأسكتت أهل بيتها ، ليس في ذلك ما تخاف منه . إن جمالها قائم على حاله عيان واسعتان ، ملامح جذابة ، لون فاتح ، وجه برئ .

وبعد يومين فحسب جاء " سمير " إلى بيتها ، فالتقت به بهدوء وطمأنينة ، لا يبدو على وجهها خوف ولا يوجد في قلبها اضطراب ، كأنها راضية ومستعدة لكل ما يحدث لها .

ظلت برفقة " سمير " طول النهار في النزهة وفي السينما وعلى شاطئ النهر ، ولا بد أن سمير قد نظر مرات إليها و إلى وجهها و إلى شعرها ، لكنه لم يسألها مطلقا عن شعرها ولم يبد أي حيرة فأخبرته بنفسها تقول :

- " هل رأيت شعري ؟ لقد قصصته "

- " لا يا مكتا لم أنتبه إلى ذلك ، بل لم أشعر بذلك . فليس هناك فرق جوهري عند قص بعض الشعر "

- بعض الشعر ؟ لا يا سمير ، لقد قصصت ١٤ بوصة كاملة منه .

- إنني متعجب والله ، لم أشعر بأي فرق . أراك في هذه الحالة أيضا جميلة مثل اليوم الذي كنت قد رأيته فيه أول مرة ، بل أراك أكثر حسنا وجمالا . ماذا تقول يا سمير ؟ أفتصدق أنت ؟

- صدقيني ، أنا أصدقك يا مکتا . في ذلك الوقت كان يروقني شعرك ، والآن تعجبيني أنت نفسك .

- " سمير حبيبي "

واغرورقت عيناها بالدموع ، لكنها لم تعرف ما إذا كانت دموع الفرح أو دموع الحزن .

الكاسب والخسران

شودري بدر منير*

برنس ، منهمك في الغناء بينما هو يسير في شوارع جانبية متداخلة بالمدينة . عند نهاية أغنيته يكون قد وصل إلى شارع حيث تصدمه سيارة تقودها الابنة الوحيدة لمليونير . وفي الحقيقة فإن فرامل السيارة قد تم تعطيلها بقصد من مديرها غير الشريف والخائن الذي أراد أن يقتل البنت . لقد دبر المدير خطة شريرة وهي أن والدي البنت لن يتحملا الصدمة وسيموتان لموت ابنتهما وبهذا يستطيع أن يصبح المسيطر الوحيد على كل ثروتهم.

السيارة بعد أن تصدم برنس تصطدم بقوة بشجرة وتتجوى البنت بمعجزة كذلك يصاب برنس ببعض الجروح . البنت كان اسمها " ميرا " تأخذ برنس لمستشفى حيث يسجل البوليس أقواله حيث يصف برنس جروحه بأنها حدثت صدفة بخطأه شخصيا . يقر بأن الفتاة لم تخطيء في هذه الحادثة ، وبعدها يذهب البوليس . تطلب ميرا من الأطباء أن يوفرُوا لبرنس أفضل خدمة طبية وأنها ستتحمل المصروفات ومن ثم تذهب لمنزلها . وبالمَنْزل يشعر والداها اللذان كانا قلقين عليها بسرور عظيم عندما يريا ابنتهما سليمة وبكامل الصحة

حيث إن المدير كان قد أخبرهما سابقا بأخبار الحادثة القاسية التي حدثت لميرا .

لقد كان المدير يعلم بحقيقة أنميرا تقود بطيش ولذلك فلن تنجو من الحادثة ولذلك فقد دهش أن يراها حية . حكّت ميرا كل القصة لوالديها ولذلك فقد رغبا في أن يريا برنس فتأخذهما للمستشفى . في غيابهم يتلقى المدير رسالة بأن ميرا قد نجت سليمة واحببت خطته .

تصل ميرا ووالداها للمستشفى ولكنهم يجدون أن برنس قد ذهب وقد أصبحوا كلهم مهتمين بذلك الشخص المجروح ، إنهم لا يعلمون شيئا عن برنس وفي الحقيقة فإن برنس هو ابن امرأة عجوز مصابة بالجذام وهو يسعى لعمل ليوفر الغذاء والعلاج لوالدته . واليوم خرج مرة أخرى للبحث عن وظيفة عندما وقعت الحادثة . ترك برنس المنزل وهو يقول لوالداته أنه ذاهب لعمل على توفير المعيشة . خارج المنزل يجد رجلا يدعى " راجان " يجلس داخل سيارة ينتظر برنس . " راجان " في حقيقته رجل سيئ ومجرم ولديه ثلاثة آخرون في عصابة من بينهم محامي وضابط شرطة بينما الثالث هو مدير "ميرا" . " راجان " يغري برنس بإعطائه وظيفة ويأخذه إلى مقرهم . هنا يوضحون لبرنس أنهم جميعا يعملون على خطة لقتل " ميرا " وأخيها " إسلام " ووالديها . ويخبر برنس أن أخا ميرا قد أصابه الجنون بعد أن ماتت

محبوبته ولذلك فهو لن يكون عقبة أمام خطتهم في الاستيلاء على ثروة ميرا .

يعرض " راجان " خمسين بالمائة من ثروة ميرا لبرنس إذا تعاون معهم في تحقيق خطتهم . خاف برنس عندما سمع بالخطّة التي تحتوي على هذا الحجم من الخداع والدماء . يهدد " راجان " ورفاقه برنس بقتله وقتل والدته إذا لم يعمل بناء على رغبتهم . وفي نفس الوقت فإنهم يحاولون إغراء برنس لمساعدتهم بالكلمات المعسولة بأنه بنصيبه يستطيع أن يعالج والدته وأنه لن يحتاج لأن يبحث عن وظيفة وأنه سيتخلص من مرارة الشعور بعدم العمل . بعد أن فكر في كلماتهم لبعض الوقت . نزل على رغبتهم خائفاً من أنه لو رفض كلماتهم سيقتلون والدته . هنا يُسر " راجان " بقرار برنس ويعطيه بعض المال ليشتري علاجاً لوالدته وبعض الملابس الجديدة . بعد مغادرة برنس يضع " راجان " ورجاله خطة لقتل أخى ميرا بواسطة بعض المرتزقة فيرسلون لاستقدامهم . عندما يصل المرتزقة يسألون عن مكان " إسلام " فيعلمون أن " إسلام " يتردد على " موطن الجب " حيث اعتاد أن يرى محبوبته . يجد المرتزقة " إسلام " ويبدأون في مهاجمته هنا وهناك . وبالصدفة يمر برنس من تلك البقعة ويرى شخصاً يضربه بعض المأجورين بقسوة فيأتي لمساعدته . يجري الرجال من تلك البقعة وينقذ برنس " إسلام " الذي يأخذه لمنزله .

وهنا يتضح لبرنس أن "إسلام" هو الأخ الحقيقي لميرا التي يشعر والدها بالعرفان لبرنس لكرمه الذي وضح لهذه العائلة للمرة الثانية . ويعتبرون برنس ملاكا ، وأثرت مواقفه وصفاته على "ميرا" فوقر حبه في قلبها . في هذه المرحلة وعندما يكون برنس على وشك أن يقول الحقيقة يظهر المدير فجأة على المسرح . ويتذكر "برنس" كلمات "راجان" الذي هدده بقتل أمه ولذلك فهو يروي كذبة عارية لوالدي "ميرا" والذين قد أخذوا انطبعا جيدا بالفعل لمواصفات وشخصية برنس لدرجة أنهما قد قررا تزويجه ابنتهما . "برنس" يترك المنزل بعد أن يعد "ميرا" بالوقت الذي سيأتي فيه مع والديه . وبعد أن ذهب برنس يتحدث والدا ميرا عن شخصية برنس وشهامته نحوهم ويعلنان رغبتهما في تزويجه "ميرا" وتترك "ميرا" المكان وهي تنتظر نظرات خجولة . من ناحية أخرى فإن المدير ينقل هذه الأخبار الجيدة إلى "راجان" ويضيف أن برنس كاد أن يكشف عن خطتهم لقتل "إسلام" فبمجيئه لإنقاذ "إسلام" قد يكون ساعد على تنفيذ خطتهما حيث إن والدي "ميرا" قد قررا تزويجها منه . ويقول المدير إنه يمكن التفكير في طريقة أخرى لقتل "إسلام" بالإضافة إلى خطة لقتل الوالدين .

في منزل برنس تشعر والدته بالقلق لرؤية ابنها غارقا في أفكار عميقة . وتسال عن أسباب قلقه وعن وجود النقود التي حصل عليها . يقول "برنس" الحقيقة لوالدته التي تنصحها ألا يسير في هذا الطريق الشرير أبدا. إنها ترفض تماما أن

يلعب ابنها هذا الدور الشنيع وتطلب منه أن يتخلى تماما عن هؤلاء الأشخاص المجرمين الذين يريدون أن يجرموه بالقتل. وتطرد الأم برنس من المنزل فيذهب " راجان " ليرفض عرضه بصراحة . إنه يرفض أن يشترك في تحقيق خطتهم. وكذلك يخبر " برنس " العصابة بأنه سيكشف خطتهم لعائلة ميرا . ويطلب " راجان " من برنس أن يتعقل بدلا من هذا التصرف الأحمق وأن يشترك معهم يدا بيد في تنفيذ الخطة وإلا فسيقتلون والدته .

ولتحقيق قوة التهديد فإن " راجان " يسمع برنس صوت والدته وهو بين أيدي رفاق " راجان " تطلب منه ألا يخضع لضغطهم حتى إن كلفه ذلك حياتها . يدخل برنس في تفكير عميق ويخطف " راجان " السماعة من يده . ويهدد " راجان " برنس مرة أخرى إذا حاول أن يتراجع عن خطتهم . وتحت هذه الظروف فإن برنس يخضع " لراجان " على أن يذهب لمنزل " راجا " برفقة المحامي الذي سيمثل والده لتنفيذ الخطوبة وهكذا يصلان إلى منزل ميرا . وهنا يكاد " برنس " أن يقول الحقيقة عندما يأتي " راجان " وبصحبه والدته برنس ويسئ " راجان " للأم وابنها بأن الابن ليس ابنا شرعيا وأن الأم لم تتزوج أبدا . ويحرك " راجان " حمية عائلة "ميرا" قائلا هل تحبون أن تزوجوا ابنتكم إلى رجل لا يملك شيئا ، صعلوك وابن غير شرعي؟ ويفشل " برنس " في أن يتمالك نفسه ويبدأ في ضرب " راجان " وعندما يسمع " إسلام " كل هذا ويرى سلوك " برنس " يأتي لمساعدة راجان فيضرب

برنس ومن ثم يسىء إلى الأم والولد ويطردهما خارج منزلهم . وتصل " ميرا " إلى أن مؤامرة قد حيكت من هذا الحادث إنها واثقة ومتفائلة أن " برنس " في الموقف الصحيح وتضرب " إسلام " على وجهه . وكذلك تقرر " ميرا " أن تذهب مع برنس ووالدته وهكذا يتركون المنزل سويا . ومن ثم يطرد " إسلام " ووالده " راجان " والمحامي من المنزل .

يصل برنس ووالدته " ميرا " إلى المنزل حيث يصر على والدته أن تكشف له عن السر وعن والديه الحقيقيين إذا كانت هي لم تتزوج أبدا . فتقول لبرنس إنه قبل عشرين سنة هبطت طائرة اضطراريا في باكستان . كان بين المسافرين أربعة مصريين كانوا يبدوون مثل المليونيرات وينتمون إلى العائلة الملكية المصرية . كانت الأسرة تتكون من زوجين وطفل عمره أربع سنوات وخادمة ومديرهم كان يبدو أنه رجل شرير وذكي ويشبه " راجان " وكل الركاب كانوا يقيمون في المطار ولكن عائلته كانت تقيم في مكان كبار الزوار حيث كان الطفل يلعب بكرة تحت رعاية الخادمة .

حضر المدير إلى هناك وطلب من الخادمة أن تقوم بخدمة له وعندما اختفت الخادمة عن الأنظار ألقى المدير بالكرة في الخارج وتبعها الطفل . وفي الحال جاءت سلطات المطار وأحاطت بالمطار . وكانت أم الطفل تبكي بحرقة أما الخادمة فقد أصابها الجنون لهذا الحادث . وفي نفس الوقت فإن المدير وهو ينظر نظرات شريرة كان كأنه ينتظر شيئا ما وقد حدث . فقد ظهر رجل يحمل جثة طفل ميت . كان

الطفل من نفس العمر ويلبس نفس الملابس ولكن رأسه كان محطما تماما نتيجة لحادثة بحيث لم يكن من الممكن التعرف عليه إلا بواسطة الملابس والعمر وذلك للتأكد من أنه الطفل المصري . وقد أبلغ الرجل الذي كان يحمل الطفل أنه خرج إلى الشارع حيث صدمته عربة مسرعة . وفي ذلك الوقت كانت إدارة المطار قد أعدت رحلة أخرى إلى مصر وطلبت من الركاب أن يتوجهوا إليها . المدير الذي كان مسرورا بفعلته كان في الخارج يعزي سيده بكلمات (سيدي كن صبورا لما حدث لنا الآن فكل ما كان لدينا قد فقد في باكستان .. (دعنا نسافر إلى بلدنا) وهكذا أخذوا الجثة معهم وسافروا .

قالت أم برنس إنها في ذلك الوقت كانت تعمل في أمن المطار ولأنها كانت تشك في أن هناك تشابها بين المدير وذلك الرجل الذي أخذ الطفل ، فإنها بدأت تطارده . قالت إنها تابعتة في كل مكان إلى أن أتى إلى مكان حيث كان الطفل المصري موجودا في رعاية شخص آخر ، لقد كان هو " راجان " نفسه الذي أتى لذلك المكان . يخبر راجان الرجل بأن ذلك الطفل ينتمي إلى عائلة مليونير وأن أخاه التوأم يعمل لدى تلك العائلة كمدير . وقال أيضا إن هذا الطفل قد ولد بعملية قيصرية أصبحت والدته بعدها غير قادرة على الحمل . ولذلك فهو الوارث الوحيد لكل ثروة وممتلكات العائلة . وقال إن أخاه قد خطط عملية اختطاف الطائرة وأنه قام بنفسه

بقتل المختطفين في الهواء ومن بعدها أشاع أن هناك قنبلة مخبأة في مكان ما بالطائرة. وقد أفرغت الطائرة من الركاب وتم البحث عن القنبلة وأن الخطة الآن قد أصبحت مثمرة حيث إنه حسب تفاصيلها سيقوم الآن بسهولة بقتل الوالدين ليصبح المالك الوحيد لكل الثروة والتي وعد الرجل الآخر أن ينال نصيبه منها ملايين . وقال يجب أن ننتظر أوامر أخرى ومن ثم سنقتل الطفل بنفس الطريقة التي قتل بها الطفل الآخر والذي ألبساه ملابسه .

قالت الأم لقد كنت مرتبكة تماما في هذا الوضع وقد قررت أن أبلغ الشرطة ولكني توقفت عن ذلك لأنني فكرت أن ٩٠ في المائة من الشرطة فاسدون وسيستغل راجان ذلك وسيقتلها أخيرا .. تقول لقد قررت أن أنقذ حياة الطفل حتى على حساب حياتي ، ولذلك ومن غير أن أدع الآخرين يعلمون نجحت في أخذ الطفل معي . قالت الأم : إنها أسمته باسم " برنس " وبدأت تتمنى مجيء الوقت الذي يكبر فيه لتخبر والديه . وقالت ، قد أتى اليوم ، وأضافت إنه الطفل المصري الذي توجد ورثته في مصر . وتقول إنها لا تعرف شيئا عن والديه ولكن هناك بعض الأشياء التي كان يلبسها في عنقه ويديه عندما أتى إليها وأن هذه الأشياء ربما تساعد في تتبع والديه إن كانا أحياء أو أموات . وقالت إنهما إذا ماتا فإن كل ثروتهما ستكون لدى " راجان " إنها كانت ترجو الله تعالى فقط أن تعيش لهذا اليوم ومن ثم لفظت أنفاسها الأخيرة. قال برنس لميرا إنه سيرجع لبلده وأنها يجب أن

تنتظره إلى أن يعود ، ومن ثم يطيرا إلى مصر وبمساعدة الأشياء الملكية التي أعطتها إياه والدته يبحث " برنس " عن والديه الحقيقيين . ولكنه يفعل ، يتفوه بذلك أمام " هاشو " الأخ التوأم لراجان . لقد دهش هاشو أن يسمع عن سلطان بعد مضي عشرين سنة ويسأل برنس مما يؤدي إلى غضب هاشو الذي يطلب من حراسه أن يعذبوا " برنس " إلى أن يقول الحقيقة . ويضرب برنس حتى يفقد الوعي ولكنه لا يفتح فمه بشيء . ويبعد رجال هاشو برنس إلى مكان مهجور حتى تقضي عليه الحيوانات المتوحشة وهناك يرى رجلا يدعى " غلام علي " ويشعر برنس بالألم لحاله وممن ثم يأخذه إلى كوخه في الغابة . و " غلام علي " يخبر برنس أن والدته ماتت وهي تنقذ حياة والده وأن هاشو استولى على ثروتهم . كذلك أخبر برنس أن هاشو يسعى إلى توقيع والده على بعض الوثائق ولكنه رفض بإصرار . قرر برنس أن ينقذ حياة والده بكل السبل ويعمل بشجاعة حتى يصل إلى مكان اعتقال والده وقد استطاع أن يخلص والده من براثن " هاشو " ومن ناحية أخرى فإن " هاشو " يروعه هروب سلطان . ويشير إلى برنس بقوله إن الشخص الذي سأل عن سلطان ربما يكون هو الذي أنقذه ولكن أحد أعوان " هاشو " يقول إن ذلك الشخص قد قتل ويرسل لحراسه الذين ضربوا برنس فيخبرون هاشوا إنهم أخذوا برنس إلى مكان متوحش حتى تأكله الحيوانات فيفقد هويته لذلك . فيأمرهم " هاشو " أن يذهبوا إلى تلك البقعة حيث تركوا برنس ليتأكدوا من وجود بقاياهم ، ولكنهم لم يجدوا شيئا ، ومن ثم فقد قال أحد

حاشية هاشو إن برنس قد يكون هو الطفل الذي تركوه في باكستان . ولكن هاشو يقول إنه طلب من أخيه التوأم راجلن أن يقتل الطفل ولكنه فكر مرة أخرى أن الطفل قد نجا من الموت . ويتصل هاشو " براجان " بالتليفون فيخبره أن الطفل قد نجا من الموت.

وهكذا تصبح الحالة معقدة جدا بالنسبة لهاشو الذي يعتقد أن سلطانا وابنه الحقيقي الاثنين على قيد الحياة .

ويذهب هاشو وحراسه إلى الغابة للبحث عن سلطان وبرنس وعندما يكتشفونه هناك يحيطون بهم بما فيهم " غلام علي " .

وتدخل المجموعتان في قتال عنيف ينتهي بالقبض على " غلام علي " وبرنس ويترك سلطان في الغابة ظانا أنه قد مات ، لكن سلطان لم يموت ولكنه كان يعاني من الآلام والجراح ومع ذلك يذهب للبحث عن برنس وغلام علي ولكنه لم يعثر لهما على أثر . ومن ثم يذهب إلى جبل الطور ويصلي لله تعالى لإنقاذ ابنه . وعندها يسمع صلاته أحد الرجال الذين كانوا هناك يخبره عن مقر هاشو . ويذهب سلطان إلى هناك ويحارب هاشو ورجاله . ويحرر " غلام علي " وبرنس من الحبال التي كانوا يربطونهما بها ويشاركانه في قتال هاشو .

ويموت " غلام علي " أثناء القتال وتصل الشرطة المصرية إلى المكان . وتقبض الشرطة في الحال على هاشو الذي

يحاكم أمام المحكمة أخيرا . ويخبر برنس وسلطان الحكومة
المصرية عن " راجان " الأخ التوأم لهاشو وعن خطته لقتل "
ميرا " وعائلتها والحصول على ثروتهم . ويطلبان من
الحكومة أن تتصل بالحكومة الهندية بخصوص هذا الأمر .
وهكذا يعتقل " راجان " ويتزوج برنس من ميرا .

مالك البقرة

أمرينا بر يتم *

كانت البقرة غبراء اللون إلا أن ضرعها لم يكن حالك
السواد بل كان ضارباً إلى اللون الأسود لذلك سماها أهل
القرية "كبيلا" .

كلما حاولت كبيلا النهوض مستندة على رجلها المكسورة،
سقطت بشدة على الأرض ولم تكن لديها المزيد من القوة
لذلك أخرجت لسانها لاهثة لتلحس رطوبة الكلا لكنها شعرت
بأن الرطوبة قد صارت مثل الدم الحار المالح .

حاولت أن تبحث بعيونها المتحجرة عن الأبقار التي أتت
معهما لترعى الكلا في الليل ولكنها سمعت بدلا من ذلك بعض
الأصوات من بعيد .

سمعت صوتا كالرعد يقول هذا ظلم على البقرة الأم ، إن
القتلة لظالمون .

وجاء صوت آخر متهدج يقول إن البلد الذي يرتكب فيه
مثل هذا الذنب ولا يوجد فيه دين ولا مبدأ فإن ذلك البلد
سوف يفنى .

وبعد ذلك تجمعت أصوات كثيرة كأنها تهاجم ضوء الشمس المشرقة .

كانت الأصوات تأتي من قريب ومن بعيد . ثم ساد الصمت .

كان جستم كبيلا يفقد الوعي وحوافرها ملطخة بالدماء المنتشرة من حولها فظنت أن هناك جنودا يحومون حولها في أزياء عسكرية .

نظرت كبيلا بعيونها المتحجرة إلى الجهة التي كان الناس ينظرون إليها كانت طائرة ساقطة على الأرض من بعيد .

فسمعت شخصا يقول :

سيدي ... ! كان هذا تمرينا ثانيا لي للطيران في ليلة مظلمة. حاولت الإقلاع مرة أخرى بدون الهبوط على الأرض .

أضاف : قمت قبل الإقلاع بأعمال جيدة أوقفت الطائرة على مجرى الطائرات ثم طرت على ارتفاع شاهق ولما نظرت إلى الخارج لم أر إلا أنوار ممر الطائرات .

سيدي .. ! كانت الطائرة تدور والسرعة تزيد حتى بلغت نقطة مرتفعة جدا وفي ذلك الوقت كنت أنظر إلى الآلات ،

ارتفعت الطائرة فجأة إلى أعلى وشعرت بصدمة شديدة
فأوقفت المحرك تماما واستخدمت الفرامل وشعرت بأن أحداً
يهز الطائرة بشدة .

رأيت الطائرة قد انشقت و سقطت في هوة على بعد من
مجرى الطائرات عند الأشجار . ما كنت أستطيع أن أرى
الأنوار على جانبي الطائرات . ثم انكسرت العجلة فوراً ،
عجلة الجانب الأيمن وكان الشرر يتطاير بسبب الاحتكاك .

أين كان مساعد الطيار في ذلك الوقت ، سأله رجل .

سيدي ... ! أنا مساعد الطيار . كنت جالسا على المقعد
الخلفي عند إقلاع الطائرة فلما توقفت أردت أن أفتح باب
الدخول ولكنه لم ينفتح ثم رأيت أن مقدمة الطائرة قد
انكسرت وانفتحت فتحة كبيرة فخرجت منها إلى الخارج .

– كيف خرجت ؟

سيدي ... ! لم يكن أمامي إلا طريق واحد هو أن أقفز
إلى الخارج من الفتحة ولما خرجت ، رأيت أن الجانب
الأيمن من الطائرة قد تحطم وكان قرب مجرى الطائرات
دماء كثيرة وبقرات نافقة خفت أن تشتعل النار في الطائرة .
فجريت فوراً لأقف على بعد .

ثم جاء صوت يسأل كيف جاءت هذه البقرات إلى
المطار ... ؟

- سيدي ... ! لا أعرف شيئاً .

- لنترك القضية للتحقيق ، ولكن لا تذهبنا إلى الخارج .
لأن حياتكما في خطر . هناك مظاهرات واجتماعات في
القرية ضدنا .

كانت كبيلا تحتضر ولكنها لم تكن قد ماتت بعد كانت
عيونها تفتح لمحة ثم تنغلق .

كان ضوء النهار يتحول إلى ظلام . حسبت أن الناس
مجمعون حولها حتى سمعت أصواتهم .

- من هم أصحاب هذه البقرات ؟

ساد الهدوء . ولم يقل أحد شيئاً ينبغي أن يكتب كل واحد
من أصحاب البقرات اسمه ليجد تعويضاً عن بقراته الميتة .

ثم علت أصوات عديدة كأن كل واحد يتكلم في وقت
واحد .

قال أحدهم : كانت لي بقرة ، يا سيدي ... ! لونها أبيض
واسمها شيرا .

وقال الثاني : كانت لي بقرة ، يا سيدي ! كنت قد سميتها تين تان .

وقال الثالث : يا سيدي ... ! كانت لي بقرة اسمها لوري.

كانت هناك أصوات كثيرة وأسماء عديدة . فارتفعت صرخة قائلة إنكم أمليتم عشرين اسما والبقرات ليست إلا عشر فقط . كلكم كاذبون .

حاولت كبيلا أن تفتح عيونها لتعرف أصحاب البقرات التي كانت معها ، كانت بعض الوجوه معروفة وبعضها غير معروف بالنسبة لها . لم تعرف من أين جاء هؤلاء الناس ؟! عرفت " كبيلا " صاحبها " موهن " إلا أنها تذكرت عجلها فحاولت أن تقول شيئاً ولكن صوتها لم يخرج من حلقها .

صرخ قائلاً إنكم تدعون بأنكم أصحاب هذه البقرات على أمل أن تجدون تعويضاً عن البقرات الميتة . لكنكم لستم بأصحاب هذه البقرات الميتة . وإنكم كاذبون .

لم يعرف هل كان ذلك الظلام ، ظلام الليل أو ظلام الموت السائد على عيون " كبيلا " ثم ارتفعت أصوات تسأل كيف دخلت هذه البقرات إلى ممر الطائرات أيها الحارس ... ؟ يظهر أنها كانت تأتي كل ليلة لترعى الكلاً . أنت كنت تأخذ الرشوة من أصحابها فأنت متهم بتهمة الرشوة .

كانت كبيلا تفقد وعيها ، فسمعت بعض الكلمات ولم تسمع بعضها الآخر وحاولت أن تهز ذيلها لطرده الذباب الجالس على جسمها لكن دون جدوى .

فسمعت فجأة صوتا يسأل أين غاب كل هؤلاء الناس العشرين الآن لا يدعي أحد بأنه صاحب بقرة . كل واحد يقول ليست هذه البقرات له. لا شيء إلا أنهم علموا أن خسارتنا بتحطيم الطائرة ثلاثة وخمسين ومائة ألف روبية وسوف يطالب أصحاب هذه البقرات أن يدفعوا تعويضا .

بحثت " كبيلا " عن مالكة "موهن" ولكنه لم يكن موجودا. وهنا تذكرت بأن موهن لما أصيب مرة بمرض خطير ، نصحه رجل بأن يطعم كبيلا حلوى مصنوعة من الدقيق كل يوم ثلاثاء .

كانت كبيلا تشعر بجوع شديد في كل أجزاء جسمها النحيف في تلك الآونة الشديدة فتذكرت يوم الثلاثاء .

أليس اليوم الثلاثاء ... ؟ أليس موهن مالكة ... ؟ أليس أحد صاحبها .. ؟ شعرت كبيلا بأن شيئا يتحرك حولها لعل زوجة موهن قد حضرت وجاءت لتلمس بيديها جسد بقرتها وهي على وشك الموت.

حاولت أن تعرفها بعينيها المفتوحتين . كان شيء يلمس
جسمها . وكان ناعما جدا . أنعم من يدي زوجة موهن .
عرفت كبيلا بعد أن سقطت قطرة دم حار من عينيها إنه كان
عجلها . ولم تعرف متى وصل هناك . إنه كان يلحس بلسانه
جسد أمه الميتة .

" الكفن " (١)

بريم جاند*

جلس الأب وابنه في سكون على عتبة كوخهما ، وقد
خمدت النار التي أشعلها بجوارهما . وبداخل الكوخ ، كانت
زوجة الابن ، الشابة " بدهيا " ، تعاني آلام المخاض . فتطلق
بين الحين والآخر صرخات كادت من فرط قوتها أن توقف
دقات قلبيهما . وكان السكون يلف الليل والقريّة بأسرها
غارقة في الظلام .

تحدث جيسو قائلاً :

يبدو أنها لن تتجو . إننا لم نبرح أماكننا طوال اليوم من
الرغبة . فلتذهب الآن لترى كيف حالها ؟ أجاب مادهو
متبرما :

لو أن الموت قدرها ، لكان أفضل كلما أسرع . ماذا
هناك إذن لأراه !

(١) قامت الأستاذة مائثر المرصفي مدير تحرير مجلة صوت الشرق
بترجمة هذه القصة عن الانجليزية ، وقد أضفت إليها بعض الجمل
والكلمات عند ترجمتي لها عن الأردية وقارنت بين النصين .

(المترجم)

يا للخسة ! كل هذا الجحود تجاه إنسان عشت معها في
سعادة غامرة لعام كامل ! .

إنني لا أحتمل رؤيتها تتعذب وتتألم .

إنها عائلة من الإسكافيين الذين ذاع صيتهم في القرية
بأكملها.

الأب ... جيسو الذي يعمل يوما ويستريح بعده ثلاثة
أيام. الابن .. مادهو الذي يضمن على عمله بالعطاء بما
يجعله في حاجة لساعة يدخل خلالها بعد كل نصف ساعة
من العمل . وفي ذلك سبب كاف لكي لا يفكر فيهما أي
صاحب عمل ينشد الجدية . إنهما يأبيان الكد والشقاء لو
توافر في منزلهما مجرد حفنة قمح . ولكن بعد يومين أو
أكثر من الصوم ، يجدان نفسيهما مضطرين للكفاح ! فيتسلق
جيسو شجرة ليأتي ببعض الأخشاب ، ويأخذها مادهو ليبيعهما
في السوق . وطالما بقي في جيوبهما بعض المال ، يتكاسل
كلاهما ويلازم المنزل . وعندما يصل الأمر للصوم مرة
أخرى ، يكرران نفس الشيء . فيجمعان بعض الأخشاب
ليبيعاها ، أو يشرعان في البحث عن عمل . لم يكن ذلك
بالأمر العسير في تلك القرية . فقد كانت قرية زراعية يجد
فيها من يعمل بإخلاص مئات الفرص . ولكن هذين
الشخصين لم يعملوا سوى لدى هؤلاء الذين يجدون قناعة في
أن يقوم اثنان بعمل شخص واحد .

حياة غريبة ، تماما مثل منزلهما الذي خلا من كل شيء
إلا بعض الأواني الفخارية . إنهما يستران عريهما ببعض
القطع المهلهلة ، غير عابئين بالهموم والمؤثرات الدنيوية ،
بما في ذلك ما يثقل كاهليهما من ديون ، عانيا من جرائمها
السب والضرب . ولكن ذلك أبدا لم يغضبهما ، لقد وصلت
بهما الحاجة ما جعل الناس يكيلون لهما السباب لكنهما لا
يشعران بالحزن من جراء ذلك ، ويقدمون على اقراضهما
رغم يقينهم أنهما لن يردا الدين ، وعندما يحل موسم البازلاء
والبطاطس ، يسرقان بعض الحبات من أي حقل ليطهواها
ويأكلها ، وفي بعض الأحيان ، يقتلعان بعض أعواد القصب
ليمصاها في الليالي . لقد انقضى من عمر جيسو ستون
عاماً، عاش خلالها بهذا التقشف . ولأن مادهو كان ابنا باراً،
لم يكتف باتباع خطى والده ، بل أضاف لأجداد أسلافه
الكثير!

ماتت زوجة جيسو منذ زمن بعيد . أما مادهو ، فقد مر
على زواجه من هذه السيدة عام واحد ، حاولت خلاله أن
تدخل بعض النظام على حياة هذه العائلة . فنجحت في أن
توفر لهما بين الحين والآخر حفنة من الدقيق ، إما بطحن
الذرة أو جز أعشاب الحقل لأحد أفراد القرية ، حتى تملأ
بطني هذين المخلوقين اللذين لا يتحرجان من أي موقف
كان. منذ مجيئها أصبح الاثنان أكثر تكاسلا وتراخياً . بل
إنهما أصبحا يطلبان العمل بأعلى نبرات الكبرياء والشموخ .

وإذا ما طلبهما أحد للعمل لديه ، لا يتورعان عن طلب أجر مضاعف .

نفس هذه المرأة ، التي فعلت من أجلهما ما فعلت تحتضر الآن بالداخل وربما يكون كل ما يفعلانه هو انتظار موتها حتى تكف عن الصراخ لينعما بنوم هادئ .

جلسا في هذه اللحظة يطهوان حبات البطاطس . تتناول جيسو إحداها وأخذ يقشرها وهو يقول لمادهو " اذهب لـ ترى كيف حال زوجتك الآن " لا أكاد أسمع صوتها لا بد وأن روحها قد قبضت . خاف مادهو أن يأخذ جيسو نصيباً أكبر بينما هو بالداخل فقال له :

إنني أخشى الدخول عندها .

ومم تخاف ، إنني هنا بجوارك .

إذن . لماذا لا تدخل أنت وتعرف ماذا يجرى بالداخل ؟

عندما كانت زوجتي تحتضر لم أفارقها للحظة طوال ثلاثة أيام ! ثم أنها زوجتك . وحتما ستشعر بالخجل أمامي . إنني لم أر وجهها من قبل فكيف تريدني أن أراها عارية !

دعك من هذا الحديث . إن كل ما يشغلني ، ماذا سيحدث إن رزقنا بطفل ، فليس لدينا أي شيء في المنزل . وطفل جديد يتطلب الكثير من طعام وشراب وملابس وغيرها .

سيكون لدينا كل شيء بمشيئة الله ! هؤلاء الذين يرفضون إعطاءنا كسرة خبز اليوم سيرسلون إلينا غدا ويعرضون علينا المال .

لم يكن ظهور مثل هذا السلوك الفكري بالأمر الغريب في مجتمع كهذا ، لا يكون فيه من يكذب ويكذب طوال يومه أسعد حالا مما هما عليه بل ينعم فيه بالرخاء من يعرف من أين يؤكل كتف الضعاف من الفلاحين . وقد فاقت حكمة جيسو هؤلاء الفلاحين الغافلين . فبدلاً من أن ينضم إليهم ، ألقى بنرده مع زمرة التافهين الوضعاء . والحقيقة أن جيسو ليس لديه من الملكات العقلية ما يمكنه من الإلمام بقواعد وسياسات جماعة التافهين . ولذلك بينما يُعد بقية أعضاء جماعته من علية القوم في القرية ، دائماً ما تشير إليه أصابع الاحتقار . ولكن جيسو لم يكن ليعبأ بأي من ذلك ، طالما ليس عليه أن يقحم نفسه في عمل شاق يقضي فيه اليوم كاملاً، أو تكون براءته وبساطته سبيلين يحصل من خلالهما على مكاسب لا يستحقها .

لم ينتظر كلاهما حتى تبرد حبات البطاطس ، فقشراها
والتهماها وقد احترق لسانهما أكثر من مرة وكلما يقشران
إحداها ، يبدو لهما سطحها باردا . ولكن بمجرد أن يبدأ
بمضغها ، يشعان وكأنها جمرة من نار . فيبتلعاهما على
الفور بدلا من التعذيب بمضغها فيحترق حلقهما . وعندما
تستقر بمعدتيهما ، تتعامل معها بما لديها من تجهيزات كفيلة
بالتأقلم مع مثل هذه المشكلات ، ومع هذا فإن عيونهما تدمع
من هذه المحاولات .

تذكر جيسو في هذه اللحظة حفل زفاف حضره منذ
عشرين عاما . وكان ما وجدته في هذا الحفل من حفاوة
جديرا بأن يتذكره طيلة حياته وأن يظل عالقا بذهنه ما عاش .
بدأ يقص على ولده ذكريات ذلك اليوم .

كان حفلا لا ينسى . لم أتناول ما تناولته من طعام حينئذ
في حفل آخر . كان هناك وافر من الطعام يكفي جميع
الحاضرين وقدم أصحاب الحفل لكل من حضر ، عظم شأنه
أو قل ، ما يكفيه من كعك البوريس المقلي بأشهى أنواع
الزبد . وعمرت المائدة بكافة أنواع المشهيات وفواتح الشهية
وما لذ وطاب من أصناف الكاري والزبادي والمخللات
يالها من مائدة لم يكن هناك أي قيود على الطعام . يمكنك
أن تطلب أي شيء وتتناول منه القدر الذي تريد . لقد ملأنا
بطوننا يومها بما لم يترك مكانا حتى لرشفة ماء .

وبعد كل ذلك ، تجد النادلين يمرون عليك ليملأون طبقك من جديد بأطيب المشهيات . فترفض وتضع يدك على الطبق . ولكنهم يتركونها أمامك على المائدة . وعندما فرغ الجميع ، قدموا لنا بعض المشويات التي لم أكن أعرفها من قبل . لقد أكلت يومها حتى عجزت عن الوقوف على قدمي . وما أن عدت أدراجي حتى ارتميت على فراشي ورحت في نوم عميق . كم كان كريماً صاحب تلك الدعوة .

تذوق مدهو روعة تلك المشهيات في خياله فقال :

ألا تقام الآن أية احتفالات من هذا النوع ؟

من ذا الذي يستطيع إقامة مثل هذه الاحتفالات الآن ! إنه عصر مختلف يا بني ، يحرص فيه الناس على تقليل نفقاتهم جهد الاستطاعة .

فهم لا ينفقون على أفراحهم ولا معازيمهم . ولا أعرف ماذا سيفعلون بكل ما يكتنزون من ثروات كونوها بنهب الفلاحين . إن هناك حداً لتكديس الأموال . والناس لا يجب أن تفكر في الاقتصاد إلا عندما تزيد النفقات .

لا بد وأنت التهمت يومها عشرين كعكة على الأقل .

بل أكثر من عشرين .

لو كنت هناك لأكلت خمسين .

حتى الخمسين لم تكن لتكفيني آنذاك . لقد كنت رجلاً عفيفاً ، قوي البنية ، ربما زاد وزني وقتها عن وزنك الآن .

شرباً بعض الماء بعد أن انتهيا من تناولهما البطاطس وافترشا الأرض بجوار النار ، وهما يكادان يستتران عورتهم ببعض الخرق البالية . بدا الأمر كأنهما ثعبانان ضخمان ملتويان ، وقد ثنيا ساقيهما لأعلى . غطا في نوم عميق وأنات " بدهيا " تعلو من الداخل .

عندما وطأ مدهو الكوخ في الصباح الباكر ، وجد زوجته ترقد بلا روح في فراشها . وقد احتشد الذباب على وجهها وتحجرت عيناها . أما جسدها ، فاكتسى بالتراب . مات الجنين في رحمها .

هرع مدهو إلى جيسو ليخبره بما رأى . ذهب الاثنان يبيكان وينتحبان ويضربان بكفيهما على صدريهما . عندما سمع الجيران عويلهما ، أسرعوا إليهما ، يحاولون مواساتهما في هذه النكبة بأحدث صيحات تقديم واجب العزاء .

وفجأة وفي غمرة هذه المصيبة ، أفاق الاثنان على أمر واقع ، هناك ترتيبات لابد من أن ينتهيا منها . فعليهما أن يوفرأ كفناً وخشياً . ليس هناك إذن وقت للبكاء . ولكن ماذا

سيفعلان والنقود تتدر في جيوبهما ندرة اللحم في وكر
الحدأة.

لجأ الأب وولده وهما يبكيان إلى أثرياء القرية ، الذين
يكرهون مجرد رؤية وجهيهما . وقد نالا منهما نصيبا وافراً
من الضرب في مناسبات عديدة كالسرقة مرة ، وإعطاء
الوعود الزائفة بالعمل لديهم مرة أخرى . عندما رآهما أحدهم
على هذه الحالة توجه إلى جيسو بالسؤال :

ما الأمر يا رجل ؟ لِمَ كل هذا البكاء ؟ أهناك ما يسوءك ؟
إنني حتى لا أراك كثيراً هذه الأيام . لقد ظننتك تركت
القرية.

ارتقى جيسو على الأرض وعيناه تفيض بالدمع .
وأجاب:

سيدي إنني أمر بمحنة قاسية . لقد توفيت زوجة مادهو
بالأمس بعد صراع مع الألم دام طوال الليل . ولم يقف كل
ما قمنا به من أجلها أمام مصيرها المحتوم . فلا الدواء أفاد
ولا العناية التي أوليناها بها أتت ثمارها . الآن وقد رحلت ،
انهار كل شيء وتحطم وليس هناك من يمن علينا حتى
بكسرة خبز . سيدي ، إنني عبدك ، من غيرك سيساعدنا
على الانتهاء من ترتيبات الدفن الأخيرة ؟ لقد استنفد علاجها

كل ما في جيوبنا . فكيف السبيل الآن إلى مواراة جسدها إن لم تأخذك بنا الشفقة . من لنا غيرك في هذه الدنيا لنلجأ إليه ؟

وصاحب البيت رجل رقيق القلب ، ولكن عندما يصل الأمر إلى جيسو لا تعرف الشفقة إلى قلبه سبيلا . وفي هذه اللحظة ، كم تمنى أن يعبر عما يجول بخاطره ويقول له :

اغرب عن وجهي فكم مرة أرسلت في طلبك ، وكان أذنك إحداهما من طين والأخرى من عجين . الآن وقد زل قدمك وهويت في حفرة لا تقوى على الخروج منها بمفردك، تتوسل إلى وتطلب العون ، يالك من نذل حقير .

لم ينقذ جيسو من سماع تلك العبارات سوى الموقف ذاته. فالوقت ليس مناسباً للتأنيب أو التقرير . وبالرغم من ضيق الرجل لأنه لم ينطق بما كان يتمنى ، أخرج من جيبه روبيتين وألقى بهما أمام جيسو دون أن يعبأ حتى بالنظر إليه. فالأمر بالنسبة له لا يعدو شراء راحة رأسه من ضجيج هذين المخلوقين الغريبين . ولكنه بالنسبة لجيسو أكبر من ذلك بكثير لقد أوحى له عقله باستغلال الموقف قدر ما يكون الاستغلال . فمن من أعيان القرية سيرفض إعطاءه بعضاً من المال بعد أن يعلم بموقف صاحب البيت الإقطاعي .

صدق جيسو في تخمينه . فهذا أحدهم يمن عليه بآنتين^(١) ،
وذاك يمن عليه بأربعة . وفي أقل من ساعة ، جمع مبلغا
محترما من المال يصل إلى خمس روبيات . بل إن بعضهم
أعطاه قدرا من القمح وبعضا من الخشب وعندما انتصف
اليوم ، ذهب جيسو و مادهو لشراء قماش الكفن من أحد
المتاجر ، بينما انشغل آخرون بتقطيع الخشب والانتهاء من
ترتيبات الدفن الأخرى .

أما نساء القرية من ذوات القلوب الرحيمة ، كان عليهن
إلقاء نظرة على الجثمان وذرف بعض الدموع على الفقيدة .

في الطريق إلى المتجر ، سأل جيسو ولده :

أليس لدينا الآن من الخشب ما يكفي لحرق الجثمان ؟

بلى . كل ما ينقصنا هو الكفن .

سنشتريه حتما ولكن لنبحث عن كفن رخيص الثمن .

بالطبع . ولماذا لا يكون ؟! فالليل سيكون قد أسدل
ستائره عند عودتنا من عساه أن يكتشف في حلقة الظلام من
أي نوع هذا القماش ؟!

(١) عملة هندية جزء من الروبية (المترجم)

إن الأمر برمته لا يعدو أن يكون عادة سخيفة . فالمرء قد يعيش حياته دون أن يعرف ملمس القماش الجديد ، ولكن عندما يموت لا بد أن نأتي له بقماش جديد من أجل كفنه .

صدقت . ألا يحرق في النهاية مع الجثمان .

بلى ، إنه لا يعيد إلى الحياة مرة أخرى ، ولكن لو حصلنا على هذه الروبيات من قبل لاستطعنا أن نوفر لزوجتك العناية والعلاج اللازمين .

ذهب الاثنان بعد هذا الحوار في صمت عميق وكان كلا منهما يحاول أن يخمن نوايا الآخر الخفية . أخذا يجوبان السوق من محل إلى آخر ويتفحصان ما يُعرض عليهما من أقمشة ، فلا ينال أي منها رضاها .

ظلا على هذه الحال إلى أن حل الليل وهبط الظلام . وبقدرة خفية وجدنا نفسيهما على أعتاب محل لبيع الخمور . وكان بينهما اتفاقا مسبقا ، خطا الاثنان داخل المكان ، وقفوا مترددين لبرهة ، ثم تقدم جيسو نحو البائع وقال :

أريد زجاجة خمر من فضلك .

أخذا ما أرادا ثم طلبا بعض المشهيات والأسماء المشوية.
جلسا في شرفة المحل ليستمتعا بمذاق الشراب في جو هادئ .

وبلهفة وسرعة شديدتين ، تناولا أقذاح الخمر حتى الثمالة، وقال جيسو لولده :

بماذا كان سينفع الكفن ؟ هل كان سيبقي مع روحها ؟ ألم نكن لنحرقه مع جثمانها ؟

رفع مادهو رأسه نحو السماء كما لو كان يدعوها لأن تشهد على براءته ، أجاب :

إنه مجرد تقليد ، وإلا ما الذي يجعل الناس تعطي آلاف الروبيات لرجال الدين ، وهم لا يعرفون بماذا تنفع موتاهم ؟!

إن الأثرياء يا بني لديهم من المال ما لا يعرفون أين ينفقونه . فليس عليهم جناح أن يفعلوا ذلك . أما نحن ، فليس لدينا من المال ما نهدره .

ولكن ، بماذا سنجيب عندما يسأل الناس عن الكفن .

أجاب جيسو ضاحكا :

سنخبرهم أن النقود قد فُقدت ، وأننا بحثنا عنها طويلا ولم
نجدها لن يصدقونا ولكنهم سيعطوننا بدلا منها .

ضحك مادهو على هذا الكنز الذي فُتح أمامهما دون أن
يحسبوا له حساباً ، قال :

لقد كانت سيدة فاضلة ، تطعمنا بموتها ، كما كانت تفعل
في حياتها . شرب الرجل وولده أكثر من نصف زجاجة
الخمير ، وأرسل جيسو مادهو للمحل المقابل ليشتري بعض
كعك البوريس والمخللات واللحم والكبدة اللذيذة والأسماك
المقلية . هرع مادهو إلى هناك وأحضر كل شيء . دخل
يحمل في يده لفافة ضخمة انفق على ما بداخلها روبية
ونصف . لم يعد لديهما الآن سوى بعض "آنات" لا تجدي ولا
تضر .

انقض الاثنان على الطعام كأنهما أسدان وقعا على فريسة
ثمينة في أدغال الغابة ، غير عابئين بسمعة سيئة تنال منهما
أو نظرات آخرين تطالبهما بتقديم إجابات . فقد تغلبوا على
مثل هذه المشاعر منذ زمن بعيد .

وبأسلوب فلسفي قال جيسو لولده :

إن روحينا تباركها الآن وسيظل ما قدمته لنا بموتها من
أعظم مآثرها . أوما مدهو برأسه مستحسنا حديث والده
وقال " صدقت " . وتوجه يدعو :

يا الله ، يا من تعلم خبايا الصدور ، اجعل مثواها الجنة ،
إننا نباركها من أعماق فؤادينا . لقد جعلتنا اليوم نتذوق طعاما
ما عرفناه من قبل .

مرت فترة صمت وجيزة ، اخترقت خلالها سهام الفضول
صدر مدهو فبادر يسأل والده :

ألن نذهب حيث هي الآن فى يوم من الأيام ؟

ولأن جيسو لم يرغب فى إفساد نشوة اللحظة ، لم يعط أي
جواب على هذا السؤال البريء .

أردف مدهو قائلا :

بماذا سنجيب الناس عندما تسألنا لماذا لم نأت لها بكفن ؟

هراء !

ستسألنا حتما .

ومن قال أن لن يكون لديها كفن ؟ أتظنني أبله ، أم
تحسبني لم أتعلم شيئاً خلال ستين عاماً عشتها في هذه
الدنيا ؟ سيكون لديها كفن ، وكفن أفضل بكثير مما كنا
سنأتي لها به .

ومن الذي سيأتي لها بهذا الكفن ؟ لقد بددت كل ما لدينا
من نقود ولكن عند السؤال ساكون أنا الملوم .

تملك الغضب من جيسو ، فصاح في ولده :

قلت لك سيكون لديها كفن ، لماذا لا تستمع إلي ما أقول؟

خبرني إذن ، من سيأتي بهذا الكفن ؟

نفس الذين أعطونا ثمنه المرة السابقة . ولكن هذه المرة
سيقومون هم بشرائه .

هبط الظلام ، فتجلت روعة وجمال النجوم التي ترصع
السماء ، وبداخل المكان ، علت صيحات النشوة والابتهاج .
فهذا يغني ، وذاك يصيح ، وآخر يهيم عشقا بمحبوبته ،
وغيره يسقي صديقه من كأسه .

إن الجو في المكان يسكر من روعته بغير خمر ، فيُسقط
الكثيرين سكارى بعد تناول بعض قطرات النبيذ ، حيث تفعل

بهم نسمات الهواء ما لم تفعله الخمر . لقد دفعتهم هموم الحياة إلى هنا ، فنسوا لبعض الوقت ما إذا كانوا أحياء أم أمواتا ؟ ربما كانوا يشعرون أنهم ليسوا بأحياء أو أموات .

ظل هذان الاثنان يرتشفان الخمر ويستمتعان ، وقد تركزت كل العيون عليهما ، تحسدهما على ما هما فيه وعلى ما ينعمان به من حظ وافر ، فأمامهما بمفردهما زجاجة خمر كاملة .

أعطى مادهو ، بعد أن انتهيا من طعامهما ما تبقى من لفافة الطعام لشحاذ وقف بالقرب منهما وعيناه تصيحان بالجوع . عرف لأول مرة في حياته مشاعر أن تهب شيئا . فامتلا تيها وزهوا واعتادا بذاته .

نظر جيسو إلى الشحاذ قائلا :

خدها وكل ما شئت ، ثم ادع لنا . ان ثمن هذا الطعام من مال سيدة توفت لتوها ، ولكن دعواتك حتما ستصلها .

رفع مادهو رأسه نحو السماء وقال :

ألن تدخل زوجتي الجنة ؟

نعم يا ولدي لقد كانت سيدة فاضلة ، لم تؤذ أو تجرح مخلوقا طوال حياتها . بل والأكثر من ذلك ، إنها حققت لنا بموتها أملا طال سجنه في صدورنا . إذا لم تدخل الجنة بعد ذلك من تراه يدخلها من هؤلاء البدناء الذين يمتصون دماء الفقراء ، ثم يتوسلون ويتضرعون لأن تُغفر ذنوبهم ؟

لم يدم هذا المزاج التضرعي طويلا . فتقلبات المزاج هي إحدى مصاحبات الخمر ، انتقلا ليعزفا نغمات مقطوعة أخرى ، حزينة وكئيبة هذه المرة ، قال مادهو :

حقا يا والدي ، ولكن الفقراء يعانون نار جهنم على الأرض . فكم كانت نهايتها أليمة .

وضع مادهو رأسه بين كفيه وأخذ يبكي بكاء مريرا ، حاول جيسو أن يعزّيه ويخفف من آلامه قال :

لماذا البكاء يا بني ؟! يجب أن تشعر بالسعادة لقد وجدت زوجتك الخلاص من قيود العالم المادي ، وتحررت إلى الأبد من أحزانها وآلامها .

وقف الاثنان وبدءا ينشدان أغنية " لماذا تنظر إلينا ؟ " ، وعيون الحاضرين شاخصة إليهما ، ولكن لم يمنعهما هذا من الاستمرار في الغناء والاستمتاع بنشوة ثملهما ، بل والرقص .

أخذا يثبان ويقفزان ويقفان ويجلسان ، ويمثلان ويجسدان
مشاعر وانفعالات وعيونهما تنتظر هنا وهناك .. إلى أن هوى
سكاري .

ربة البيت

د. عصمت جفتائي*

منذ اليوم الذي دخلت الخادمة الجديدة في بيت ميرزا ،
عم هناك حماس شديد بين الجيران ، فالكناس الذي يتجنب
العمل عادة ويماطل فيه ، بدأ ينظف الدار والفسحة التي تمتد
أمامها بشغف وبانتظام، وبائع الحليب المعروف بمزجه الماء
في اللبن يأتي باللبن الخالص الذي تطفو عليه طبقة سميكة
من القشدة والزبدة

من يستطيع أن يدعوها بـ " لاجو " أو " الحيّة " فإنها
لم تعرف الحياء قط في حياتها ، لا يعرف الناس من التي
ولدتها ثم تركتها مشردة في الشوارع لتبكي على طفولتها ،
ثم بلغت الفتاة يوما ما ، سائلة أحيانا وجائعة أخرى ، مرحلة
من عمرها حيث استطاعت أن تنتزع عيشها بنفسها ، إن
الشباب قد صاغها فأدق منها بعض الشيء وأجل البعض
الآخر فأصبح ذلك الشيء الوحيد الذي تملكه في الحياة وحياة
الشارع قد أدت بها إلى لغز وغموض وأسرار وأستار .

وإنها لم تحفل ، لو لم يكن ذلك مما يكسب لها النقود فقد
يكون إرضاء للغريزة. فإذا لم يجد المحب من مال أو نقود
يدفعها إليها ، فإنها تهب له نفسها حتى بدون مقابل .

" ألا تستحين أيتها المرأة " ؟ سألتها الناس .

" ولم لا " ؟ ترد " لاجو " بكل وقاحة وجهها يحمر من الحياء .

" سوف تتدمين وتتحسرين يوما ما "

" لا أبالي بمثل هذه الأشياء الطفيفة "

وحقا كيف تستطيع هي ؟ فالوجه البريء وعينان سوداوان و أسنان متناسقة، ولون وجهها النشوان ومشبيتها المثيرة المتمايلة . كان الميرزا أعزب وقد أنهكه الطبخ وخاصة إعداد الخبز كل يوم وجعله ذلك غير سعيد في الوجود . كان يملك دكانا صغيرا للبقالة يدعو به بكل اعتزاز " المخزن العام " ولا يفسح الدكان للميرزا مجالا من الوقت حتى يذهب إلى موطنه ويتزوج ،

عثر " بخشى " صديق " الميرزا " على " لاجو " في إحدى محطات الحافلات كانت زوجة بخشى حاملا لتسعة أشهر وكانت في حاجة إلى الخادمة ولما انقضت الحاجة سلمها " بخشى " إلى الميرزا ، لأنه فكر أن الميرزا بدلا من أن يبذل الأموال عند المومسات ، لماذا لا ينتفع بها بدون مقابل ؟

" إن الله حرمها لن أسمح لأجنبية تبث في بيتي "

رد الميرزا على صديقه قائلاً خذها معك يا "بخشى"
ولكن "لاجو" كانت قد دخلت المنزل فعلاً وشمرت عن
ساقى الجد وأخذت المكنسة في يدها لتنظيف بيت الميرزا
بكل إخلاص . وعندما أبلغها "بخشى" رفض الميرزا لم
تصغ إليه كأنها صماء لا تسمع شيئاً .

أمرته بتنسيق الستائر والأوعية على رف المطبخ
وخرجت لتحضر الماء . " لو شئت لأخذتك معي إلى بيتي
مرة أخرى " سألها "بخشى"

اخرج من هنا ، هل أنت زوجي لتصاحبني إلى بيت أمي؟
اذهب ، أنا سوف أعالج سيدي بنفسى .

غادر بخشى تاركاً الميرزا فى مأزق ، ولا ناصر
له، فأسرع المسكين إلى المسجد ليلجأ فيه . إنه لم يكن مستعداً
قط لأن يتحمل عبئاً مالياً آخر ، ثم إنها قد تكون خداعة أو
لصة ، ما هذه الورطة التي أوقعه فيها بخشى ، يا ترى ؟!

ولكن أخذته الحيرة عندما عاد إلى البيت ، فكانها عادت
إليه المغفور لها أمه " بي أمان " فأصبح البيت يتلألاً .

هل أحضر العشاء يا سيدي ؟ سألت " لا جو " ثم غابت في المطبخ وكانت أعدت البطاطس وعدس المونغ المحمر بالبصل والثوم على نحو ما كانت تطبخه الأم المرحومة بالضبط : كيف دبرت كل ذلك ؟ سألتها الميرزا مستغربا ،

" اقترضت كل ذلك من البقال "

" اسمعي أنا سوف أدفع لك أجره السفر للعودة ، إنني لا أستطيع أن أتحمل أجره خدامة :

" من يطلب منك الأجرة ؟ "

" ولكن "

" هل الطعام حار ؟ سألت لاجو ، ودست رغيفا آخر في طبق " ليس الطعام ولكني أنا حار في الواقع ، أحترق من رأسي إلى قدمي " أراد الميرزا أن يصرخ في وجهها ودخل غرفته للنوم .

" كلا يا سيدي . أنا هنا لخير ما ، " هددت " لاجو " عندما أثار المسألة مرة أخرى في الصباح التالي .

" ولكن "

" هل لا يعجبك الطعام ؟ "

" القضية ليست كذلك "

" هل أنا لا أنظف المواعين والدار كلها على أحسن وجه ؟ "

" ليست القضية هكذا كما قلت "

" ثم ماذا ؟ ثارت " لاجو "

إنها وقعت في الحب ، ليس في حب الميرزا ولكن في حب الدار كان بخشى الخداع اكترى حجرة لها ذات مرة ، وكان الذي يقطنها قبل ذلك جاموس ولقد مات الجاموس وذهب إلى الجحيم ، ولكن ترك وراءه رائحته الكريهة . ولم يعاملها بخشى معاملة لائقة .

ولكنها أصبحت الآن سيدة لبیت الميرزا بدون منازع . ثم إن الميرزا رجل بسيط ، بدون أي تعقيد فيه ، ينسل إلى البيت بهدوء ويتناول ما أحضر له من الطعام .

ولقد فحص الميرزا عدة مرات بدوره الحسابات وتأكد من أن " لا جو " لا تخدعه .

كانت لاجو تزور أحيانا جدة رامو ، وهو الشاب التائه المستهتر المساعد للميرزا في دكانه ، وأحب ذلك الشاب التائه المستهتر لاجو منذ أول نظرة إليها ، وهو الذي أخبرها بزيارات متكررة يقوم بها الميرزا. وذلك جرح عواطف " لاجو " وفضلا عن ذلك ما هي للغانيات فائدة وجودها في البيت إذن ؟ فإنها أينما استخدمت قامت بواجبها خير قيام مهما تكن نوعيته ، وهنا مر أسبوع عفيف بكامله ، إنها لم تجد نفسها غير مرغوب فيها قط كما كان الحال في هذه المرة .

ولقد جاءت مختلف العروض في هذه الأثناء ولكنها كانت على أية حال خادمة الميرزا قبل كل شيء ، فرفضتها كلها حتى لا يصير الميرزا أضحوكة . وهنا كان الميرزا صخرة من تلج أو كان يبدو كذلك . لم تستطع " لاجو " أن تلمس بركانها يثور في داخله. ظل خارجا عن البيت متعمدا في معظم الأوقات .

أصبح اسم " لاجو " حديث المجالس فقد لطمت اليوم بائع الحليب وألقت يوم أمس بسلة من القاذورات في وجه البقال وهكذا، أصر مدرس المدرسة على تعليمها . وتمتم مؤذن المسجد بكلمات باللغة العربية داعيا الله أن يزيل ذلك الخطر المحدق .

دخل الميرزا مضطربا متضايقا بعض الشيء . كانت
لاجو قد استحمت لتوها تاركة شعرها.

- المبلل ينساب على كتفها . ولقد أضاء نار الموقد
خديها وملأت عينيها بالماء ودهشت لدخول الميرزا في غير
ميعاد .

أصبح الميرزا مغلوبا على أمره تقريبا ، بعد أن تناول
الطعام بكل هدوء أخذ عصاه وذهب إلى المسجد ، ولكن
البقاء في المسجد لم يهدئ باله حيث طافت به سلسلة من
الأفكار حول البيت .

لم يستطع أن يمكث خارج البيت طويلا فعاد ، فوجد لاجو
تتعارك على عتبة البيت مع رجل، وفر الرجل بعد أن رأى
الميرزا .

من كان هذا ؟ سألتها الميرزا بلهجة مريرة كأنها من زوج
يشك في أمر زوجته .

" راغو "

" راغو " ؟ كان الميرزا يشتري منه اللبن منذ سنوات
ومع ذلك لم يعرف اسمه .

" هل أحضر النارجيلة ؟ غيرت لاجو الموضوع

" لا " لماذا كان هذا الرجل هنا ؟

" كان يسألني ما هي الكمية التي يجلبها من اللبن منذ الآن؟

" وماذا قلت إذن ؟ "

" قلت له عجل الله جنازتك ، اجلب الكمية العادية "

" ثم ماذا ؟ " سألها الميرزا غاضبا . فقلت له اذهب أيها الملعون وصب الكمية الإضافية من الحليب في فى أمك وشقيقتك .

" لا تسمح لي لذلك الوغد بأن تطأ قدماء هذه الأرض مرة أخرى أنا سوف آخذ الحليب عند عودتي من الدكان .

وفي تلك الليلة بالذات وبعد أن تناول العشاء لبس الميرزا قميصا مطرزا ومكويا وألصق قطعة معطرة من القطن في إحدى أذنيه وأخذ عصاه وخرج من البيت .

عصر الحقد قلب لاجو وصبت اللعنة على البنت الغانية
وجلست مندهشة مذهولة . هل كان الميرزا قليل الاهتمام بها
حقا ؟ كيف يمكن ذلك ؟ " تحدثت إلى نفسها مستغربة .

وكانت البنت الغانية تساوم أحد زبائنها . فأزعج ذلك
الميرزا فعاد وجلس على دكان " لالا " وهنا أفاض غضبه
على التضخم وارتفاع الأسعار والسياسة الوطنية وما إلى
ذلك .. وعاد إلى البيت في منتصف الليل منهمكا مكدودا
وثائرا بعض الشيء . شرب كمية كبيرة من الماء البارد ،
ولكن النار التي كانت تتأجج في داخله لم تزل تلتهب .

وبجانب ذلك كانت رجلا " لاجو " الناعمتان الذهبيتان
تلمعان من الباب المفتوح . خرج رنين خلخالها عند ما تقلبت
في نومها بدون انتباه . صب الميرزا كأسا آخر من الماء
ورمى بجسمه في سريره لاعنا كل شيء تحت أديم السماء .

ولقد جعلته التقلبات غير المتناهية في الفراش مكدودا
منهوكا وملأت كؤوسا عديدة من الماء معدته ، إن استدارة
الرجل وراء الباب لم تكن لتقاوم . أحاطته مخاوف مجهولة ،
ولكن الشيطان تغلب عليه في النهاية . كان قد تمشى أميالا
ما بين المطبخ وغرفة النوم ، ولكن الآن لم يتمكن حتى من
أن يخطو خطوة واحدة .

وعند ذلك مرت فكرة بريئة للغاية بذهنه . لو لم تكن رجل لاجو مكشوفة هكذا لم يكن قد أقلقه شيء ، وأخذت هذه الفكرة تتقوى تدريجيا ، وقال الميرزا : ماذا سيحدث إذا استيقظت ؟ ومع ذلك كان عليه أن يلقي بنفسه بعيدا عن هذا الخطر لسلامته هو نفسه .

نزع شبشبته من تحت السرير وكنم أنفاسه وتسلل إلى الغرفة بكل حذر ، ورفع طرف إزارها وبسطه إلى أسفل ليغطي به ساقيهما المكشوفتين ، ووقف برهة لا يدري ماذا يفعل ثم عاد .

وبحركة متعجلة أمسكته " لاجو " بذراعيها . الميرزا لم يتفوه بكلمة . إنه لم يرتكب خطيئة كهذه قط في حياته . ففاضل و قاوم ولكن لاجو لم تدعه يذهب .

وعندما واجه لاجو في الصباح التالي ، استحييت كعروس : لاجو المنتصرة ذهبت لشئونها بكل جرأة . كحلت عينيها ولم يظهر أي خجل في عينيها على ما حدث في ظلام الليل . فعندما جلس الميرزا ليتناول فطوره جلست على عتبة الباب تحرك المروحة كالمعتاد لتبعد الذباب .

بعد ظهر ذلك اليوم عندما أتت له بالغداء في المخزن ، لاحظ لمعانا في مظهرها . كلما تأتي لاجو إلى المخزن ،

الناس يتوقفون ويستفسرون عن أسعار المواد المعروضة في المحل .

وتبيع في وقفة قصيرة مالا يستطيع الميرزا أن يبيعه طول النهار .

بدأ الميرزا يتحسن في مظهره . وقد عرف الناس السبب في ذلك واحترقوا حقدا .

وأصبح الميرزا بدوره فزعا مرتابا وكلما تزداد لاجو في خدمته ورعايته يزداد الميرزا ولعا وحباً لها وشفقة عليها من الجيران . عندما تأتي بالغداء له ، كل السوق يهتم بوجودها .

" لا تأتي بالطعام إلى بعد ذلك اليوم " قال لها ذات يوم " ولماذا ؟ " تغير لون وجهها ، فالإقامة بالبيت دائماً مملّة بالنسبة لها ، والذهاب إلى السوق كان بمثابة فترة النزهة الطيبة ، ولكن بعد منعها من حمل الغداء إليه ، هاجمت الميرزا شكوك كبيرة بدأ يتردد إلى البيت في ساعة غير عادية ليتجسس عليها وهي تلح عليه بدورها بأجر كامل جزاء عنايته بها .

وذات يوم عند ما وجدها تلعب لعبة " الكبدى " الهندية مع أطفال الشارع ثارت ثورته ، كان إزارها يطير في الهواء

والصبية تلتف حولها وتختفي في إزارها . مر الميرزا بالقرب من مكان اللعبة حانقا غاضبا ، وأثار ذلك حيرة المشاهدين .

كان الميرزا أصبح مغرما بلاجو حتى أن مجرد خيال الانفصال عنها يزعجه . فلم يستطع تركيز عنايته اللازمة بدكانه وبدأ يخشى من أنها قد تتركه يوما ما .

" لماذا لا يتزوج الميرزا بها ، اقترح ميرن ميان "

" والله نهى عن ذلك ، صاح الميرزا في وجهه . كيف يمكن أن يدخل في مثل هذه العلاقة الطيبة مع مومس ؟

ولكن ذلك اليوم عندما لم يجدها الميرزا بالبيت شعر بشيء من الخسارة ، وكان " لالا " البقال على رأس قائمة المتربسين بها منذ البداية وقد عرض لها بيتا للسكن ، وحتى أن ميرن ميان الصديق المخلص للميرزا من كل ناحية كان نفسه مكلوما بعيني لاجو الساحرتين ولم يستطع أن يخفي رغبته عنها .

وكاد الميرزا أن يفقد الأمل ، وإذا بلاجو تصرح بأنها ذهبت لزيارة جدة رامو .

وقد استقر رأى الميرزا ذلك اليوم أن يتخذ لاجو زوجا له مضحيا في ذلك بكرامة أسرته وشرفها .

- " ولكن لماذا يا سيدي " تساءلت لاجو وهي مندهشة على ذلك الاقتراح .

- ولم لا ؟ هل لا تزالين تفضلين أي مكان آخر أو تريدين أن تتخذي أي كائن آخر شريكا لك في الحياة ؟

- " ولماذا أفضل أي شخص آخر ؟ "

" ألم يكن ذلك البقال يعرض عليك بيتا للسكن ؟

- " والله أنا لن أبصق على قصره "

إلا أن الحاجة إلى الزواج قد أذهلتها كلية ، إنها سوف تكون زوجا له للأبد : إن سيذا مثله لن يمكن العثور عليه . لاجو كانت تعرف جيدا أن الميرزا نبيل شريف ومخلصى وفى . وأن أسيادها السابقين كلهم لم يكن همهم سوى أن يأخذوا نصيبهم منها ثم يضربونها ويطردونها من البيت وبالعكس من هؤلاء ظل الميرزا عطوفا ومحبا لها منذ البداية ، وقد اشترى لها بعض الملابس وقلادة ذهبية وخواتم وأقراطا مع أنه لم تستطع أي امرأة من سبعة أجيال من أسرة لاجو أن تتحلى بالذهب الخالص .

وعندما ذكر الميرزا خطته هذه لجدة رامو ، فإنها أيضا قد أخذتها الحيرة .

" لماذا تعلق جرسا في عنقك يا سيدي ، سألت العجوز " هل لا تزال تصرفاتها شائنة ؟ مجرد ضرب مبرح سوف يقوم اعوجاجها وحيث إن مجرد الضرب يكفي فلماذا تفكر في الزواج؟

ولكن الميرزا كان مقهورا مغلوبا بفكرة الزواج .

" فلماذا هذا التأخر ؟ هل تترددان في ذلك بسبب الاختلاف في الدين " ؟ هكذا سألت جدة رامو : " لا ليست المسألة كذلك وإنما اعتبرته دائما زوجا لي " كانت لاجو قد اعتبرت أن المحب العابر زوجا عابرا ، خدمته بكل ما أوتيت من كفاءة ، مع أن الثراء لم يبد عليها إلا أنها قد وهبت نفسها كلياً ، جسما وروحا . ولكن ميرزا كان من الاستثناءات طبعاً حيث إن لاجو قد عرفت لأول مرة ما هو السرور والمتعة في صفقة الأخذ والعطاء معه ، ومقارنة بكل من سواه فهم خنازير .

وكذلك لأن الزواج إنما هو للعداوى فكيف تصلح لأن تكون عروسا ، إنها ألحت في الطلب ، ودافعت عنه وأعربت عن ترددتها على ذلك الأساس ، ولكن الميرزا كان مصرا على أن يدخل معها في عقد النكاح الشرعي .

وفي ذلك اليوم بالذات تم عقد الزواج بعد صلاة العصر
تغنت الفتيات الشابات من البيوتات المجاورة أغاني الزواج
وأعد الميرزا وليمة لأصدقائه ، ومنذ ذلك الحين أصبحت "
لاجو " التي أعيد تسميتها بـ " كنيز فاطمة " زوجا للميرزا
عرفان على بيك .

وقد فرض الميرزا حظرا على لبس " لهنكا " وهو إزار
مفتوح من الأسفل عند القدمين تلبسه النسوة في الأرياف
وأمرها بلبس " جوريدار " (وهو سروال يغطي العورة إلى
أسفل القدمين تلبسه النسوة من الطبقة المحتشمة المتحفظة)
كانت لاجو على أية حال متعودة على فسحة مفتوحة بين
رجليها . وهذا الحظر الجديد المفروض كان استفزازا كبيرا
وإزعاجا لها ، ولم تكن مستأنسة به ، وذات يوم خلعت
رداءها لأول فرصة وجدتها وكادت أن تلبس " لهنكا " وإذا
بالميرزا قد دخل البيت ، وقد نسيت وهي في حالة ارتباك
شديد أن تربط نطاق الإزار حول خصرها بل تركته واقعا
على الأرض .

" لعنة الله عليك ، صرخ الميرزا في وجهها ، وأسرع
إليها ليغطيها بردائه .

لاجو لم تستطع فهم هذا السخط والصراخ والكلمات التي
خرجت من فيه بعد ذلك . ماذا أخطأت يا ترى ؟ فقد وقع
مثل ذلك العمل بالذات مرارا وتكرارا وأعجب ذلك الميرزا

في الماضي ، ولكن في هذه المرة قد اغتأظ إلى هذا الحد ،
أخذ " الالهنكا " ورمى به في النار .

غادر الميرزا تاركا لاجو مكدودة مذهولة ، فأزالت الرداء
ونظرت إلى جسدها بدقة وبإمعان . لتتأكد من أن مرضا
جلديا معديا ربما قد أصابها في ليلة واحدة .

وكانت تمسح دموعها وهي تستحم تحت أنبوب الماء في
مكان مفتوح ، وكان " متهوا " ابن الجيران يتسلق السقف كل
يوم بحجة تحليق الطيارات الورقية وراقبها وكانت متألّمة
محزونة ذلك اليوم إلى درجة أنها لم تضرب بيدها ولا رمت
بقبقابها على الولد ، بل ربطت الرداء حول جسدها وذهبت
إلى الداخل .

وقد لبست سروالا ، وأضيف إلى تعاستها أنها قد فقدت
نطاقها داخل الغلاف فصرخت مستجدة وظهرت " جلو "
إحدى الفتيات من الجيران ، وتم العثور على الرباط .

" من الأحق الذي اخترع جراب البندقية هذا كملبس
للمرأة ؟ " صاحت " لاجو " مستغربة .

ولما عاد الميرزا إلى البيت فيما بعد لعب النطاق ألعبته
مرة ثانية وحاولت " لاجو " بدون جدوى أن تمسك به
بأناملها ، ووجد الميرزا دهشتها مغرية له ، وبعد محاولة

مشتركة ، أمكن العثور على النطاق . ولكن معضلة قد رفعت رأسها بالنسبة للميرزا و كانت جذابة ساحرة في " لاجو " تحولت إلى وقاحة حياء في شخصية زوجته . فلم تكن ظاهرة الدلال والتبخر غير المحدود تلئم تقاليد أسرة شريفة ، لم تبرز " لاجو " عروس أحلامه ، التي تفتح طربا على مظاهر الحب من جانبه ، وتتصدع ألما لدى إهماله وتغافله ، فلم تكن " لاجو " الآن إلا مجرد العوبة ملقاة في الطريق .

إن القيود التي فرضها الميرزا على حريتها التي لم تكن تعرف حدوداً استطاع بها أن يكبل الوحش في داخلها ، وحاول ترويضها ، أو كأنها تتصور ذلك على الأقل وهكذا لم تعد في الميرزا رغبة الإسراع في العودة إلى البيت مثل السابق ، وبدأ يقضي معظم أوقاته مع الأصدقاء والزملاء ، حتى لا يتعرض لتهم عبودية الزوج .

وبدا للميرزا أن يعوض عدم وجوده بالبيت وانصرافه إلى أمور أخرى في الخارج ، باستخدام خادمة تعاون " لاجو " في القيام بأعمال البيت ، ولكن بمجرد الاستماع إلى هذا الاقتراح ثارت لاجو ، إنها كانت تعرف جيدا زيارات الميرزا للراقصات والمغنيات منذ أمد بعيد ، وتعرف أيضا أن كل رجل من جيرانها يتردد إليهن ، ولكنها لم تكن مستعدة لاستقبال أي امرأة ساقطة بالبيت ، وحتى لم تستطع التغاضي عن وجودها في المنزل فالويل كل الويل بالتي

اجترأت أن يطأ قدماها أرض مطبخها ، أو أن تمس يدها
الأواني التي نظفتها أحسن تنظيف فأصبحت لامعة بيضاء ،
إنها تهشمها وتجعلها إربا إربا إنها تستطيع أن تتحمل إشراك
امرأة أخرى في حقوقها على الميرزا ولكنها لا تتحمل
المشاركة في شئون منزلها مهما يكن الأمر .

وكان يبدو أن الميرزا قد نصب لاجو في بيته ثم نسيها
وكل ما يتعلق بها ، وقد مرت أسابيع ولم يقل لها سوى " نعم
و لا " وعندما كانت مجرد عشيقة تتركز عليها أعين الناس ،
ولكن منذ أن احتلت مكانة مشرفة لم تعد سوى أم أو أخت أو
بنت ولا يتطلع إلى ما وراء الستار الخفيف الذي تعيش
وراءه سوى " متهوا " ابن جارتها الوفي ، فإنه لا يزال يقفز
على السطح بحجة تحليق الطائرة ومن حسن الصدف أن مثل
هذه الصدف تقع كلما يبعد الميرزا عن البيت وتستحم لاجو
في الفناء .

وذات ليلة غاب الميرزا عن البيت طوال الليل ليحتفل
بعيد " دسهره " مع أصدقائه ، وعاد إلى البيت في الصباح .
وغسل يديه ووجهه ، وتوجه إلى الدكان ، وفي نفس ذلك
اليوم وقع بصرها وهي تستحم على السطح ، أو لأن سهام
أعين " متهوا " قد جرحت جسدها المبتل . وإذا بطيارته قد
انقطعت واحتكت الطائرة المقطوعة بجسمها وتألمت " لاجو "
وثارت ثائرتها ، فنهضت ، وأسرعت إلى الحجرة في غير
مبالاة وغير ملتفة بمنشفتها .

ومنذ ذلك اليوم لا يزال " متهوا " يحوم حول بيت الميرزا وكلما احتاجت لاجو إلى شيء تستدعيه من وراء الستار وتقول ، يا متهوا لا تكن كالعاطلين ، قم أيها الكسول ، واشتر لنا شيئا من " الكجوري " من السوق .

ولو لم يظهر " متهوا " على السطح عند استحمامها فإنها تضرب الدلو بكل قوتها حتى يستيقظ الموتى من قبورهم . إن متعة الحب التي قد جادت بها بملأ يديها طول حياتها كانت الآن من نصيب " متهوا " وإذا لم يحضر الميرزا للغداء يوما ما ، فإنها لا ترمي بالغداء وراء البيت بل كانت تطعمه ذا الحاجة ، ومن يكون أكثر احتياجا من متهوا ؟

وكان الميرزا متأكدا من أن رباط الزواج قد جعل من لاجو ربة البيت بكل معاني الكلمة فإن لم يكن شاهد بأم عينيه لما أيقن بالأمر . وقد ضحكت بملأ شديقيها عندما رأت الميرزا من غير ميعاد على عتبة الباب ، إنها لم تكن تقدر حتى في أفزع منامها أن الميرزا قد يثور إلى ذلك الحد .

ولكن متهوا قد توجس ما كان يخفيه المستقبل ، ففر هاربا وهو يمسك بيده أطراف إزاره ، ولم يقف ليشد إزاره إلا بعد أن اجتاز قرية بعد قرية ، وأما الميرزا فقد اندفع على " لاجو " ضربا مبرحا مؤلما كادت أن تلفظ أنفاسها من شدته . لو لم تكن قوية البنية .

وقد طار الخبر من أقصى القرية إلى أقصاها بأن الميرزا قد ألقى زوجه مع متهوا . وتوجه إلى مكان الحادث سكاى القرية جماعات و وحدانا ، وقد أخذهم اليأس عندما علموا أن متهوا بطل المسرحية تمكن من الهرب ، وأن " لاجو " زوج الميرزا ملقاة على الأرض مكدودة مهزومة لشدة ما لقيت من الضرب المبرح . وجاءت جدة رامو ، وحملتها إلى بيتها .

ولعل الناس كانوا قد ظنوا أن " لاجو " لابد من أن تتقزز بمجرد تصور الميرزا بعد هذا الضرب المبرح ، ولكن لم تكن ثمة شائبة لكراهية ، فقد حقق الضرب ما لم يحققه الزواج ، وقد توثقت الرابطة . وما أن فزع عنها إلا وقد سألت عن الميرزا ، فقد كان جميع أصيادها السابقين محبين مؤقتين ، فتعرضت عندهم دائما للضرب والتوبيخ والهوان ، ولا تسأل عن المرتب ، بل إنها تتعرض لأنواع الضرب والإهانة ، وحتى بعد أن تهب نفسها لهم كلية ، وكانت معاملة الميرزا معها حسنة دائما ، أما الصيادون الآخرون فقد ضيفوا بها أصدقائهم ، وأعاروهم إياها . ولكن الميرزا احتفظ بها لنفسه دائما ، واعتبرها متاعا له ، بدون أن يشاركه فيها أي شخص آخر .

أشار عليها متهوا بالهرب خلاصا لحياتها ، ولكنها أبست إلا أن تبقى على ما كانت عليه.

لا يعلم الميرزا كيف يتقي بوجهه من الدنيا ، ولم يكن أمامه طريق ليحافظ على شرف أسرته وكرامة بيته سوى أن يقتلها . أرسل إلى " ميرن ميان " يستدعيه وقال موبخا له ، لماذا أوقعت نفسك في ورطة لأجل تلك الكلبة ، طلقها ، وتخلص من تلك الساقطة اطردها ولا تذكرها أبدا .

فطلق الميرزا لاجو في نفس الوقت ، وبعث إليها اثنتين وثلاثين روبية صداقا لزواجها ، وبملابسها وسائر أشياءها ، عن طريق جدة رامو ، ولما سمعت " لاجو " عن الطلاق ، شعرت بهدوء واطمئنان ، فكان عقد النكاح نحسا عليها ، وكافة المتاعب التي تحملتها ، كانت من أجله .

- " ألا يزال سيدي ساخطا .. سألت جدة رامو إنه يتقزز حتى بالنظر إلى وجهك ويريد أن تبعدي من هنا وتموتي غرقا "

- " ثكلتك أمك ، اذهبي ، أغرقى جدتك "

وبعد أسبوعين من ملازمة الفراش نهضت " لاجو " وهي في أتم صحتها ، وقد بزرت من بين الضرب واللطم أجمل من ذي قبل ، وكانت لها جاذبية أكثر من السابق ، وكلما خرجت لتشتري حاجتها ، كانت الثورة تعم السوق . وأما الميرزا فكانه حي ميت ، يتقطع حياءً ، وذات يوم رآها أملم

دكان البقال ، وهي تجادل في أمر ما ، فكان البقال لا يتمالك نفسه ، فانسدل الميرزا من المكان معرضا عما يدور .

" أنت مجنون يا صديقي ، لماذا يهكم ما تعمله هي ، فقد طلقتهأ أليس كذلك ، سألته " ميرن ميان "

"إنها كانت زوجتي لفترة من الزمن "

" الحقيقة ، أنها لم تكن زوجتك قط "

" إنه غير شرعي من أساسه "

" وكيف ذلك ؟ "

" لم يكن إذ شرعياً قط ، فلا أحد يعرف من كان سبب وجودها في الكون ، وأظن أنها امرأة غير شرعية "

أصدر " ميرن ميان " حكمه القاطع .

" فكان النكاح لم يتم قط ؟ استفسر الميرزا

" ويعني ذلك أنني لم أفقد شيئاً ؟ وأن شرف أسرتي وكرامتها لا تزال كما هي ؟ "

اطمان الميرزا لذلك وتهلل بشرا ، ولكن ماذا سيكون عن الطلاق ؟ سأل بشيء من الانزعاج .

" عزيزي لم يتم النكاح ولا وقع الطلاق "

" فقد ضاعت الاثنتان وثلاثون روبية " قال الميرزا بلهجة محزونة وانتشر الخبر في القرية فورا ، بأن زواج الميرزا من عروسه لم يُثبت قط ، النكاح والطلاق كلاهما غير شرعي .

ولما سمعت " لاجو " بالخبر جعلت ترقص من شدة الفرح ، فقد انكسر الحلم المخيف للزواج والطلاق ، والأمر الذي كان أكثر سرورا لها ، هو أن الميرزا لا يلجأ إلى التستر بوجهه عن أعين الناس ، وكان يقلقها بإخلاص أن الميرزا ، قد فقد من كرامته لأجلها ، ما أحسن أن يكون المرء من غير أب وأم قالت في نفسها ، " لا قدر الله . لو كانت بنت حلال " ارتعدت بمجرد هذه الفكرة الخيالية .

وكانت " لاجو " تشعر بضيق النفس والاختناق في بيت جدة رامو ، تزعجها دائما فكرة البيت ، الميرزا قد لا يكنس البيت ولا ينظفه خوفا من السرقة ، وقد يكون المطبخ مخزن القاذورات والنفايات وذات يوم كان الميرزا يذهب إلى دكانه ، وإذا بلاجو ، قد اعترضته في الطريق ، وسألته قائلة : " هل تسمح لي يا سيدي بالعودة إلى العمل ، منذ الغد ؟ "

" وقحة " قال الميرزا ومر بها بسرعة ،

" ولكن سوف أحتاج إلي خادمة ما ، عاجلا أم آجلا ،

فكر الميرزا في نفسه ، فإن لم أجد غيرها ، فقد تكون
الكفاية في هذه الساقلة "

لم تنتظر " لاجو " نتيجة تأمل الميرزا ، وتفكيره ، بل
ونزلت إلى الدار من ناحية السقف ، وانصرفت إلى العمل ،
بجد واهتمام بالغين ،

وعندما عاد الميرزا ، ذلك المساء ، إلى البيت ، دهش
كان المغفور بها أمه قد عادت إلى البيت ، فأصبح البيت نظيفا
أبيض ، وطاب الجو بعطور وبخور لطيفة ، الجرة كانت
مملوءة بالماء رد وعليها قدح نظيف شفاف .

كان الميرزا يغمر حب الدار قلبه ، وتناول بكل هدوء
وسكينة اللحم المشوي ، والخبز السمين وجلست " لاجو "
كعادتها ، على الدهليز ، تذب عنه الذباب .

وفي الليل عندما فرشت ستائر الجوت تعرض الميرزا
مرة أخرى ، لعراك نفسي شديد ، واختبار ذهني متعب .
ومن يتسل على الفراش كالسقيم ، ويقع على مسامعه
صوت الخلخال والحلي ، وكان يشعر بتأنيب الضمير ،

والإحساس بالجريمة ، واستيقن أنه لم يعامل " لاجو " معاملة
طيبة وكأنه ارتكب جريمة نكراء بعدم تقدير كائن مسكين ،
واستولى عليه إحساس عميق بالندم والخجل ، بدا يكره نفسه.

فجاءة نهض وقطع سلسلة التفكير ، وقام وأسرع إلى
ربة البيت " والتقطها من على الحصير .

آدم ودرخاني

خاطر غزنوي*

تقول الأسطورة الشعبية " إن الشخص الذي يستعمل قطعة صغيرة من خشب شجرة على ضريح آدم خان كمضرب ، يتعلم العزف على الربابة فوراً " .

هذه الكلمات يؤمن بها كثير من الناس ، وحقاً يفعلون هكذا ، والله أعلم إلى أى مدى هذه الحقيقة ، ولكن من المؤكد أنه يتضح من هذا الأمر أنه كان بين آدم خان والربابة علاقة حب ووله .

وقد نالت قصة آدم خان ودرخاني مكانة سامية بين قصص الحب فى إقليم سرحد (الحدود الشمالية) وقد ظهرت هذه القصة كذلك فى مدينة سوات موطن الجمال والنرجس والحب .

ولا نستطيع تحديد الزمان الذي دارت فيه أحداث هذه الحكاية الشعبية والتاريخ الصحيح لها ، ولكن يعرف من ذكر الملك أكبر مرارا فى هذه القصة أن هذه الأحداث وقعت فى

عهد الملك جلال الدين أكبر ، وما يتعلق بهذه القصة مكتوب
في كتاب " بختانه شعرا " وفيما يلي ترجمته :

يتضح من بعض أجزاء هذه القصة أن آدم خان ودرخاني
كانا يعيشان في عهد الملك المغولي جلال الدين أكبر ، وربما
عاشا بعد سنة ٩٥٠ هـ ، ففي هذه القصة ورد اسم الملك
أكبر في مواضع عديدة ، وكان محسن خان الحاكم المغولي
في ذلك الوقت ، واليا على كابل ، وعلى ما يبدو من
الأحداث أن محسن خان قد عين حاكما ومصنفا لعدة كتب
بلغه الباشتو وكان موجودا في ذلك الوقت ، الحاكم محسن
خان في كتابه " مخزن الإسلام " وقد حكم الملك جلال الدين
محمد أكبر من سنة ٩٦٣ هـ حتى سنة ١٠١٤ هـ ولا بد أن
آدم خان ودرخاني كانا يعيشان حتى سنة ١٠٠٠ هـ ، كما
ذكر من قبل بأن هذه الواقعة حدثت بعد عام ٩٥٠ هـ .

وقد ذكر المحقق الإنجليزي الشهير راورتي ومؤرخ آخر
هو الفنستون هذه القصة في كتابهما " وقائع كابل "
(The Account of Kabul) ، وقد نظم هذه القصة شعرا
الشاعر عبد القادر خان ختاك (١٠٦٢ - ١١١٨ هـ) ابن
خوشحال خان ختاك ، وكان شاعرا فحلا ، كما نظم هذه
القصة شعرا بلغه الباشتو كل من برهان خان
(١١٠٠ - ١١٧٣ هـ) ، وملائمة الله نوشهري

(١٨٥٦ - ١٩٣٩م) وسيد أبو علي شاه ، وكتبها نثراً بلغة الباشتو كل من مسعود أحمد خان وشوكت الله خان أكبر .

ويبدأ عهد مسعود بعد سنة ١٠٠٠ هـ ، وقد وقعت أحداث قصة آدم خان ودرخاني في حياته ، وعندما توفي آدم خان رثاه مسعود بقوله : " وآسفاه !! لقد رحل آدم خان عن الدنيا ، والدنيا بأسرها باكية على فراقه ، واحتترقت هذه الأرض ونثرت التراب على رأسي ، ووصل هذا الدخان المنحوس إلى عنان السماء ، والهواء حتى الآن يتأوه بأهلت باردة ، ويدور في الدنيا قلقاً مضطرباً .

وقد قدمت قصة آدم خان ودرخاني شعراً في كتاب " بختانه شعراً " ودونوا أشعاره التي نظمها في مواضع مختلفة، وهذه القصة أي قصة آدم خان ودرخاني قدمها الكاتب سيد أيو علي شاه بهذا الأسلوب .

" توجد في مدينة سوات الجميلة ذات الخضرة والأزهار والحقول الفسيحة والشاسعة قريتان جميلتان هما بازدرية الشمالية وبازدرية الجنوبية ، وقد ولد آدم خان في بيت الخلق الكبير حسن خان الذي كان من أعيان بازدرية ، وكان من قبيلة " ميتاخيل " بطن من بطون " يوسف زي "

وقد نشأ آدم خان وترعرع فى وادي الزهور والحدائق والعيون والشلالات ، وكان هو نفسه أجمل من الزهور ، شجاع فى غاية الشجاعة ، ونكي فطن وله صوت طروب ويعرف العزف على الربابة أيضاً ، وكانت فى أصابعه هذا القدر من الحرفة والتأثير ومفعمة بالحركة والنشاط .

وعندما كان يحرك أوتار الربابة كان يثير فى قبول السامعين الشجن ، وكان " مـيـرو ، و " بالو " صديقين حميمين له ومرافقين له ليل نهار ، وكان مجرى حياتهم ينحصر فى التتزه والصيد والغناء ، وكان لجمال آدم خان تأثير على قلب كل فتاة شابة فى القرية ، وكانت الفتيات يعتبرن رؤيته من حسن طالعهن .

وكانت درخانى ابنة طاووس خان يوسف زي من قرية بازدره ، وقد ورد فى كتاب " حياة أفغانى " اسم والد درخانى هو بير جوكى خان حاجى خيل .

وكانت درخانى فتاة غاية فى الحسن والجمال وقد ذاع صيت جمالها فى كل المناطق ، هى فتاة ذات حياء وكاملة فى كل الجوانب ، فكانت تتعلم طبقاً للعادات العلوم القديمة ، حيث قرأت القرآن الكريم ، والكتب المعروفة الأخرى فى البيت على يد شيخ القرية ، وقد ذاع صيت علمها أيضاً مثل جمالها وحسنها ، وكان فى بازدره رجل يدعى " باياو " قرر

الزواج من درخانى بعد أن رأى حسنهما وعلمها ، وذهب إلى بيت درخانى لخطبتها ، ووافق أبوها على هذه الخطبة وتمت الخطبة فى غاية الأبهة والعظمة ، وكان " باياو " كأنه حصل على الجنة ، وكانت سعادته وسروره فى موضعها ، وكانت الناس تعتبر حظه سعيداً .

وكانت إحدى خالات درخو (الاسم المخفف لدرخانى) تعيش فى بازدره الشمالىة ، وقد بدأت الاستعداد لتجهيزات زواج ابنتها " بسكتى " وقد اضطرت درخو أن تشارك فيها لكونها ابنة خالتها .

وقد زادت خفقات قلوب شباب القرية عندما سمعوا خبر مجيئ درخانى وبدأت تفيض فى صدورهم طوفان الأمانى ، واضطرب كل شخص لرؤية درخانى ، ولكن درخو بعدما أتت قبعت فى حجرة مظلمة مع بسكتى .

وفى ليلة الزفاف احتدم الرقص والغناء فى الحجرة ، بينما فتيات القرية وسيداتهن مشغولات فى استراق النظر من وراء الجدران على الجانب الآخر ، ولم تقع أنظارهم على وجه درخانى وتحطمت قلوب الشباب ، وذكر أحدهم اسم آدم خان ، وقال إن فى أصابعه تأثير السحر ، وأسرع بعض الشباب وأحضروا آدم خان وصديقيه ميرو وبالو .

وكان الوقت فى ساعة متأخرة من الليل ، فحرك آدم خان
أوتار الربابة بمضراجه حركة خفيفة فطراً على الجميع
صمت مطبق ، وقد قدم المؤلف سيد أبو علي شاه هذا المشهد
من قصة آدم خان ودرخانى بأسلوب رائع مؤثر :

عندما بدأ (آدم خان) العزف ونظم الشعر ، طار لب كل
شخص .

وهكذا عزف علي الربابة فى هذه الحفلة ، حتى طرأ
الوجد على السماء .

وبعد أن غاب عن وعيه واندمج مع ألحان نغماته ، جاءت
الإيقاعات مليئة بالحركة والحركة ، وكان السامعون يهيمون
فى بحر الدموع .

عندما يداعب بأنامله أوتار الربابة ، كان كأنه يقسم الآلام
على العاشقين .

وحيثما كان يتغنى بالغزل بمصاحبة الربابة ، يطرأ على
السامعين عالماً كعالم الجنون .

لقد كانت ربابة آدم خان مليئة بالحركة والتأثير إلى هذا
الحد بحيث نسي الناس فكرة رؤية درخانى لبعض الوقت ،

ودفعت أنسام السحر بهذه الألحان المثيرة للشجن حتى
أوصلتها إلى حجرة درخانى ، فأثارت فى قلبها الاضطراب
واللوعة ، وجذبتها هذه الأنغام المؤثرة إلى الحائط ، وفجأة
ارتفعت أنظار آدم خان ووقعت على درخانى وكانت هذه
بداية حبهما .

تم الزواج وانفض العرس ، وعادت درخانى إلى قريتها
بعد أن ، وقر حُب آدم خان فى قلبها ، وكذلك تأثر قلب آدم
خان تأثراً عميقاً بجمال درخانى وبدأ يضطرب حزناً وغمماً ،
ونسى النزهة والصيد ، وبدأ يتحدث عن محبوبته فى كل
وقت مع الربابة ويقول : " الربابة فى حضنى ، وأتحدث مع
محبوبتى بأحاديث عذبة حلوة " .

وعندما علم حسن خان بحب آدم خان ، استدعاه على
الفور ووبخه ، إلا أن ، آدم خان نحي بنفسه من هذه الورطة
بعد أن اختلق الأعذار من هنا وهناك ، لكنه عندما صار ألم
الحب خارجاً عن نطاق تحمله ، قرر الالتقاء بدرخانى ، وفى
النهاية اصطحب صديقيه معه فى إحدى الليالى تحت جنح
الظلام ووصل إلى بيت درخانى ، ووصل بطريقة ما إلى
حجرة درخانى بعد أن ألقى بنفسه فى المخاطر وأيقظ
درخانى ، برفق وحذر ، فاضطربت فى البداية ، لكن عندما
وجدت آدم خان واقفاً أمامها استقر قلبها الذى أضناه الهجر
لفترة وجيزة .

وقال آدم خان " يا درخانى " ، يا ملكة الحسن ، يا من
صيت حسنك ذاع فى كل مكان فى الدنيا ، آدم فى شوق
لرؤيتك ، فابعدى خصلات شعرك من على وجهك " .

وكلاهما قضى طوال الليل فى أحاديث الحب والعشق
العذبة ، وقد أظهرت درخانى محبتها لآدم خان بقولها : " يا
آدم خان ، يا من أنت سيد قبيلة ميتاخيل إحدى قبائل يوسف
زى ، إن قلبك ملئ بالدر والجواهر ، وكلامك ينثر منه
اللؤلؤ ، فمتلى كمثل الجسد وأنت مثلك كمثل الروح فى هذا
الجسد " .

وانبلج الصباح حاملاً معه رسالة الفراق بين المحبين ،
وفى الخارج كانت أصوات أغنام والد درخانى قائلة : " يا
أغنام والدى أصابك الله بجرح فى نحرِكَ ، فلم يظهر السحر
وأنت جعلتى هذا الوقت سحراً ، وافترق أميرى آدم خان عن
حضنى " .

وعندما حان وقت وداع آدم خان ، انفجرت درخانى فى
البكاء ، حتى احمرت عيناها وقالت هذا الشعر :

يا آدم خان إن هذا الكلام الذى بحت به لك أفكر فيه
ولن يحول أحد فى طريق حبنا .

حتى الآن الدنيا لا تعرف لماذا أبكى حتى احمرت عيناى،
لماذا لا أبكى وقد بدأ ديك السحر يؤذن فى كل مكان .

وافترقا ، والآن بدأت نيران الحب تزداد اشتعالا فى
قلبيهما ، وقد جعل غم الحب درخانى طريحة الفراش ،
وبدأت تحترق بنار العشق ، وظن الأقارب والأصدقاء أنها
مريضة ، وبدعوا التفكير فى علاج هذا المرض ، بينما كانت
درخانى تقول :

" أيها الناس الظالمون ، ليس بى مس شيطان أو ملاك ،
ومع أننى لا أسمع كلام أحد فإننى لست صماء ، لقد رحل
عنى آدم خان وأنا بدونه صرت عمياء بغير عيون"

وقد أخبرت درخانى أستاذها بأحوال حبها ، والتمست منه
أن يأتيتها بأخبار آدم خان ، وقد وافق الأستاذ على هذا ، وفى
وقت الذهاب أعطته درخانى خاتمةا لكى يعطيه لآدم خان ،
وأعطى خان خاتمة للأستاذ عوضاً لها عن خاتمةا .

وبعد عدة أيام بدعوا يستعدون لزواج درخانى ، وقد علم
آدم خان بذلك فانهال عليه جبل الحزن ، وتم الزواج ولم
يستطع أن يمنعه ، وظل آدم خان هنا مضطرباً فى حين
سُلمت درخانى " لباياو " مربوطة اليدين والرجلين كالحيوان
الأخرس .

وبدأ اضطراب آدم خان يزداد يوماً بعد يوم ، وأخيراً لم يستطع البقاء على هذه الحالة ، وبعث إلى أبيه بهذه الرسالة عن طريق أحد الأشخاص يقول فيها : " عليكم أن تبحثوا لى عن حل ، وإلا سوف أقتل نفسى " .

وكان حسن خان يعلم جيداً الحالة السيئة لابنه ، وقد روى لصديقه ميرمائى القصة الكاملة ، وكان ميرمائى سيداً عظيماً وقوياً ، فاصطحب معه آدم خان وعدداً من الفتيان وذهب إلى قرية " باوياو " وأغاروا على منزله واستولوا على درختلى ، وأخذ آدم خان درختانى على حصانه وعاد إلى القرية وترك درختانى فى بيت ميرمائى لعدة أيام على سبيل الاحتياط حتى تحصل على الطلاق من " باياو " ثم تتزوج من آدم خان ، لكن آدم خان المسكين لم يكن يعرف أن " ميرمائى " سىأخذ رشوة من " باياو " ويسلم له درختانى ، بينما ظل آدم خان يحترق ندماً بعد أن سمع هذا الخبر .

وذات يوم جاء جماعة من النساك من الهند بملابسهم الصفراء للبحث عن عقاير فى جبال سوات ، فتتكر آدم خان فى لباس النساك وأخذ معه صديقه والتحق بهم ووصل إلى قرية درختانى ، وأقام النساك هناك فى حديقة " بايلو " وذات يوم التقى آدم خان بدرختانى ولكن هذا اللقاء لم يحقق أى شئ سوى نثر الدموع ، وارتاب " باياو " فى أمر النساك وسلوع فى إخراجهم من قريته ، عندئذ لم يبق لآدم خان أى شئ

سوى الاحتراق بنار الفراق ، فلم يكن هناك إلا هو وربابته
والبكاء المتواصل .

وبعد أن رأى أهل القرية حالته السيئة ، أشاروا على
حسن خان أن يبحث له عن زواج ينسى به حزنه على
درخانى ، وبناء على هذا استدعى أبوه صديقه " ميرو " وقال
له أنه رأى فى القرية المجاورة فتاة غاية فى الحسن والجمال
اسمها " جلناز " فلو تريد أن تتقذ حياة صديقك فخذ معك إلى
تلك القرية واجعله ينظر إلى " جلناز " نظرة خاطفة بأى
وسيلة ثم أجبره على الزواج منها .

كان " ميرو " كذلك لا يحتمل أن يرى آدم خان على هذه
الحالة ، فعمل برأى حسن خان وذهب بآدم خان إلى تلك
القرية بهدف النزهة ، وهناك رأى آدم خان " جلناز " ولكن
هذا الحب لم يكن عشقاً إلى هذه الدرجة بحيث إن جمال "
جلناز " الأسر لم ينسه ذكرى درخانى ، وازدادت حالة آدم
خان سوءاً ولازم الفراش ، وأخيراً أسلم الروح وانتشر خبر
وفاة آدم خان فى كل مكان ، وحينما علمت درخانى لم
تستطع تحمل الصدمة ، وماتت هذه العفيفة الجميلة والتقت
روحها بروح آدم خان ودرخانى ثلاث مرات ، وفى كل مرة
كانا يجدان أنهما معاً فى مكان واحد .

وهناك روايتان فيما يتعلق بضريح آدم خان ودرخانى ،
تقول إحداهما أن ضريحهما قائم فى بازيرة إحدى قرى

"سوات" ولكن هناك ضريح في "أكورة" بمنطقة "ترلاندى" على شاطئ نهر "لندا" يعتقد الناس أنه مثواهما الأخير ، على حد قول سكان هذه القرية فإن آدم خان على الرغم من أنه كان من سكان بازدره ، إلا أن درخانى كانت من هذه القرية .

والرواية الثانية تقول إن حسن خان أبا آدم خان كان حاكماً على إمارة "طورو" وكانت إمارته تشمل "زره" و "ميان" و "ترلاندى" و "مصرى باندہ" و "على توتك" وعدداً من القرى الأخرى المحيطة بها . وفي تلك الأيام كانت هذه القرى الصغيرة تابعة لقبيلة يوسف زى بسوات ، ولكن الآن هذه الأماكن اليوم تعد في منطقة ختك .

وهذا الضريح يفد إليه زوار من كابل وتنجهار ومن أماكن بعيدة ، وكان أهل هذه القرية حين يدعون لسقوط المطر أو لحمايتهم من الوباء يجتمعون في هذا الضريح .

ويقول أديب الباشتو المعروف محمد أجمل ختك :
" دخلت ذات مرة إلى فناء هذا الضريح بالحذاء ، فنبهنى رجل ومنعنى وقال حتى لا تنزل بك المصائب ، وهذا المزار مبنى على مصطبة ذات أربعة جذر من الحجر ، ويُقال أنهما مدفونان في لحد واحد وتركوا بينهما مسافة كحد فاصل وكعلامة ، وفي الناحية الجنوبية هناك شجرة النبق

الواقفة على الجانب الجنوبي من الضريح ، ويجعلون منها
مضرباً للعزف على الربابة .

ويأتى إلى هناك الكثير من المتسولين وعازفى الربابة
ويقيمون شهوراً ، وكثير منهم لا يغادرون هذا المكان حتى
يتعلموا العزف على الربابة .

مرزا صاحبان

عابد على عابد *

جميع القصص المشهورة في البنجاب معظمها يتعلق بمنطقة مليئة بالأسرار الغامضة يقال لها " بار " ، ويروي نهر جناب بعض الأجزاء في منطقة بار . ومنذ سالف الأزمان وهذه المناطق مشهورة بالحياة القاسية وشظف العيش والحر القائن ، وترتبط هذه الأماكن بقصص وحكايات مثل : هيررانجها ، وسهتي مراد ، وراجہ رسالو ، وسوهني مهنوال ، ومرزا صاحبان ، لكن لماذا حدث ذلك ؟ إن الإجابة علي هذا السؤال ليست صعبة ، فالحقيقة أن الجنس البشري وطريقة إظهار الجنس الجذاب أي الحب ، يعتبران أساس الشعور الإنساني ، ويتم تهذيب هذا الشعور وتجميله بالتعليم في المدن ، ويتم الجدال في أمور تافهة ، ويضغط علي إظهار هذه النزعة بصراحة ، إن عشق المدن الكبيرة مثل سكانها مريض وباهت وضعيف ، وقلمًا يوجد الحب الصريح الواضح في المدن بسبب البيئة الحضارية والتأثيرات الأخرى ، مما لا شك فيه أن الحب المحاط بالمشاكل النفسية يوجد أكثر في المدن ، بينما لا توجد أي مشكلة أو عقبة في منطقة " بار " فهم يقولون للأبيض أبيض وللأسود أسود ، وليس لأحد اختيار في الحب عندما يحدث الحب ، وهنا يكون العشق مثل السكان هناك قويا وصحيحا

وحارا وجميلا ، فهناك تشتعل النار في الجذوة بلا لهب ، ويتضح أن كل مكان اندلعت فيه نار الحب احترق تماما ، وكما قلت فإن هذه المنطقة ترتبط ارتباطا خاصا بنهر " جناب " وعلي ضفاف هذا النهر يتغني الفتيان والفتيات بالأغاني والأنشيد بلا تكلف والتي يبدو منها ألوان مختلفة من الحب الشديد لهذه المنطقة ، حيث تلتقي الصديقات ويتغنين في الهواء الطلق ، وعندئذ تتدفق النغمات من عقولهن .

ومع أن هذه المنطقة كلها معروفة بالعشق وقصص الحب ، إلا أن منطقة " جهنك " والمناطق التي حولها وسكانها ومنهم قبيلة " سيال " حيث أصبحت هذه القصص والحكايات قاصرة عليهم ، فحكايات " هيررانجها " و " مرزا صاحبان " ترتبط بقبيلة " سيال " ولا توجد هناك أية صعوبة لمعرفة أسباب هذا الأمر ، وقد اتفق المؤرخون كلهم وكتبوا مرارا أن " سيال " من قبيلة " راجبوت " نسلا ، وكانت المرأة عندهم منذ قديم الزمان متحررة في أمور الزواج ، وعندما اتخذت الراجبوت منطقة بار سكونا لهم ، اشتهرت منطقة " بار " بالمواقع الجغرافية والمناخ المناسب الذي يساعد علي تربية الإنسان .

لقد منحت قصة " مرزا صاحبان " التي نظمها كثير من الشعراء ، للأغاني والأشعار والأزجال حرقه وتأثيرا غير فان ، لأنها قصة غير عادية ، إلا أنها رسخت علاقة الحب

بين ميرزا وصاحبان ، فكان عشقا قويا ، جريئا ، فهذا
العشق هو الذي جعل هذه القصة غير عادية .

كان ميرزا شابا قويا جميلا ممشوقا من قبيلة " كهرل "
القاطنة علي شاطئ نهر " راوي "

ويقولون إن أمه من قبيلة سيسال التي كانت تسكن في
" جهنك " وأغلب الظن أنها كانت أخت ماهي سيال المعروفة
أيضا باسم " كهيواخان " أي حاكم كهيو ، وتقع كهيو علي
مسافة اثني عشر ميلا شمال " جهنك " . وتتقل الروايات
ويؤيدها التاريخ الي حد ما أن صاحبان كانت ابنة ماهي
سيال أي حاكم كهيو نفسه ، وكلاهما أي مرزا وصاحبان
أدخلا الكتاب ولكن منا يذكر ما يحدث في الكتاب من
حكايات الحب والعشق ، فلا أحد يذكر حتي الكتابة والقراءة ،
حتي ذلك الوقت لم يدخل في مرحلة الشباب المليئة بالرغبات
والفتن ، وأصبحت قصة حبهما تردها الألسنة ، وصارت
بعد ذلك زينة القصة وعرف بها الناس وساعت سمعتهما ،
وقرر شيوخ القبيلة حسب التقاليد الاجتماعية القديمة الفصل
بينهما وألا يتم زواجهما مهما يحدث من أسباب ، وصار
البحث عن صحة هذا الحكم أو عدم صحته بلا جدوي ، فقد
أصدروا هذا الحكم وحكموا علي نصيبهما كذلك ، عندئذ
صار البقاء في كهيو بالنسبة لمرزا أمر مستحيلا فرحل إلي
" دنا آباد " علي غير رغبة منه وكانت موطننا لأجداده ، ومن
الصعب أن نقول ماذا حل بقلبه ، فقد أصبحت النار المستعرة

جذوته ، أو ربما صارت هذه النار رمادا بعد أن أحرقت كل شئ وقضت علي الأخضر واليابس ، ومن ناحية أخرى أعد شيوخ القبيلة العدة للزج " بصاحبان " في النار المحرقة ، وتمت خطبة صاحبان لظاهر خان وكان إقطاعيا ثريا من قبيلة " جندان " ويذكر لنا التاريخ أن قبيلة " جندان " في الغالب هي نفسها التي توجد حتي الآن باسم " جينوت " .

وتذكر الحكاية أن مرزا ظل صامتا بعدما سمع خبر خطبتها حتي استدعت صاحبان " كمون " حلاق القرية وأبلغته هذه الرسالة : " قل لمرزا إن ميعاد زواج صاحبان قد قرب وإجراءات إعداد الحناء قائمة علي قدم وساق ، وإن صاحبان تدعوك أنت كذلك لكي تزين يديك بالحناء !! " .

وعندما سمع مرزا هذا استعد جيدا وأعد نفسه للقاء صاحبان ونصحه الشيوخ والعجائز وأوضحوا له الصعوبات والمخاطر ، وأخافوه ، ثم هددوه ، وذرفت أمه الدموع ، وأشار الأصدقاء ونصحوه :

وأخيرا ، جاء ذلك الزمان ، وجاء الناس لينصحونا . ولم يسمع مرزا الكلام المفروض أن يسمعه ، ووضع السرج علي حصانه السريع كالبرق ، وانطلق كالسهم من قوس القدر واستقر في قلب صاحبان مباشرة ، ووصل إلي كهيوا وعلم أن ترتيبات الزواج مستمرة ، فذهب مرزا أولا

إلى منزل خالته " بيبو " وعانقت الخالة ابن الأخت وأفهمته
وهدأت من روعه ، ولكن قلب مرزا لم يتأثر ولن يتأثر ،
وأخبرها بأن ترتب له لقاء مع صاحبان ولو مرة واحدة ،
فاضطرت " بيبو " أن تُحضر له صاحبان وتم هذا اللقاء ،
وكان لقاءهما آخر لمسات القدر .

قال مرزا : كيف يحدث هذا فى حياتى ويأخذك أحد منى ،
فهل عهود حبك كاذبة ؟ وكان الكلام العذب خديعة ؟ وهل
كان ذلك الزمان حلماً ؟ وهل كانت الموائيق غير صادقة ؟ .

فما عساه أن يكون رد صاحبان ، واستطاع أن يخمن
بسهولة أنها هى نفسها أرسلت فى استدعائه ، فقرر أن يأخذ
صاحبان تحت جناح الليل ويذهب إلى داناباد وعمل بتلك
المقولة المأثورة " ليكن ما يكون ، فقد ألقينا السفينة فى
اليم "

هؤلاء المساكين لا يعرفون أن الذين يجدفون بسفينة الحب
بهذه الطريقة يغرقون ، ولو يعرفون هذه النتيجة فمن منهم
يهتم ؟ وما أحسن ما قاله مير :

ما أكثر السابحين فى بحر الحب ، أما الذى يغرق فهو
القوى فى الحب .

ويقول الرواة إن مرزا قد غرس نحو ألف وتد خشبي على الجدار الخلفي لبيت صاحبان في تلك الليلة ، كانت ليلة ليلاء ، ليلة مثيرة للعواطف ، فقد كانوا يقومون بأداء عادة قديمة مليئة بالأسرار في بيت صاحبان ألا وهى " تعبئة الزيت " ، والصديقات المرفهات تم تقسيمهن فى مجموعات صغيرة ويغنين الأغاني والأزجال ، والحلاق وزوجته يأتیان ويخرجان ، والفتيان والشيوخ من خارج القرية يربطون على رؤوسهم عمامات ضخمة ويدخنون الشيشة ويحكون قصص الأزمان الغابرة ، والشباب يبرمون شواربهم ويحركون رؤوسهم ويسمعون فى الظاهر ، ولكنهم كانوا يفكرون فى قلوبهم ، ويقولون : هل حقاً مرزا بلا نخوة أو غيره إلى هذه الدرجة ، ويسمح بهذا الأمر وأن تتزوج صاحبان ؟ وهل حقاً سيأخذ . طاهر خان صاحبان على الهودج غداً ؟

هنا كانت الاحتفالات مستمرة ، وهناك نزلت صاحبان بهدوء وصمت على الأوتاد ، وذهبت مع ميرزا ، وتقول الروايات إن خال صاحبان " فيروز " كان أول من عرف بهذه الواقعة وذهب إلى حاكم كهيو وقال :

" يا كهيو خان لقد صفع مرزا اليوم قبيل سيال صفعه قوية على وجهها ، وسب كرامتنا بفاحش السباب ولطخ بالطين كرامة القرية ، وهرب صاحبان " . بعد أن سمع أخوة صاحبان وأقاربها الآخرون هذا الكلام اشتعل فيهم نار الغضب ، ووضعوا السهام فى الجعبة وأخذوا أسلحتهم وشدوا

السروج على ظهور الخيل وخرجوا مستعدين للقتال ، وأقسم كل واحد منهم على ألا يترك مرزا حياً اليوم .

ومن ناحية أخرى ، عُرف عن مرزا أنه كان متأنقاً فى العز والجاه الحياة المرفهة محباً للنوم ، فبعد أن رحل وأخذ معه صاحبان وقطعا مسافة من الطريق ، بدأ يقول لصاحبان :

يا صاحبان ، أريد أن أنام .

انزعجت صاحبان للنوم فى ذلك الوقت وخافت أن يكون هذا النوم فالاً لنوم عميق آخر ، فقالت له :

- يا مرزا هذا ليس وقت النوم ، لنصل إلى داناباد ، ولنتم كما تريد ، فالقدر نائم الآن وعلينا أن نسهر .

كان مرزا شاباً مغترأ بشبابه ونفوذه ، فلم يقبل قولها وذهب وتمدد تحت شجرة ، وعلقت صاحبان جعبته على غصن من أغصان الشجر ، وجلست صاحبان بجانبه ووضعتا جبهتها على جبينه وغرقت فى تفكير عميق ، كم هو شاب عجيب غير مسئول ، الموت يسرع إليه الخطى فى صورة هؤلاء الناس المتعقبون له وهو نائم ، كانت تهزه وتحركه وتوقظه ، وفى كل مرة يقول لها مرزا " دعينى

للنوم قليلاً ، عيني مليئة بالنوم فلا تقلقيني ، كان على هذا الحال عندما ارتفع من بعيد غبار العاصفة.

قالت صاحبان : يا مرزا لقد وصل الناس الذين يتعقبوننا وفيهم أخوتى الذين يقطعون الشباب الأقوياء بضربة واحدة من سيوفهم ويمزقون بسهامهم الصدور والقلوب .

قال مرزا : لا تخافى ، دعيهم يقتربوا منا ، وبينما كانوا يتحدثون جاء أمامهم فرس " شمير " بينما أمطرهم المتعاقبون بوابل من السهام فانتبه مرزا ووضع سهاماً فى قوسه فخرج السهم وشق الهواء وأصاب فرس " شمير " ووقع أخو صاحبان على وجهه ، فقال مرزا : أوقعتهم ليس لهم أى طاق لكى يوقفوا فى طريقى ، قال هذا وذهب لينام مرة ثانية ، وصرخت صاحبان ، ليس هؤلاء الناس المتعقبون لنا بل هم ملائكة الموت ، وكان هذا الكلام لا يزال على لسان صاحبان عندما انهالت السهام بكثافة ، وأصيب مرزا بسهم قاتل ، وتحت تلك الشجرة وفى ظلها الظليل تعلق نفس مرزا فى صدره وأسلم الروح وأغمض عينيه ونظر بعيون مليئة بالحسرة ناحية صاحبان وقال : لماذا ألقى بجعبتى على الغصن ، لم يقتلنى سيال ، بل أنت التى قتلتنى .

قالت صاحبان : أنا لم أقتلك يا مرزا ولم تقتلك السهام ، النوم هو الذى قتلك ، أيها النوم لقد قتلتنا بغفلتك وقتلنا معك الحب .

قال مرزا : حقاً ، وتنفس نفساً عميقاً ناحية صاحبان
وابتسم لآخر مرة قبل الموت .

وتقول الروايات إن السهام انهمرت عليه بعد ذلك بشدة ،
بينما التصقت صاحبان بجسد مرزا وظلت تبكي وتتوح عليه ،
وقد جعلته السهام كالغربال ووصلت سفينة الحب إلى شاطئ
الأبد ومات كلاهما ، ولكن قصتهما باقية شاخصة في كلمات
الأغاني والألحان ، وقد صاغها الشعراء في أساطيرهم ،
وحتى الآن لا يزال سكان منطقة " بار " يتذكرونهما تحت
ظلال أشجارهم .

مومل رانو

الله بخش عقيلي*

كانت الأصول والقواعد المتبعة أثناء فتوحات السند لفتح السند العربي الشاب محمد بن القاسم هي أن الحاكم الهندوسي الذي يقبل الطاعة يتركه على المناطق المفتوحة وعليه أن يدفع جزية شرعية بسيطة مطابقة لعدد السكان غير المسلمين في ولايته في مقابل أن يتولى الجيش الإسلامي مسئولية الدفاع عنهم ، وبناء على هذا ظلت كثير من الولايات الهندوسية في أطراف السند على هذه الحالة لقرون عديدة وكان العهد الذي قطعوه على أنفسهم في البداية لم تتعرض له الأسر الحاكمة المسلمة التي جاءت بعدهم .

وبعد فتح السند كان خلفاء دمشق وبغداد في بداية الأمر يعينون حكام السند وبعد ذلك حينما أصبحت الولايات البعيدة في أنحاء السند مستقلة ، قامت حكومة عربية مستقلة لأسرة بهاري .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري ، عندما استولى القرامطة الإسماعيلية على السند قام السلطان محمود الغزنوي بتجهيز جيش واستولى على السند وجعلها تحت حكمه ، لكن عندما ابتلى خلفاء السلطان محمود الغزنوي بالحروب الأهلية استولى قوم من الراجبوت المسلمين حديثاً على جنوب السند وكانوا يعرفون باسم " سومرة " وقد حدثت واقعة في عهد آخر ملوك الأسرة السومرية سنذكرها الآن حيث إنها نالت قبولاً عظيماً في أساطير الحب القديمة في السند من حيث نوعيتها وقد صاغها شعراء اللغة السندية شعراً وجعلوا منها قصة حب جذابة . ففي ذلك العهد الذي نشير إليه كانت هناك ولاية هندوسية صغيرة تقع على الحدود الجنوبية الغربية للسند وعاصمتها مدينة " كاك " وفي الوقت الحاضر يوجد مكان يسمى " كاك في الجنوب الغربي في نهاية مركز " شاه بندر " على الحدود الجنوبية الغربية للسند وهذا المكان يقع على مسافة قليلة من الفرع الأخير لنهر السند وكان يطلق علي حكام هذه الولايات الهندوسية لقب " رانا " وكان ملك ولاية كاك المعروف باسم " رانا نند " من قبيلة " جوجر " المعروفة ولم يكن لهذا الملك أولاد ذكور كان لديه بنتان جميلتان فقط الكبرى تدعى " مومل " والصغرى تسمى " سومل " وهي أسماء سندية خالصة وتستعمل في

معاني الجمال والرقّة ونعومة الجسد ، وكانت كلاهما عذراء ،
وعندما توفي عنهما الملك " رانا نند " اضطرت الفتاة الكبرى
" مومل " أن تمسك بزمام الحكم ، وكانت مومل جميلة ونكية
استطاعت أن تمسك بزمام الأمور في مملكة أبيها ولكن كلن
لا بد لها من شريك حياة لا يكون زوجها فحسب بل يخفف
عنها عبء المسؤولية ويساعدها في تيسير شئون المملكة ،
وكان من الضروري أن تنتظر قبل اختيار زوج لها هل الذي
يريد أن يقيم علاقة زوجية معها يريد أن يتزوجها طمعا في
جمالها وفي ملكها ؟! إضافة إلى ذلك يكون عاقلا مهذبا
وعالما وشجاعا .

ولإنجاح هذا الاختبار جاءت مومل بطريقة غريبة جداً
حتى يكون اختيارها اختياراً موفقاً ، فشيدت قصراً في
"كاك" وجعلت الجزء الخارجي من القصر زجاجاً والفضاء
الذي حوله نظيفاً شفافاً لدرجة أنه يبدو كأن به ماء عميقاً
عندما ينعكس عليه الزجاج ويبدو أن القصر كله قائم على
بحيرة مياه وللوصول إلى القصر يضطر الإنسان أن يسبح
في الماء العميق ، ويتميز عمق الماء القليل الذي يحيط
بأركان القصر الأربعة بأنه دائم ولا ينحسر في أي وقت من
الأوقات ويشعر الإنسان أن الماء يتدفق باستمرار وكان هناك

فرع كبير للنهر يجري من الناحية الغربية ويسمى نهر "تتي" ويجرى جدول صغير من النهر يسمى نهر "هنرمائي" وبسبب قرب القصر من البحر فإن الماء كان يصعد ويهبط وكان لمد البحر وجزره دور كبير في هذه الحيلة حيث استفادوا من حركة المد والجزر في إقامة هذه الطريقة الخاصة بجريان الماء فكان الناس يعتبرونه في عجائب السحر ، وإضافة إلى هذا قامت بنصب تماثيل لأسود على الجوانب الأربعة للقصر بحيث تبدو للرائي من بعيد وكأنها أسود حقيقية وعلاوة على هذا فإن ما يميز هذه الطريقة ويضاعف من جمالها أن الأسد الذي يبدو من أحد الجوانب جالساً يبدو من جانب آخر وكأنه يجري ، كما يحدث في هذه الأيام عندما يتم جمع مناظر مختلفة لصورة واحدة في الفيلم ويحدث فيها حركة مستمرة .

على كل حال فالقصر كان يبدو محاطاً بالماء والأسود تحوم حوله فكانت خدعة تبدو للناظر سحراً وهكذا كان في قصر مومل اختباران ، فلو عبر شخص الماء ثم مر من أمام الأسود ووصل إلى قصر مومل فإنه يواجه الاختبار الثالث وهو عبارة عن سبع أسيرة في صحن القصر كانت منسوجة

بخط غير متين يقع الإنسان إذا ما جلس عليها وسرير واحد كان قويًا يستطيع الإنسان أن يجلس عليه وبعد هذه الترتيبات أعلنت مومل أنها سوف تتزوج من الشخص الذي يدخل هذا القصر المسحور ويتجراً على الجلوس على هذا السرير وهكذا قصد الآملون القصر بعد ما سمعوا عن صيت جمال الملكة وحسنها ، إلا أن بعضهم خاف من الماء ، وبعضهم أصابه الرعب من الأسود ، وبعضهم دخلوا إلى القصر ووقعوا عند جلوسهم على السرير الزائف وهكذا أخفق الجميع وفشلوا ، لقد جعل القصر المسحور كثيرًا من أمراء السند مثل " كجه " و " كاتهيوار " غير موفقين وقد انتابهما القلق والاضطراب . وذات مرة خرج " حمير سومره " حاكم جنوب السند للصيد وكان في صحبته رئيس الوزراء " رانا هندره " ووزير آخر ، وفي الطريق التقى بـابن أحد الأمراء الذين فشلوا في دخول هذا القصر المسحور وأخبره بقصته فزاد الشوق والرغبة عند " حمير " فاصطحب الوزيرين وذهبوا ثلاثتهم إلى " كاك " ، حيث ذهب حمير أولاً إلى القصر ولكنه خاف من الماء ورجع وذهب بعده الوزيران الصغيران الواحد تلو الآخر لكنهما عادا يجران أنيال الفشل ، وفي النهاية ذهب إلى القصر " رانا هندره " رئيس وزراء حكومة " سومرة " وأخو زوجة الملك " حمير " وكان

يصطحب معه رمحه فغرس الرمح في الماء فوجد الماء قليل فعبر منه ، ثم وخز الأسود بالرمح فوجدها تماثيل ثم دخل إلى القصر فوجد سبع أسيرة فاستعمل عقله ورأى أنه لابد أن يكون بها سر أيضاً ، فغرس الرمح في جميع الأسيرة التي كانت منسوجة من خيط واهن فتهشمت على الفور وعندما اطمئن إلى السرير السليم صعد عليه وجلس وبهذه الطريقة قام بتحقيق جميع شروط مومل فتزوجته مومل ولكن بعد عودته سجنه " حمير " زوج أخته بسبب الغيرة والحسد في العاصمة .

ومنذ ذلك الوقت أحب " رانا هندره " و " مومل " كل منهما الآخر ، وكان حمير يريد أن يفرق بينهما بسجن " رانا " إلا أن عاطفة الحب أرشدت " رانا هندره " على حيلة فكان يهرب من قيده كل ليلة ويركب ناقته ويتوجه إلى " كاك " عند مومل ويعود إلى سجنه مرة أخرى قبل الصباح حتى لا يعلم " حمير " وتظل هذه اللقاءات السرية مع مومل قائمة ، ويقال في المثل الشعبي : " عندما يلتقي قلبان يصبح الزمان عدواً لهما " . هنا كانت قيود حمير على " رانا هندره " وهناك في " كاك " كانت مؤامرة " سومل " أخت " مومل " حينئذ ارتدت ملابس الرجال ذات ليلة ونامت عند أختها مومل ، وحسب العادة جاء " رانا هندره " إلى قصر مومل فظن من

بعيد أن شخصاً غريباً نائماً مع مومل فقفل عائداً وأصبح
يسيء الظن دائماً بمومل وهكذا لم تستطع قيود الملك أن
تبعده عن محبوبته بينما نجح الشك وسوء الظن في إبعاده
عنها ، وترك " هندره " المحطم القلب الوزارة واعتزل
الشئون الدنيوية واعتكف في قريته " نت " وعندما علمت
مومل بهذه المؤامرة انزعجت كثيراً وقررت أن تقطع
علاقتها بسومل وتركت حكومة " كاك " وذهبت إلى قرية "
هندره " وبنت بيتاً بالقرب من قرية هندره وعاشت فيه ،
وأحياناً كان هندره يخرج من قصره فتخبره بالأحداث
الصحيحة وتجد الفرصة لإزالة سوء الظن عنده ، إلا أن
قلب " هندره " كان قد تحطم لدرجة أنه ترك الخروج من
القصر وترك اللقاءات مع الناس وقد حاولت مومل بكل ما
استطاعت من قوة أن تثنيه عن ذلك ولكنها فشلت وأخيراً
ماتت من الحزن ، وعندما علم " رانا هندره " بذلك استرد
وعيه وأخذ يبحث عنها في كل مكان لكنها ذهبت بعيداً
وتركته للأبد !! فاحترق في نار عشقها وأصبح رماداً وانطفأ
مصباح حياته بسبب هذا الحزن . وهذه هي القصة التي
نظمها شاه عبد اللطيف و"سجل سرمست" وشعراء آخرون
وصاغوها بشكل يثير الوجد عند السامعين.

عمر ماروي

سيد علي ملتاني*

يحكى أنه منذ قرون - قبل قيام باكستان - كان يحكم مدينة " عمر كوت " ملكاً اسمه " عمر " وكان هذا الملك ينتمي إلى قبيلة سومره التي كانت تنسب لفرقة القرامطة ، ولم يكن حاكماً للسند بأسرها فحسب ، بل يعد زعيماً دينياً أيضاً ، كان في كل الصفات التي تجعل منه ملكاً عظيماً ، وكانت طبيعته مليئة بالهمة والشجاعة ولازمه الفتح والظفر دائماً ، وحيثما يذهب يعود موفقاً ناجحاً وكان العدل والإنصاف بحيث إذا طرق باب بلاطه شخص مظلوم لا يرجع شاكياً وفي المثل الشعبي : " الخالي من العيب هي ذات الله فقط " لقد كان في شاه عمر آلاف الصفات الطيبة إلا أن حادثة وقعت في حياته جعلتها ملطخة بالآثم .

ويروي الرواة تلك الحادثة فيقولون أنه ذات مرة كان جالساً في بلاطه ينصح أمراءه ووزرائه بالعدل والإنصاف وكان يقول أن أي حائط لا يستطيع أن يبقى قائماً دون حجر

وطين وكذلك لا تستطيع أي دولة أن تقوم لفترة طويلة دون العدل والإنصاف وأكد في النهاية على وزارته بكلمات قوية أن يحترزوا من الظلم والجور وهي صفات تعد قبيحة في نظر الخالق وهي كالسم القاتل للطبقة التي تدعى أولى الأمر، وبينما كان مشغولاً في الوعظ والنصح إذا بشاب غريب واقف بباب قصره ويريد أن يسمح له بلقاء الملك منفرداً فأوقف الملك البلاط واعتبره مظلوماً حتى يستطيع أن يسمع قصته باطمئنان .

وفي ذلك الزمان كانت هناك قرية تدعى " ملير " تقع في صحراء " تهار " وكان يسكنها راعي غنم اسمه " بلوى " قد منحه الله ابنة جميلة السيرة والصورة اسمها " ماروي " ولم يكن لها مثيل في الحسن والجمال ، وكانت " ماروي " صغيرة السن حينما خطبت لابن أخيه الأكبر " كهيت " الذي لم يكن له مثيل في الحسن والجمال والرجولة ، وكان كهيت وماروي يحبان بعضهما البعض منذ مرحلة الطفولة في حين كان هناك شخص لا يستحسن هذا الحب ، وكان ذلك الشخص هو " بهوك " خادم " بلوى " والذي كان يعيش بمنزل بلوى منذ طفولته يرعى له الغنم والماعز وكان يحب ماروي حباً جما وظن في بداية الأمر أنه استطاع أن يجعل ماروي

تهتم به وتميل إليه ولكنه فشل في ذلك فاحترق بنار الحسد
والغيرة وذهب إلى " عمر كوت " لكي ينتقم لهزيمته ويفرق
بين ماروي وكهيت للأبد . وهكذا كان هو ذلك الشخص الذي
وصل إلى باب القصر الملكي وأراد لقاء الملك منفرداً وكان
" بهوك " العاشق الفاشل لماروي .

وعندما سمح الملك عمر لبهوك بالحضور على انفراد خر
على قدميه وقال : أيها الملك : أنا لم أحضر هنا من أجل
التسول أو التظلم ولكن جئت لأسمعك خبراً ساراً وهو أنه في
قرية تدعى " ملير " تقع في الصحراء على بعد بضعة أميال
تسكن فيها فتاة تدعى ماروي جميلة ولا نظير لجمالها
وحسنها فهي كاملة من كل عيب ولا تشوبها شائبة ،
فالنرجس يخجل من عينيها السوداوين الناعستين ووجهها
الجميل يجعل القمر بلا قيمة أمامه ، وتنتثر اللؤلؤ عندما
تبتسم، وتنتثر الزهور عندما تتكلم ، حتى الحور عندما يرون
خدودها الوردية وسواعدها المرمرية يفتنون بها ، ومن
المستحيل أن يراها شخص ويفكر في شيء آخر ، أيها الملك
هذا كل شيء عنها ولكنها ابنة راعي غنم وإذا لم يقع نظرك
الكريم عليها ستظل طول العمر بنت راعي غنم ، فلا يطيب

لها عيش ولا ملبسًا ، ولكن إذا وصلت إلى حرمك فأنا واثق بأن حياتها ستصبح جميلة وستزيد من جمال حرمك .

وعندما وصل الملك عمر بالقرب من قرية ماروي حدث بالصدفة أن خرجت ماروي مع صديقتها لسحب الماء من البئر ، وعندما رأت ماروي ناقتين قادمتين نحو البئر خافت وانتابها الهلع وقالت لصديقتها بفزع علينا أن نعود من حيث أتينا ولكن صديقتها كانت شجاعة إلى حد ما وقالت لها ضاحكة : يا جبانة إنهما يريدان السفر إلى مكان ما وأكثر ما يفعلانه أن يطلبنا من الماء فلا داعي للخوف ، فتقدمت بشجاعة وقامت بسحب الماء بعد أن طمأننتها ومالت من الماء .

عندما وصل راكبا الناقة إلى البئر همس " بهوك " في أذن الملك عمر وقال له أن هذه هي ماروي ، ولما وقع نظر عمر شاه عليها وجدها أجمل مما تخيله ، فأوقف الناقتين وذهب عندها من أجل طلب الماء ، وبينما كانت ماروي تقدم له الماء أجلسها بهوك على ناقة الملك عمر وتوجه كلاهما إلى مدينة " عمر كوت " .

وساعت حالة ماروي من كثرة البكاء ، وحاول الملك عمر أن يقنعها عدة مرات وأغدق عليها بالذهب والجواهر لكنها لم تتوقف عن البكاء ولم تجف دموع ماروي وعندما تتذكر والدها وأمها وخطيبها الحبيب تتدفق شلالات الدموع من عينيها واضطر الملك إلى استعمال التهديد معها بعدما رأى أن اللين والحب غير مجد ، وقال لها : أليس والداك وزوجك المأمول رعاة غنم فقراء ليس عندهم مأكلا ولا ملابس وأريد أن أجعل منك ملكة ، وأجعلك مليكتي المدللة فقولي : هل أنت لا تريدين هذا ؟

فأجابت ماروي : هذا غير مقبول على الإطلاق أيها الملك فقد وافق والدي ووالدتي على خطبتي لشخص وصرت له والآن الموت هو الذي يمكن أن يفرق بيننا .

أيها الملك ارحمني وأرجعني إلى أهلي إنني أومن بأن لديك نعمًا ومالًا وفيرًا ولكن نحن القرويين لا نهتم بالمال والثروة ونفضل المسكن البسيط والمأكلا العادي ونعتز بأكواخنا الحقيبة التي تظهر القدرة بجمالها الكامن .

وفي تلك الأثناء عرف والد ماروي ووالدتها من صديقة ماروي أن الملك " عمر كوت " خطفها ، ولهذا لم يحاولا تحريرها بعد أن تخيلوا مستقبل ماروي العظيم ، لكن كهيت خطيب ماروي لم يفقد الهمة والعزيمة فوصل إلى عمر كوت متكرراً في ملابس الفقراء .

وذات يوم وصل كهيت أمام القصر ليتسول حيث كانت ماروي سجيناً فيه فوق نظر ماروي عليه من حجرتها العليا فنظر كل منهما للآخر وبدأا يفكران في طريقة تبادل الرسائل والخطابات .

وعندما جاء الملك عمر لزيارة ماروي وعده بأنه إذا لم يحضر والدها ووالدتها لتحريرها خلال عام ستصير ملكاً له ، فسر قلب الملك عمر من وعد ماروي وخفف عنها كثيراً من القيود التي كانت مفروضة عليها .

وكان في نواحي " عمر كوت " خانقاه كبيرة يقطنها الفقراء وبعدما عرف كهيت مكان ماروي أقام في هذه الخانقاة ، وكانت ماروي قد اتخذت من خادمتها محرماً لأسرارها فكانت تذهب كل يوم إلى الخانقاة وتخبر كهيت

بجميع خطط ماروي ، ولما انقضت فترة طويلة على المراسلة بينهما قرا خطة لتنفيذها في مساء يوم محدد حيث تذهب ماروي إلى الخانقاة بهدف الزيارة وهناك يعد كهيت ناقة سريعة وفي أول فرصة يخطف ماروي ويتوجه بها إلى حيث يريد .

وعندما حان الموعد المحدد ذهبت ماروي بمرافقة كثير من الوصيفات وقدمن كثيرا من النذور وبدأت تدعو فكان كهيت في انتظارها يتحين الفرصة وفي أول فرصة أركبها على الناقة وخرجا واختفيا عن الأنظار وسط صراخ الوصيفات اللاتي لم يساعدهن أحد .

وهكذا وصلت ماروي إلى منزلها كما جاءت وحاول الملك عمر كثيرا أن يستردها ولكنهم أخفوها حتى لا تقع يده عليها والقصة الكاملة بهذا القدر ولكن الشعراء وكتاب القصة أضافوا إليها الكثير والكثير .

الإهانة

سعادت حسن مانتو^(١) *

(١) ولد سعادت حسن مانتو في سامبرالا بالبنجاب (الهند) ١٩١٢ ومات في لاهور (باكستان) سنة ١٩٥٥ . خلال هذا العمر القصير كتب مانتو أكثر من مائتي قصة قصيرة ، فضلا عن عشرات المقالات والمسرحيات ، كما كتب عددا من سيناريوهات الأفلام السينمائية . لكن شهرته ارتكزت أساسا على القصة القصيرة إذ يعد واحدا من أهم كتابها في العالم .

نشأ مانتو في أسرة كشميرية متوسطة من أمريتسار ، ولم يكن لديه أية حماسة لمتابعة الدراسة الرسمية ، إذ أمضى سنتين في الجامعة دون أن يستطيع النجاح فتخلى نهائيا عن الدراسة . ومن الغريب أن (الأوردو) كانت سبب خيبته ، لكنه بعد سنوات معدودات غدا واحدا من أعظم الكتاب في تلك اللغة .

تأثر مانتو بالحركة الثورية ضد الاستعمار البريطاني في الهند ، وكتب عن أولئك البؤساء في قاع المدينة الراضحين تحت القهر والمرض والشقاء .

كان في السابعة من عمره ، حين ارتكب المستعمرون البريطانيون مجزرة جليان والاباغ ، وكان في بومباي سنة ١٩٤٧ حين حدثت المجازر بين السيخ والهندوس والمسلمين . وقد رفض مانتو أن يقف مع طرف دون طرف آخر ، كان ضد الجريمة والتعصب الأعمى والتقسيم .. مثلما كان ضد الاستعمار البريطاني 'علة كل مصيبة من الهند إلى إفريقيا مرورا بالوطن العربي . وكانت قصصه مليئة بذلك

بعد عناء يوم مرهق ، تمددت على السرير واستسلمت للنوم حالاً. كان المشرف الصحي الذي تدعوه (السيد) قد غادرها منذ لحظات مخموراً ، بعد أن كاد يخلع عظامها .

كان بوده لو يبقى معها طوال الليل لولا أن زوجته كانت مولعة به أيضا . النقود التي كسبتها من المشرف الصحي لقاء جسدها دستها في عبا تحت صدريتها الملطخة باللعباء . أحيانا كانت النقود الفضية تصدر في عبا خششة مع كل تنهد ونفس من صدرها ، لكن تلك الخششة سرعان ما تتلاشى في دقائق قلبها .

ويبدو أن فضة النقود كانت تذوب وتتسرب في دم قلبها ، كان صدرها دافئا من الداخل . بعض ذلك الدفء من تأثير نصف زجاجة البراندي التي أحضرها المشرف الصحي معه ، وبعضه الآخر من "البويرا" التي شربها ممزوجة بالماء بعد أن نفدت الصودا .

الهم الوطني والإنساني .. وكانت حياة البؤساء وكفاحهم اليومي موضوع إبداعه واهتمامه . لكن الموت اختطفه وهو في الثالثة والأربعين ، دون أن يعلم كيف ولماذا انقسمت الهند إلى شطرين .. إنه مسلم وروحه وطنه الهند فهل يقسم الروح ؟!

كانت تستلقي على سرير ضخم من خشب الساج ،
وذراعاها العاريتان حتى الكتفين ممدوتان كعودين مقوسين
لطيارة ورقية حسرت رطوبة الندى عنهما ذلك الكساء
الورقي الرقيق .

كانت الحجرة صغيرة ، وقد بعثرت الفوضى أشياءها ،
تحت السرير ثلاث أو أربع قطع من الفرش البالية ..ينام
عليها كلب أجرب ويكشر في نومه إزاء أشياء غير معروفة.
كان جلده مشوها بالبقع التي سلخها الجرب . ولو نظرت إليه
من بعيد لبدأ لك كمسحة مطوية على الأرض .

في الجانب الآخر كانت أدوات التجميل : أحمر الوجه
والشفاه ، وملاقط معدنية لشعرها متناثرة على منضدة
صغيرة .

وعلى مقربة منها ببغاء يغالب النعاس في قفص بمشجب،
وهو يخفي عنقه في ريشه ، كان القفص محشوا بشرائح من
شجيرة الجوافة وقشور من البرتقال المهترئ من شدة
نضوجه ، وثمة سرب من الناموس يحوم فوق الشرائح
النتنة .

وكان إلى جانب السرير كرسي من الخيزران ملطخ الظهر ، إلى يمينه وضعت منضدة أنيقة الصنع . وكانت قطعة القماش السوداء المنشورة عليها مهترئة ، وقد علفت على الجدران أربع صور لأشخاص مختلفين .

في زاوية الحجرة اليسرى ، وعلى مسافة قليلة من تلك الصور ، تربعت صورة ملونة لجانيش^(١) وقد أثقلت بالورود الطازجة والذابلة . ويبدو أن الصورة قد انتزعت من لفة قماش قبل ان يحتويها ذلك الإطار . وبجوار الصورة ، وعلى الرف الملوث ذاته وضع فنجان من الزيت لتغذية السراج . وبسبب نقص الهواء ، كان اللهب يقف منتصباً كعلامة السعد الحمراء على الجبين .

باركت نقود الاستفتاح التي تلقتها من زبونها الأول بلمسة من تمثال جانيش ثم مسحت بها جبينها قبل أن تدسها في عبا . كان صدرها قويا وبوسعه أن يحمي أي مبلغ من المال تحت صدريتها . وكانت تخبيء بعض المال في حفرة أعدتها تحت قائمة السرير ، كلما جاء مدهو في إجازته من

(١) جانيش أحد الآلهة وهو إله الحظ السعيد وابن الإله شيفا ويرمز إليه برأس فيل وجسم انسان (المترجم) .

بونا . كان القواد رام لال قد علم سوغاندهي أن تخفي المال عن مادهو بهذه الطريقة . فقد قال لها ، حين علم أن مادهو نام مع سوغاندهي عشية وصوله من بونا^(١) : " متى كنت تترددين إلى مثل هذا اللعين ؟ يالها من قصة حب غريبة ! هذا التافه يستمتع بك ولا يدفع فلسا واحدا .. وفضلا عن استمتاعه يحصد المال منك لقد مضى علي عشر سنين وأنا في هذه المهنة ، وأنا أعرف نقاط ضعفكن يا بنات " .

رام لال ، القواد الذي كان يعقد الصفقات لكل أنواع الفتيات ، بدءا من عشر روبيات حتى مائة روبية في شتى أنحاء بومباي ، قال لسوغاندهي : " أيتها البائسة ، لا تتلفي أموالك .

إن عاشق أمك هذا سوف يسلبك الثياب التي تستر جسدك ! هيئي حفرة صغيرة تحت إحدى قوائم سريرك وأخفي فيها نقودك كلها ، وقولي له : أحلف بحياتك يا عزيزي مادهو إنني لم أحوش فلسا واحدا طوال اليوم ، اطلب لي من أحدهم تحت أن يرسل إلي كوبا من الشاي وقطعة من البسكويت

(١) بونا مصيف في جنوب غرب الهند وقد أقامه البرتغاليون عندما كانوا يحتلون الهند ويعد من أجمل مصايف الهند (المترجم) .

اللذيذ ، إنني أموت من الجوع ، هل تفهمني ؟ هذا وقت عصيب يا حبيبي ، حزب المؤتمر المشئوم قد حظر المشروبات الروحية ، والأسعار في هبوط، لكن الإنسان يدبر نفسه دائما . أقسم لك أن مجرد منظر الزجاجة وهي فارغة في غرفتك أثناء الليل ، فضلا عن رائحة الشراب ، يرغبني أن استبدل جنسي معك ! "

كانت سوغاندهي تحب صدرها أكثر من سائر أعضاء جسمها الأخرى . وقد قالت لها جامنا يوما " شدي على هاتين الكرتين من الأسفل حتى تكون صلابتهما كافية حين تلبسين حمالة الثديين . "

ردت سوغاندهي ضاحكة : " أنت تظنين الجميع مثلك يا جامنا ، يبتذلك الرجال لقاء عشر روبيات .. وتتصورين أن هذا ما يحدث لكل واحدة .. ليس هناك وغد يجرو على لمس الأعضاء الحساسة . "

ياه ، عليّ أن أخبرك بما جرى البارحة : في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أحضر رام لال مخلوقا من البنجاب وقد اتفق معه على ثلاثين روبية لقضاء الليلة . وقبل

أن نمضي إلى السرير ، أطفأت المصباح . فبدا مذعورا ..
لقد تلاشى في الظلام كل تألقه .. كان خائفا . قلت له : "
عجل ، لم هذا التأخر ؟ إنها الثالثة تقريبا . قال : " اتركى
الضوء .. الضوء .. " قلت : " ماذا تعني الضوء قال :
"أشعلي المصباح " .

حين سمعت صوته المرتعد ، لم أتمالك نفسي من
الضحك ، وأجبتة : " لن أشعل المصباح " ثم قرصت فخذه
الصلب ، فهب وضغط على مفتاح الكهرباء فغطيت نفسي
بالشرشف حالا وقلت : " ألا تشعر بالخجل ؟ " عاد إلى
السرير فنهضت وأطفأت النور .. ثارت أعصابه من جديد
.. أقسم لك انها كانت ليلة مبهجة : تارة ظلام وتارة نور ،
ظلام ، نور ثم جاءت قرقرة الترام فرفع سرواله واندفع
خارجا .. اللعين لابد أنه ربح تلك الثلاثين روبية في القمار
حتى تخلص عنها دون الحصول على شيء .. جامنا ، أنت
بلا خبرة إطلاقا ، إنني أعرف الكثير من الحيل لتدبير هذا
النوع " .

كانت سوغاندهي فعلا تعرف العديد من هذه الحيل التي
أخبرت بها واحدة أو اثنتين من صديقاتها . وفي العادة ،

كانت تحكي هذه الحيل لهن جميعا : " إذا كان الرجل لطيفا قليل الكلام ، فمن الممكن أن تزعجيه تماما . ثرثري معه كثيرا ، ضايقيه ، دغدغيه ، استلقي معه .. وإن كانت له لحية ، مشطها بأصابعك وانتقي منها بضع شعيراتها .. وإن كان له بطن كبيرة اربتي عليها .. لا تتركي له وقتا كافيا ليعيد تفكيره وسوف يمضي سعيدا . دون أن يمسك بسوء .. الرجال الهادئون خطرون جدا .. إنهم يحطمون عظامك إذا أمكنهم ذلك " .

لم تكن سوغاندهي ذكية كما تتظاهر بذلك . وليس لها كثير من الزبائن . كانت فتاة عاطفية جدا . إن جميع الحيل التي تدور في رأسها سرعان ما تختفي في بطنها الذي اكتسى بعدد من الترهلات بعد أن ولدت طفلا . وحين لمحت تلك الترهلات أول مرة ، ظنت أن الكلب الأجرب قد قضمها بمخالبه .

فكلما مرت به بغى متكاسلة ، كان كلبها المدلل يحفر الأرض ويترك فيها أثارا مشابهة ليغطي بذلك خجله .

كانت سوغاندهي من النوع التأملي الذي يعيش مع ما
يجول في رأسه ، ولكنها سرعان ما تذوب وتنتشر في بقية
أنحاء الجسم حالما يتحدث أحدهم إليها بمودة أو يتفوه بكلمة
رقيقة . كانت تعد الجماع بين الرجل والمرأة عملية سخيفة ،
لكن أعضاء جسدها كانت مقتنعة به تماما . إن هذه الأعضاء
تتوق للاسترخاء بعد رجة عنيفة .. تدفعها للنوم أو لذلك
النوع من النوم الذي يأتي بعد إنهاك تام ..

كم هو مريح ! وكم هي لطيفة تلك النشوة التي تتبع خلخلة
الأعضاء ! تارة تحس أنك هناك ، أحيانا تحس أنك لست
هناك ، وما بين الوجود والعدم تحس أنك معلق في الهواء :
فوقك هواء ، وتحتك هواء ، وإلى يمينك هواء ، وإلى
يسارك هواء .. هواء ، ولا شيء غير الهواء .. وإنه لمتع
أن تحس بالاختناق في ذلك الهواء .

في طفولتها كانت تلعب لعبة الاختباء ، وقد اختبأت مرة
في صندوق أمها الكبير ، لكن تناقص الهواء والخوف من
العثور عليها زادا في سرعة خفقان قلبها .. وكان ذلك مثيرا
لها .

كانت سو غاندهي تتمنى لو تعيش حياتها مختبئة في صندوق مشابه ، بحيث يظل الباحثون عنها يفتشون خارج الصندوق .

كان عليهم أن يبحثوا عنها أحيانا ، وكان عليها أن تبحث عنهم كذلك . إن حياتها خلال السنوات الخمس الماضية لم تكن إلا لعبة من الاختباء والتفتيش .. أحيانا كانت تجد شخصا ما .. وأحيانا كان شخص ما يجدها . وعلى هذا المنوال سارت حياتها برتابة مضجرة . كانت سعيدة كما ينبغي لها ان تكون كذلك . لقد اعتاد سريرها الخشبي العريض ان يستقبل رجلا في كل ليلة . وكانت سو غاندهي تعرف الكثير من الحيل التي تتدبر بها أمور الرجال . وبالرغم من قراراتها المتكررة أنها لن تستسلم لرغبات الرجال الطائشة وأنها سترد عليهم بخشونة ، فإن فيضا من عواطفها يمكن أن يجرفها بعيدا حتى تبدو وكأنها مجرد امرأة مستاءة لا أكثر .

حين يقول لها زبونها الجديد أو القديم : " أحبك يا سو غاندهي " ، وهي تعرف جيدا أنها أكذوبة ، فإنها تغدو ناعمة لينة كالشمع ، إنها تشعر وكأنها معشوقة فعلا . يالها من كلمة حلوة ! لكم تود أن تدلك بها أعضائها كلها حتى

تدخل مسامها .. أو تدخل هي فيها وتحكم الغطاء فوقها .
و حين تشعر بعاطفة الحب الجارفة ، كانت تريد أن تحتضن
الرجل النائم معها ثم تربت عليه وتهدهده حتى يستغرق في
النوم .

كانت تتمتع بطاقة هائلة من الحب ، وهي قادرة على أن
تحب أي رجل يزورها قدرتها على أن تعيش حبها إلى مدها .

كانت شغوفة إلى هذا الحد بأولئك الرجال الذين علقت
صورهم على الجدار المقابل . كان لديها شعور دائم بأنها
طيبة ، لكنها لم تكن تدرك لماذا يفتقر الرجال للطيبة ؟
وعندما كانت تحقق في المرأة ، لا تملك إلا أن تقول :
" سوغاندهي " لم لا يعاملك الزمن معاملة لائقة يا
سوغاندهي ! "

كانت تلك الفترة ، وبعبارة أخرى أيام تلك السنوات
الخمس ولياليها كانت منوطة بكل عرق من كيائها ، ومع أنها
لم تكن محظوظة خلال تلك الفترة ، فقد تمنيت أن تستمر
أيامها على المنوال ذاته .

كانت بلا طموح إلى أي شيء يمكنها من تحويز المال .
وكانت مستعدة لبيع نفسها لقاء عشر روبيات ، يقطع منها
روبيتان ونصف الروبية عمولة للقواد رام لال ، والسبع
روبيات والنصف الباقية كانت كافية لسد حاجاتها . وحين
جاء مادهو من بونا ليسلب سوغاندهي ، على حد تعبير رام
لال القواد ، فقد كان عليها أن تدفع له فدية تتراوح ما بين
عشر وخمس عشرة روبية . كانت متعلقة به إلى حد ما .
ولقد أصاب رام لال حين قال أن في مادهو شيئاً ما فتن
سوغاندهي . حين التقت بمادهو أول مرة قال لها : " ألا
تشعرين بالخجل حين تعقدين الصفقة ؟! أتعرفين ما الذي
تساوميني عليه ؟ .. وهل تعرفين لماذا جئت إليك ؟ .. عشر
روبيات ، كما تقولين يطرح منها روبيتان ونصف حصّة
القواد ، وسبع روبيات ونصف لك ، أليس كذلك ؟ . ولقاء
هذه الروبيات السبع والنصف ، أنت تعدين أن تمنحيني شيئاً
لا تستطيعين منحه ، وأنا جئت من أجل شيء لا أستطيع
الحصول عليه .إنني أريد امرأة ! ، ولكن هل تتوقين لرجل
في هذه الساعة ؟ .إن أية امرأة يمكن أن تكون جذابة لي ،
ولكن هل تحبينني ؟ أية علاقة تربطني بك ؟ لاشيء ، عشر
روبيات لا أكثر ، بل من هذه العشر ستطير روبيتان ونصف
عمولة للقواد ، والباقي سيصرف هنا وهناك .. وهذا ما

يخشخش بيني وبينك . وأنت تسمعين خشخشتها كما أسمعها . لكنك تفكرين في شيء آخر ، وأنا كذلك . لماذا لا تفهمين أن أحدنا يريد الآخر ؟ أنا عريّف في شرطة بونا وسوف أزورك مرة في الشهر .. تخلي عن هذه المهنة .. وسلّعتني بك .. كم أجرة هذا الجحر ؟ " .

لقد أثرت بلاغة مادهو في سوغاندهي حتى خيل إليها في لحظة ما أنها زوجة عريف في الشرطة . وبعدئذ، قام مادهو بترتيب الأشياء المبعثرة في الحجرة ومزق الصور العارية الملصقة على واجهة سريرها دون استئذان .. " سوغاندهي ، لن أسمح لك باقتناء مثل هذه الصور .. وإبريق الماء هذا ، انظري كم هو قذر .. وهذه الخرق .. وهذه القطع البالية من الملابس .. كم هي نتنة ! ارميها بعيدا .. وأية فوضى صنعت بشعرك .. و .. " وبعد ثلاث ساعات أو أربع كان مادهو وسوغاندهي صديقين حميمين . لقد أحست بأنها تعرف الشرطي منذ عهد بعيد . وقبل تلك اللحظة لم يشعرها أحد بوجود الخرق النتنة ، والخرق القذرة ، والصور العارية في الحجرة . ولم يجعلها أحد تشعر من قبل أن لها مسكنا يمكن أن يكون بيت أسرة . لقد اعتاد الرجال أن يزورها ويغادورها دون أن يشعروا بقدارة

سريرها . ولم يقل أحد لسوغاندهي : " انظري ، أنفك مصاب بالرشح وساحضر لك دواء " . لكم كان مادهو لطيفا ! كل ما قاله كان صادقا وعمليا . لقد تحدث مادهو إلى سوغاندهي بأمانة فتعلقت به وهكذا اتحدا معا .

راح مادهو يزورها مرة في الشهر قادما من بونا ، وحين يغادرها كان يقول دائما : " إذا تورطت في البغاء بعد اليوم فلن أكون لي أية صلة بك . وإذا دعوت أي مخلوق فسأجرك وألقي بك خارج البيت . انظري سوف أرسل إليك حوالة مالية من بونا لتواجهي بها مصاريفك . نعم ، كم هي أجرة هذا الجحر ؟ " .

لا مادهو أرسل فلسا واحدا ولا سوغاندهي تخلت عن مهنتها ، كلاهما كان يدرك كيف تجري الأمور . فلم تسأل سوغاندهي مادهو مرة : " لماذا تتبجح ؟ أنت لم ترسل ولو فلسا واحدا قط " . ومادهو لم يسأل سوغاندهي أبدا من أين تحصلين على كل هذا المال وأنا لم أرسل إليك شيئا ؟ " كلاهما كان كاذبا ، وكلاهما استمر بالنفاق . لكن سوغاندهي كانت سعيدة كواحدة لا تملك أن تتزين بالذهب فكانت راضية بالحلي التقليدية . وفي هذه الساعة ، كانت سوغاندهي ، من

شدة تعبها ، قد استغرقت في النوم . وقد نسيت أن تطفئ المصباح المعلق فوق رأسها فكان ضوءه الوهاج الحاد ينعكس على عينيها المغلقتين ، لكنها كانت تغط في نوم عميق .

ثمة طريقة على الباب ، من يأتي في الساعة الثانية ؟ كانت أذنا سوغاندهي الحالمتان تحسان بالطرق المستعجل ، ثم جاءت طريقة عنيفة فأجفلتها وجعلتها تنهض .. إن اختلاط نوعين من الخمر وبقايا ألياف السمك بين أسنانها فرزت لعبا كريه الرائحة فكان مرا للغاية . مسحت اللعاب بطرف قميصها وفركت عينيها . كانت وحيدة في فراشها . مدت رأسها متدلية لتتظر تحت السرير حيث كان كلبها المسترخي على قطع الفرش البالية يكشر في نومه إزاء أشياء غير معروفة . وكان الببغاء نائما وقد دفن رأسه في ريشه .

تكرر الطرق من جديد ، فنهضت سوغاندهي مغادرة سريرها كانت تعاني من صداع شديد . شربت الماء من الإبريق ومضمت أسنانها . وتجرعت كمية أخرى ومضمت أسنانها . ثم فتحت الباب مواربا وهي تقول : " رام لال ؟ " أجاب رام لال منزعا وقد تعب من الطوق : "

ماذا جرى لك ؟ منذ ساعة وأنا أدق على الباب أين كنت ؟
" ثم قال بلطف : " هل عندك أحد؟"

" لا " أجابت سوغاندهي ، فرفع رام لال صوته صائحا "
" لماذا لم تفتحي الباب ؟ لابد من وضع حد لذلك . أي نوم
هذا الذي تستمتع به! إذا كان على أن أهدر كل هذا الوقت
في المساومة من أجل فتاة فلن أستطيع إدارة عملي ، بدلي
ثيابك والبسي ذلك الساري المزين بالورود، اجري بعض
اللمسات على وجهك واتبعيني . إن سيدا مرموقا ينتظرك في
سيارته هناك، عجلي وكوني جاهزة في الحال . "

جلست سوغاندهي على الكرسي ذي الذراع تمشط شعرها
أمام المرأة . ثم تناولت سوغاندهي قارورة البلمع المعطر
من على المنضدة وقالت : " أشعر بأن حالتي ليست جيدة
اليوم يا رام لال . "

أعاد رام لال المشط إلى المنضدة ، ثم التفت إليها قلئلا :
" كان عليك أن تخبريني بذلك باكرا . " راحت سوغاندهي
تدلك صدغيها و جبينها بالبلمع ، ثم حاولت أن تزيل سوء
التفاهم مع رام لال قائلة : " ليس هذا لأنك .. أشعر بأن

حالتى ليست على مايرام ، لقد شربت أكثر من .. " أحس رام لال بإغراء الشراب فسألها : " هل بقى شيء؟ بودى أن أتذوقه أيضا . " وضعت سوغاندهى الزجاجاة على المنضدة قائلة: " لو بقى فيها شيء لما أصابني هذا الصداغ العين . اسمع يا رام لال ، ذلك الرجل الجالس فى السيارة ، أحضره إلى هنا . "

أجاب رام لال : " لا يستطيع المجيء إنه سيد من الذوات .. كان خائفا أن يقف بسيارته عند ناصية الشارع .. هيا ، البسي وامشي حتى انعطافه الشارع .. سيكون كل شيء على ما يرام . "

كانت صفقة تستحق سبعمائة وخمسين روبية . إن سوغاندهى لن تقبل بها ثمنا لهذا الصداغ الأليم ، ولكنها بحاجة ماسة للمال . إن امرأة من مدراس تقيم فى نزل مجاور قد قتل زوجها فى حادث مرور وعليها أن تعود إلى مدينتها بصحبة ابنتها اليافعة . كانت بائسة إلى درجة لا تستطيع أن تدفع أجرة السفر . وقد حاولت سوغاندهى أمس

أن تواسيها قائلة : " لا تتزعجي يا أختي ، إن صديقي على وشك الحضور من بونا وسأدبر لك بعض المال . " إن مادهو سيأتي من بونا ولكن كان على سوغاندهي وحدها أن تدبر المال . ولذلك هبت مسرعة فالتقطت وشاحها وارْتَدت ساريها المزين بالورود ومسحت خديها بالأحمر ، ثم ملأت كوبا آخر من ماء الإبريق البارد ومضت برفقة رام لال .

كان الشارع هادئا تماما ، وقد بدا أكبر مما عليه الأسواق في مدن المقاطعات . وكانت مصابيح الكيروسين تفيض بضوء أوسع انتشارا من ذي قبل ، مع أنهم جعلوا زجاجها ، بسبب الحرب ، ذا لون غائم. وفي ذلك الغبش ، كان من الممكن أن ترى السيارة عند نهاية الشارع.

تصورت سوغاندهي أن الجو كان ثقيلًا بسبب صداعها ، بينما كانت ترنو إلى خيال سيارة في الضوء الخافت ، متوجسة من الصمت الغامض في الساعات الأخيرة من الليل. وكانت تحس بشيء من المرارة في الهواء وكأنها صدمت برائحة البراندي والبويرا .

مشى رام لال أمامها حتى اقترب من السيارة وقال شيئاً ما للرجل داخلها ، وعندئذ وصلت سوغاندهي . تنحى رام لال جانبا وقال : " أرجو أن تأخذ نظرة ها قد جاءت ، إنها فتاة رائعة ، حديثة في هذه المهنة . " وبعدئذ توجه إلى سوغاندهي قائلاً :

" تقدمي يا سوغاندهي " بضع خطوات وتوقفت قرب باب السيارة ، وهي تلف طرف الساري على إصبعها . أشعل السيد مصباحا يدويا أمام وجه سوغاندهي فبهر عينيها الناعستين ، لكن ذلك لم يدم طويلا . ثم سمعت تكة المصباح فاخفت الضوء وزمجر السيد " أف ، لا ! " فجاءة أديرَت السيارة وانطلقت مبتعدة . لقد غادرتها السيارة قبل أن تقوى سوغاندهي على التفكير في أي شيء . كان ضوء المصباح ما يزال يتموج في عينيها ، فلم تستطع أن ترى وجه السيد جيدا . ماذا حدث ؟ وتلك " أف ، لا " ماذا تعني ؟ كان صداها مازال يتردد في أذنيها . ماذا ؟ ماذا ؟ ثم سمعت صوت القواد رام لال : " ألم تعجبيه ؟ لا بأس ، أنا ذاهب

لقد أضعت ساعتين بلا جدوى . " وحين سمعت رام لال انتفضت يداها بعنف . أين كانت تلك السيارة ؟ وأين كان ذلك السيد ؟ .. وتلك الـ " أف ، لا " تعنى أنه لم يستلطفها

..ابن الـ .. " رغبتها في أن تشتم توقفت على أطراف
لسانها . ومن تستطيع أن تشتم ؟ السيارة اختفت . كان
ضوءها الخلفي الأحمر يغرق في ظلام السوق وسوغاندهي
تحس أن " أف ، لا " كأنها جمر متوهج يخترق صدرها
أحست وكأنها تزعق " يا سيد ، يا أفندي ! توقف بسيارتك
ولو لحظة . لكنه كان قد مضى بعيدا . "

توقفت في السوق الخاوية . الساري المزين بالورد ، الذي
اعتادت أن تلبسه في المناسبات الخاصة كان يرفرف مع
نسيم الهزيع الأخير من الليل ، ولم تكن سوغاندهي تحب
اصطفاق قماشه الحريري . ودت لو تمزق الساري إلى
خرق، صائحة " أف ، لا " .

وحين تفكر أنها قد زينت وجهها لتتال الإعجاب ، راحت
تصيب عرقا . ثم أخذت تعزي نفسها لتدفع عنها شعور
الارتباك : " أنا لم أعتن بهندامي من أجل ذلك الرجل ، هذه
هي عادتي ، إنها عادة كل شخص لكن الساعة الثانية بعد
انتصاف الليل ، القواد رام لال ، وهذا السوق وتلك السيارة
وذلك المصباح " كانت تفكر وذرات الضوء تتحرك

حولها في الهواء إلى أقصى حدود تخيلها ، وكانت تحس أن ضربات محرك السيارة في كل هبة ريح .

البسم الذي دلكت به جبينها توارى في زينتها ودخل في مسامها بفعل العرو فأحست سوغاندهي أنه جبين شخص آخر . هبة ريح لامست جبينها المندي كان صداها ما يزال على حاله ، لكن ثقل أفكارها زاد من سعة انتشار ذلك الصداع . حاولت سوغاندهي مرارا أن تحرر نفسها من تلك الأفكار . لكنها لم تفلح . لقد أرادت وجع الرأس كما أرادت الوجع في الساقين ، والوجع في البطن ، والوجع في الذراعين . ذلك الوجع الذي تنسى به كل شيء إلا الوجع في هذه الدوامة من الأفكار ، حدث شيء ما لقلبها . أكان وجعا ؟ لقد انقبض قلبها لحظة ثم انبسط . ما الذي طرأ ؟ يا للعنة ! إنها تلك الـ " أف ، لا " ذاتها هي التي كانت تقبض القلب وتبسطه .

مشت خطوة نحو بيتها لكنها توقفت وفكرت : " رام لال القواد قال أنه لم يحب وجهي ، لا لم يتكلم عن الوجه .. كل ماقاله أنه لم يستلطفني . " وجهي لم يرق له ، لا أكثر . ليكن ، أنا كذلك لا أحب بعض وجوه الرجال .. ذلك الذي

زارني في الليلة الماطرة كان وجهه قبيحا . هل اغتظت
وعبست ؟ لم أشعر بالحد حين تمدد في السرير لينام معي ،
ولكن ، ألم أمسك نفسي من التقيوء ؟ لا بأس يا سوغاندهي
لكنك لم ترفضيه !

لكن الأفندي صاحب السيارة بصق على . " أف ، لا "
ماذا تعني؟ من أين أحضرت لي ذلك الرجل يا رام لال ؟
أنت تتباهى بهذه الفتاة .. هذه المرأة تستحق عشر روبيات !
البغل لم يكن بمثل هذا السوء ! كانت سوغاندهي
مستغرقة في أفكارها عندما انتابتها موجة حارة من أخص
قدميها حتى قمة رأسها . كانت تغضب من نفسها حيناً ،
وأحياناً تشتم رام لال الذي أزعجها في الثانية بعد منتصف
الليل . لكنها سامحته فجأة ولم تفكر إلا في ذلك الأفندي .
وهذه الفكرة دفعت عينيها وأذنيها وذراعيها وساقها وكيانها
كله إلى التلفت والبحث عنه في كل مكان .. كانت تستحوذ
عليها رغبة طاغية بأن يتكرر الحادث ذاته مرة واحدة فقط
وعندئذ ستتقدم من السيارة ببطء ، يد من السيارة ستسلط
الضوء على وجهها وستسمع صوت " أف ، لا " وهي "
سوغاندهي ستتشب أظفارها في وجهه بجنون ستهاجمه
كقطة متوحشة وستغرز أظفارها الطويلة في وجهه ، ستجره

من شعره خارج السيارة وستكلمه بشراسة حتى تتعب ..
وعندئذ يمكن أن تبكي ، إن شدة الغضب والعجز أثارت
سوغاندهي إلى درجة أن قطرات كبيرة من الدمع تلالأت في
عينها . سألت سوغاندهي عينيها : " لم البكاء ؟ أي سوء
أصابكما ؟ " خفق السؤال في عينيها وردت الأهداب
بارتعاشة فحدقت سوغاندهي في الجهة التي انعطف فيها
السيد .

" من أين جاء ذلك الصوت المرتد ؟ " أجفلت سوغاندهي
وتطلعت هنا وهناك . آخ ، إنه قلبها ! لقد ظنت أنه محرك
السيارة .

" إن قلبي إيقاعا سليما ، فلماذا يتباطأ ويرتعد ؟ إنه يشبه
أسطوانة مشروخة ، تتوقف في نقطة معينة تحت الإبرة
وتعيد المقطع الغنائي مرارا وتكرارا ! " .

كانت السماء ملأى بالنجوم . تطلعت إليها سوغاندهي
وقالت : " كم هي جميلة ! " أرادت أن تحول تفكيرها في
اتجاه آخر : " جميلة " . ولكنها سرعان ما سرحت مع

خواطرها : " النجوم جميلة ، ولكن أنت خرقاء جدا ! هل نسيت أن وجهك منبوذ ؟ "

لم تكن سوغاندهي بشعة . إن صورها التي طالعته في المرأة خلال السنوات الخمس الماضية ، عادت فظهرت أملم عينيها واحدة واحدة . لاشك أنها تفتقد السحر الذي كانت تتمتع به قبل خمس سنوات، يوم كانت حرة من هذه المضايقات كلها وهي تعيش في كنف والديها. لكن مرور السنين لم يقلب حسننها إلى بشاعة . كانت امرأة من النوع الذي يبحث عنه الرجال . وفي نظر سوغاندهي ذاتها ، كانت لها جميع المزايا التي يتمناها الرجل في المرأة لقضاء بضع ليال .

كانت بنيتها الجسمية متناسقة . وفي بعض الأحيان ، كانت تتأمل جسمها أثناء الاستحمام ولا تتمالك نفسها من الإعجاب به ، وكانت تتمتع بمزاج طيب ، فخلال السنين القليلة الماضية نادرا ما زارها رجل ولم يستمتع معها . كانت طيبة القلب ، عذبة المعاشرة ، وفي عيد الميلاد ، كانت تعيش في عول ؟ بيتها وزارها أحد الفتيان . وفي اليوم التالي حين تناول سترته من المشجب اكتشف أن محفظة

نقوده مفقودة . لقد اختلسها خادم سوغاندهي . أحس الفتى بهول المصيبة ، لأنه جاء من حيدر آباد ليؤدي إجازته ، وليس معه فلس واحد للرجوع . فأشفت عليه سوغاندهي وأعدت إليه الروبيات العشر . أي عيب في؟ طرحت سوغاندهي هذا السؤال على جميع الأشياء حولها : مصباح الكيروسين المغبش ، العمود الحديدي ، أحجار الرصيف المربعة .. وحصى الطريق الوعر . لقد نظرت إلى هذه الأشياء واحدة فواحدة ، ثم تطلعت إلى السماء التي كانت تتحني فوقها ، لكن سوغاندهي لم تتلق أي جواب !

كان الجواب في داخلها . كانت تعرف أنها ليست شريرة ، بل إنها طيبة بالتأكيد . ولكنها تريد شخصا ما يثبت ذلك . شخص ما . شخص يلمس كتفها وهو يقول " سوغاندهي ، من يقول إنك سيئة ؟ إن من يقول عنك سيئة هو نفسه سيئ .. لم يكن ثمة من حاجة لقول " لا " كان يكفي أحدهم أن يقول : أنت لطيفة جدا يا سوغاندهي .

وراحت تفكر من جديد في السبب الذي يجعلها تتمنى أن تحظى من أحدهم بإطراء . لم يكن لديها مثل هذا الدافع من قبل . لم لاحظت الأشياء الميتة من حولها في هذا اليوم

وأرادت أن تفرض عليها إحساسها بأنها طيبة ؟ لم تستطع أن تعرف لماذا كان لكل عرق في جسدها استجابة الأم ؟ لماذا كانت تريد أن تضم في حضنها كل شيء في العالم مثلما تفعل الأم ؟ ولم تعرف لماذا كانت تريد أن تلتصق بالعمود الحديدي ذي المصباح وتمسح به خديها لتمتص رطوبته .

بعد حين ، شعرت أن مصباح الكيروسين الاعمشى ، والعمود الحديدي ، وأحجار الرصيف المربعة ، وكل شيء من تلك الأشياء التي كانت قريبة منها في سكون الليل ، كان يتطلع إليها بحنان . حتى السماء المنحنية فوقها ، والتي كانت تشبه قطعة قماش سميكه مغبرة وملأى بالثقوب ، شعرت بأنها كانت تفهمها ، وكانت هي أيضا تفهم تلك النجوم المتألئة . ولكن ، ما طبيعة ذلك التردد المضطرب في داخلها ؟ .. لماذا كان في داخلها إحساس الطقس المحتقن قبيل هطول المطر ؟ كانت سوغاندهي تريد من مسام بدننها كلها أن تتفتح لتفسح الطريق لكل ما كان يغلي في داخلها . ولكن ، كيف يمكن تحقيق ذلك ؟

كانت سوغاندهي تقف في طرف الشارع ، على مقربة من صندوق البريد . لسان الصندوق الحديدي الأحمر ، وهو

يتدلى في الفوهة المفتوحة ، تمتسم شينا فتحركت عينا
سوغاندهي نحو الجهة التي اختفت فيها للسيارة ، لاشيء
هناك .. كان لديها رغبة طاغية بأن ترى للسيارة مرة ثانية
.. مرة واحدة فقط !.. ولكن ، دعونا منها ومن سيرتها ،
لماذا ينبغي على أن أحطم نفسي ؟ خير لي أن أعود إلى
البيت وأنعم بنومة هادئة . ما الداعي لخوض هذا الجدل ؟
إنه مشاحنة دون جدوى .

عودي يا سوغاندهي إلى بيتك ، أو اشربي كوبا من الماء
البارد ، ودلكي وجهك بقليل من اللبسم العطري ، ثم نامي
وانعمي بنومة مريحة وسيكون كل شيء على ما يرام .
وليذهب الأفندي وسيارته .. إلى جهنم !.

شعرت سوغاندهي بانتعاش وكأنها قد خرجت من حوض
الماء بعد الاستحمام ، كما شعرت أن حالتها الذهنية رائقسة
وهي الحالة التي ينعم بها المرء عادة بعد أداء الصلاة . ولقد
تعثرت أكثر من مرة وهي تمشي عائدة إلى بيتها لأن أفكارها
كانت بلا ثقل . لكن الحادث تجدد في قلبها مثل ألم مباحث
راح ينتشر في كل خلية من خلايا جسمها ، فتثاقلت
خطواتها . كانت تعاني من إحساس شديد بأنها لم تستدرج

من بيتها إلى السوق إلا لكي يهينها ذلك الرجل الذي سلب
الضوء على وجهها . وفجأة شعرت أن أحدهم يتحسس
أضلاعها ليعرف ما يكتنز به جسدها من لحم وما يكسوه من
صوف .. ذلك الأفندي الله يجعل .. أرادت سوغاندهي أن
تصب عليه لعناتها ، ثم أدركت أنها بلا جدوى . لن تنعم
بالرضا إلا إذا أحضر ولعنت كل خلية من خلاياه . ولا بد لها
في حضوره أن تتلفظ بكلمات ستجعله لا يعرف طعم الراحة
طوال حياته .

كانت ستترع ثيابها لتقف أمامه وتقول : هيا .. خذ بغيتك
مني . هذا ما جئت من أجله . خذ مني بقدر ما دفعت ،
ولكنك لن تستطيع أن تساوم على كياني وما أكنه في داخلي ،
وحتى أبوك لا يستطيع ذلك .

كان هناك سلسلة من الطرق الجديدة في رأس سوغاندهي
لكي تشفي غليل انتقامها . أه لو تستطيع أن تقابل ذلك
الأفندي مرة أخرى ! فلو أتيح لها أن تواجهه فسوف تفعل
كذا ، وستفعل كيت وكيت . سوف تنتقم منه بهذه الطريقة ،
لا بل بتلك . ولكن ، حين اقتنعت أن من المستحيل لقاء ذلك

الأفندي مرة أخرى ، فقد كان عزاء لسوغاندهي أن قذفته
بشئمة غير مؤذية لا أكثر ، ولكنها ستلتصق بأنفه إلى الأبد.

وفي هذه الحالة من الاضطراب صعدت سوغاندهي إلى
حجرتها . أخرجت المفتاح من صدريتها لتفتح القفل ، لكن
يدها دارت في الهواء إذ لم يكن هناك قفل . دفعت
سوغاندهي الباب فأصر صريرا وتحرك . هناك من سحب
الرتاج من الداخل فانفتح الباب ودخلت سوغاندهي .

ضحك مادهو من بين شارببيه ثم أغلق الباب وقال
لسوغاندهي يبدو أنك امتثلت لنصيحتي . المشوار الصباحي
مفيد للصحة . إذا تابرت على هذه الرياضة الصباحية
بانتظام ، فسوف يطرح عنك الخمول وسيزول صداعك الذي
تشكين منه كثيرا من الأحيان . لاشك أنك مشيت إلى حدائق
فكتوريا ، أليس كذلك ؟ لم ترد سوغاندهي عليه ولا كان
مادهو راغبا بأي جواب . في الواقع ، حين كان مادهو
يتكلم لم تكن سوغاندهي مضطرة للمشاركة . وعندما يكون
هناك ما يستدعي الحديث فقد كانت تتكلم عنه قليلا . جلس
مادهو على الكرسي الذي كان ظهره ملطخا ببقعة كبيرة من
الزيت الذي اعتاد أن يدهن به شعره . وضع ساقا على ساق

وراح يفتل شاريه ، جلست سوغاندهي على السرير وقالت :
كنت اليوم في انتظارك .

أحس مادهو بارتباك شديد : في انتظاري ؟ . كيف عرفت
أنني سأقوم بزيارتك اليوم ؟.

انفرجت قليلا شفتا سوغاندهي المضمومتان عن ابتسامة
شاحبة : البارحة رأيته في المنام . صحت فلم أجد أحدا ،
لذلك رأيت من الأفضل أن أتمشى قليلا في الهواء الطلق ..
فقال مادهو بمرح : وعندئذ وصلت ، أوه يا للناس الكبار
وأفكارهم الناضجة ! يقول أحدهم بذكاء : الحب يجلب الحب،
متى حطمت ؟

أجابت سوغاندهي : حوالي الساعة الرابعة . نهض مادهو
عن الكرسي وجلس بجانب سوغاندهي على السرير . وأنا
رأيته في المنام في الساعة الثانية تماما وأنت ترتدين
الساري المزين بالورد وتقفين قربي ، هذا الساري ذاته ،
وفي يدك ... ماذا كان في يدك ؟ نعم ، كان في يدك صرة
كبيرة من النقود وضعتها في يدي وقلت

لماذا تتزعج يا مادهو ؟ .. خذ الصرة .. مالك ومالي ..
واحد لا فرق .. سوغاندهي ، أقسم لك .. لقد مضيت
واشتريت التذكرة لآتي إلى هنا .. كيف أخبرك بالمشكلة التي
أواجهها ؟ .. إنني متورط بقضية دون أي ذنب لو كان معي
عشرون روبية لاستطعت التخلص من المفتش بتقديمها رشوة
له ، ألسنت متعبة؟ تمددي لأفرك لك قدميك .

تمددت سوغاندهي واضعة ذراعيها تحت رأسها كوسادة
وخاطبت مادهو بنبرة لم تكن لها : من هو ذلك اللعين الذي
أقام ضدك دعوى يا مادهو ؟ إن كنت خائفا من الحبس ،
دعني أعرف ، من حسن التدبير أن تعطي المال للبوليس إن
كنت متورطا .. على الإنسان أن يشكر طالعه ليظل طليقا ..
يكفي ، لم أعد متعبة ... لا تتبجح وتسرد على الحادثة
كاملة.. إن قلبي بدأ يدق بعنف منذ سمعت بأن هناك دعوى
ضدك ..

ابتسم مادهو كالسكران . لقد ظن أن الفرصة مواتية
للحديث فقال فجأة : سأعود في قطار الظهيرة .. إذا لم أعط
المفتش خمسين أو مائة روبية قبيل المساء ، عندئذ .. لا
حاجة أن أعطيه الخمسين ستكون كافية.

"خمسين ! " تمتت سوغاندهي وتحركت باتزان بالغ نحو الصور الأربع المعلقة على الجدار . كانت صورة مادهو الثالثة من اليسار ، قد جلس على كرسي ويداه على فخذييه وخلفه ستارة مزينة بالورود ، وهو يمسك زهرة بيده ، ثمرة كتابان ضخمان على منضدة صغيرة بجانبه . كان مادهو واعيا بشدة أنه أمام آلة التصوير ، لذلك بدا كيانه كله يبرز خارج نفسه ! وكان يتطلع إلى الآلة وعيناه جاحظتان وكان اتخاذ ذلك الوضع للتصوير كان مؤلما جدا له .

قهقهت سوغاندهي .. كانت ضحكتها حادة الطرف إلى درجة أن مادهو أحس بوخزة ، فنهض عن السرير واقترب من سوغاندهي متسائلا : صورة من التي أثارت كل هذا الضحك ؟ أشارت سوغاندهي إلى الصورة الأولى من اليسار ، وهي مشرف البلدية الصحي تلك .. صورة مشرف البلدية .. تأمل قليلا وجهه القبيح .. يقول أنه رأني وقعت في حبه .. أف ، ياله من وجه كريه قالت ذلك وانتزعت الإطار بقوة شديدة إلى درجة أن المسمار خرج من الجدار ساحبا معه الملاط المحيط به . كان مادهو ما يزال ذاهلا حين قذفت سوغاندهي بالإطار خارج النافذة فهوى من الطابق الثاني وكان لارتطام الزجاج المهشم بالأرض صوت

مسموع . قالت سوغاندهي : عندما يراني الكناس سيقوم بالتقاط هذه النفايات وسيأخذ سيدي الأمير معه أيضا .

تبسم مادهو بصعوبة ثم تضاحك ، انتزعت سوغاندهي صورة صاحب العمامة بيد ومدت اليد الأخرى إلى صورة مادهو . انكمش مادهو داخل نفسه وكان يدها اندفعت نحوه خلال جزء من الثانية .

ضحكت ضحكة خافتة وقالت : أف ، لا ثم رمت بالإطارين معا من النافذة . ترامي إلى سمعهما صوت ارتطام الزجاج بالأرض أحس مادهو بأن شيئا تحطم في داخله . تضاحك بعناء شديد ولم يقل إلا : أحسنت صنعا ، لم أكن أحب تلك الصور .. تقدمت سوغاندهي على مهل من مادهو وقالت ألا تحب تلك الصور ؟ .. ولكن ، هل من شيء في داخلك يمكن أن يحب ؟ هذه الأنف الكبير .. وهذه الجبهة كثيفة الشعر .. وهذان المنخران المنتفخان .. وهاتين الأذنان المفتولتان .. وهذه الرائحة من فمك .. وهذه القذارة المنبعثة من جسمك ؟ .. أنت لا تحب صورتك ، أوه .. لا ! .. كيف تستطيع أن تحبها ؟ .. كانت تخفي عيوبك .. كانت .. والأيام تقول كلمتها : إن من يخفي عيوبه لابد أن يكون

سيئاً . تابع مادهو تراجعته حتى اصطدم ظهره بالجدار ، ثم قال لسوغاندهي بصوت لا يخلو من إصرار : اسمعي يا سوغاندهي، يبدو أنك عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. وأنا أنذرتك للمرة الأخيرة ..

التقطت سوغاندهي جملته لتكملها بالنبرة ذاتها : إذا عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. فلن تقوم بيننا أية صداقة . إذا دعوت أي مخلوق إلى هنا مرة أخرى .. فسوف أجرك وألقي بك خارج البيت .. وسأرسل إليك مصروف البيت حالما أصل إلى بونا ، نعم ، كم أجره هذا الجحر ؟ وقف مادهو حائراً .

تابعت سوغاندهي : ها أنا أخبرك : أجره الجحر خمس عشرة روبية في الشهر ، وعشر روبيات لي .. وكما تعلم فإن القواد يأخذ روبيتين ونصف ، وكل ما يبقى سبع روبيات ونصف ، أليس كذلك ؟

وهذه الروبيات السبع والنصف قد وعدتك بها ولكنني لا أستطيع وأنت ترغب في الحصول على شيء لا تستطيع الحصول عليه .. فأية علاقة تربط بيننا ؟ لا شيء ! لا شيء

إلا تلك الروبيات التي تخشش بيني وبينك ولذلك قررنا أن يكون أحدنا للآخر . أولا ، كان بيني وبينك تلك الروبيات العشر ، الآن خمسون روبية .. أنت تسمع خششتها وأنا كذلك . أية فوضى صنعت بشعرك ؟.

قالت سوغاندهي ذلك وقذفت قبعة مدهو بإصبعها ، لم يرق ذلك لمدهو فصاح بمرارة : سوغاندهي ! .

التقطت سوغاندهي منديلا من جيب مدهو ، تشمته ثم ألقت به على الأرض : هذه الخرق ، هذه القطع البالية من القماش . كم رائحتها كريهة ... ارمها بعيد !!..

صاح مدهو ((سوغاندهي !)) فردت سوغاندهي بحدة :

آه يا روح سوغاندهي ! لماذا جئت إلى هنا ؟ هل تعيش أمك هنا لتعطيك خمسين روبية ؟ وهل أنت من الوسامة حتى أقع في حبك ؟ .

يا لك من كلب حقير ! تريد أن ترعبني ؟ هل أنا من أتباعك ؟ ومن تكون ؟ لص أو مختلس جيوب ! ما الذي جاء

بك إلى بيتي في مثل هذه الساعة ؟ أتريد أن أستدعي البوليس ؟ أنت متورط بقضية في بونا ، فهل تريد أخرى؟.

أحس مادهو بالخوف ولم يتمالك نفسه أن يسألها بصوت خانع : ماذا جرى لك ؟ ردت سوغاندهي صارخة من أنت بحق الجحيم حتى تسألني ؟ اخرج وإلا .. ! بدأ كلبها الأجرب ينبح ، بعد أن كان نائما على القطعة البالية المهترئة في مواجهة مادهو ، فضحكت سوغاندهي . استحوذ الخوف على مادهو فانحنى ليلتقط قبعته ، لكنه سمع صوت سوغاندهي مرعدا : إياك أن تلمسها ، دعها في مكانها هناك انقشع إلى بونا وأنا سأرسلها إليك بالأجرة . ثم راحت تضحك بصخب وجلست على كرسي الخيزران .

أرغم كلبها الأجرب بنباحه المتواصل مادهو على مغادرة الحجرة . وبعد أن طارده وهو يهبط الدرج ، عاد الكلب ملوحا بذيله الأجرد فاقترب من سوغاندهي وراح يصفق أذنيه بجوار قدميها فتوجست منه نذير شؤم ، وأحست بدهشة رهيبة تحيق بها ، وحشة لم تكابد مثلها من قبل . كانت تحس أن كل شيء كان خاويا تماما كالقطار الذي أنزل المسافرين في كل المحطات ثم توقف وحيدا تحت المظلة الحديدية . هذا

الشعور المفاجئ بالفراغ داخل سوغاندهي كان موجعا لها
جدا .

لقد حاولت طويلا أن تملأ ذلك الفراغ ولكن دون جدوى .
امتلأت رأسها تلقائيا بالكثير من الأفكار ، لكنه كان كالمنخل.
فكلما ملأت رأسها ألفته فارغا في اللحظة التالية . سرحت
مع خواطرها لمدة طويلة وهي جالسة على كرسي
الخيزران، لكنها لم تستطع أن ترسو في أي مكان يريح
قلبها.. فالتقطت كلبها الأجرب واحتضنته ومضت لتتنام في
سريرها الخشبي العريض .

وجاء العيد^(١) ..

بريم تشاند*

اليوم .. أول أيام عيد الفطر المبارك .. ياله من يوم جميل .. الأشجار السامقة تظل المكان بأوراقها الخضراء الوارفة .. الحقول تبدو في أروع صورة لها .. السماء يشوبها لون يميل إلى الأحمر الداكن .. الشمس تبدو رقيقة هادئة .. وكان الدنيا كلها تحتفل بالعيد .. القرية بأكملها تعج بالنشاط والحيوية .. الجميع يستعدون للذهاب إلى ساحة صلاة العيد .. هناك من يكتشف أن قميصه يحتاج إلى أزرار . فيهرع إلى جاره ليستعير إبرة وخيطا .. وهنا آخر يجد حذاءه جامدا .. فيجري إلى محل الأحذية ليستعين بلبيسة " الأحذية " الأبقار يجب إطعامها قبل أن يخرجوا . فالיום سوف يكون قد انتصف عند عودتهم من ساحة الصلاة .. إن عليهم أن يقطعوا ثلاثة أميال أو ما يزيد حتى يصلوا إلى

(١) قامت الأستاذة مائتر المرصفي مدير تحرير مجلة الشرق بترجمة هذه القصة عن اللغة الانجليزية ونشرتها في مجلة صوت الشرق (المترجم)

الساحة ليقابلوا مئات الأصدقاء والمعارف والجيران ويتبادلوا التهئة بالعيد .. الأطفال هم أسعد الجميع صحيح أن بعضهم لم يصم يوما واحدا إلا حتى العصر .. والبعض لم يصم على الإطلاق ولكن الرحلة إلى ساحة الاحتفال بالعيد هي نصيبهم من الفرحة ، فالصوم للبالغين .. أما العيد فللصغار .. إنهم لا يكفون عن التفكير في العيد منذ أول يوم رمضان .. واليوم جاء العيد حقا .. كل ما يهمهم الآن أن يذهبوا للاحتفال .. غير عابئين بالمشاكل المنزلية .. فلا يعينهم إذا كان بالمنزل لبن وشعرية لعمل حلوى السيواى التي يأكلونها في العيد أم لا .. إن كل ما يهمهم هو أن يأكلوها .. جيوبهم تمتلئ بنقود العيدية .. لا يتوقفون عن إخراج العملات من جيوبهم وعدّها .. ثم إعادتها مرة أخرى إلى جيوبهم .. محمود يعد ثروته .. واحد .. اثنين .. عشرة .. اثنتى عشرة .. إنه يمتلك اثنتى عشرة بيسة^(١) أما محسن فيمتلك .. واحد .. اثنين ... ثلاثة .. ثمانية تسعة ... خمس عشرة بيسة ... إنهم سيشترون العالم بهذه الثروة الهائلة لعب .. وحلوى .. وطبول .. وكرات .. وأشياء أخرى كثيرة ..

(١) البيسات جمع بيسة وهى وحدة نقدية هندية تعادل قرشا (المترجم).

وأسعد كل هؤلاء الأطفال هو حميد .. الصبي البالغ من
العمر أربع أو خمس سنوات .. نحيف .. ذو وجه بوري ..
مات أبوه العام الماضي بعد أن أصيب بالكوليرا .. وأخذت
أمه تضعف وتشحب يوما بعد الآخر حتى ماتت هي
الأخرى .. لم يتمكن أحد من معرفة ما أصابها .. وحتى لو
كانوا قد عرفوا . فماذا كانوا سيفعلون ؟ ... لقد كانت تعاني
في صمت .. وعندما وهنت قدرتها على الاحتمال . تركت
العالم في هدوء .. والآن يعيش حميد مع جدته العجوز أمينة
في سعادة لم يعرفها من قبل .. إن والده قد رحل ليجلب له
ثروة .. وسوف يعود محملاً بالحقائب المملوءة بالمال .. أما
أمه فقد رحلت إلى جوار ربها لتجيء له بأشياء حلوة
كثيرة ..! لهذا يعيش حميد سعيداً .. الأمل شيء جميل ..
وخاصة لدى الأطفال .. وخيالهم الواسع يمكن أن يحول حبة
القمح إلى جبل شاهق .. حميد ليس لديه حذاء .. ورداءه بال
وباهت ... فقد فقدت الخيوط التي تزخره باللون الذهبي
وأصبحت سوداء اللون .. ولكنه مع كل ذلك لا يزال سعيداً ..
فعندما يعود أبوه محملاً بـحقائب المال . وتعود أمه بالهدايا
الكثيرة .. عندئذ سيكون لديه كل شيء .. ولا يعرف كيف
سيستطيع محسن ومحمود ونور وسامي أن يتباهوا بذلك
القدر الذي يملكونه من المال !! .. جلست أمينة البائسة تبكي

في غرفتها .. فاليوم عيد .. ولا توجد بمنزلها حبة قمح ..
لو كان عبيد لا يزال على قيد الحياة ، هل كان العيد سيمر
عليها هكذا ؟ !

غرقت أمينة في اليأس والظلام .. لا أحد في هذا المنزل
يشعر بالعيد إلا حميد..إنه لا يدرك معنى الموت .. والحزن
.. بل تملؤه الفرحه والأمل .. دخل حميد غرفة جدته ..
وقال لها " لا تخافي يا جدتي .. سأكون أول من يعود .. لا
تقلقي ! " .

شعرت أمينة بقلبها ينفطر حزنا .. إن كل أطفال القرية
سيرحلون بصحبة آبائهم .. وحميد ليس لديه سوي جدته ..
كيف يمكن أن تتركه يذهب بمفرده ؟ أليس من الممكن أن
يتوه وسط تلك الزحام .. إنه لا يزال صغيرا .. كيف سيقدر
علي أن يقطع كل تلك الأميال . هل ستتحمل قدماء
الصغيرتان؟ إنه حتى ليس لديه حذاء .. إنها تستطيع أن
تحمله لبعض الوقت .. ولكن لو ذهبت معه ، من سيبقى ليعد
حلوى السيواي .. لو كان لديها بعض المال لذهبت لشراء
كل ما تحتاجه لإعداد الحلوى وصنعتها على الفور ثم ذهبت
مع حميد.. ولكنها تحتاج إلى ساعات طويلة حتى تجمع كل

ما تريده .. إن عليها أن تستعير من هذا وتشحذ من ذاك ..
لقد صنعت ذاك اليوم ثوباً لفهيمه وأعطتها ثمانى أنات مقابل
ذلك .. ومنذ ذلك اليوم وهي تدخر الثمانى أنات ليوم العيد ..
ولكن بائعة اللبن أصرت بالأمس على أن تأخذ كل ما تدين
به أمينة من نقود .. وحميد لا يمكن أن يستغنى عن اللبن ..
لذلك لم يبق معها الآن سوى أنتين .. ثلاث بيسات في جيب
حميد .. وخمس بيسات في كيسها .. هذا كل ما تحتكم عليه
.. ومن المؤكد أن زوجة الحلاق وزوجة الكناس وبائعة
الأساور سوف يأتين إليها اليوم ليهنئوها بالعيد .. وسوف
يرغبون بالطبع في بعض من حلوى السيواي .. وبالطبع لن
تتفهم أي منهن الأمر إذا قدمت لها قدراً ضئيلاً من الحلوى ..

بدأت الحشود تتجمع في القرية استعداداً للانطلاق إلى
ساحة الاحتفال .. حميد أيضاً ذهب مع الأطفال الآخرين ..
كانوا ينطلقون جميعاً في بعض الأحيان ، ويتوقفون في
أحيان أخرى لينتظروا من تأخر منهم تحت الأشجار

لماذا يسرون بكل هذا البطء ؟ .. إن حميد يعدو وكان
قدميه قد تحولتا إلى جناحين .. إنه لا يشعر بأي تعب .. لقد
وصلوا الآن إلى مشارف المدينة .. على جانبي الطريق ،

تصطف حدائق الأثرياء ، تحيط بها الأسوار العالية من كل ناحية .. وبداخلها تبدو أشجار المانجو عامرة بالثمار الطازجة .. بين الحين والآخر يقف مجموعة من الأطفال أمامها يقذف أحدهم ثمار المانجو بحجر صغير .. فيخرج الحارس مسرعا يكيل لهم السباب والإهانات .. فينطلقون فارين .. وهم يضحكون ويقهقهون ..

واصل الجميع السير .. كل المتاجر مفتوحة .. وكلها تعلق الزينات اليوم .. من ذا الذي يستطيع أن يأكل كل هذه الكميات من الحلوى ؟ .. إن كل متجر منها يحتوي على آلاف الأطنان من الحلوى .. يقولون إن الجان يحضرون ويشترون كل هذه الحلوى في الليل .. قال محسن: "إن أبي يقول إن رجلا يحضر في منتصف الليل إلى كل متجر ويشترى كل ما فيه .. ويدفع مقابل ذلك نقودا حقيقية مثل العملات التي معنا تماما !".

وجد حميد صعوبة في تصديق ذلك .. فسأله "ومن أين يأتي الجان بمثل هذه العملات .. ؟" أجابه محسن الجان لا تنقصهم الأموال .. ففي مقدورهم أن يزوروا أي خزانة .. فحتى الأبواب الحديدية ليست عائقا بالنسبة لهم .. إنهم

يملكون أيضاً جواهر وألماس .. ولو أنهم مسرورون ،
فيمكن أن يعطوك ملء حقائب من الجواهر .. وهم يكونون
معك في لحظة .. وفي اللحظة التالية يكونون في كلكتا .. "

تساءل حميد ثانية هؤلاء الجان لابد أن يكونوا مخلوقات
ضخمة ؟"

أجابه محسن بأن كلا منهم يطاول عنق السماء .. ولكن
عندما يريد يتحول إلى كائن أصغر من أن تراه .

سأله حميد كيف يمكن أن نسرهم ؟ لو علمني أحد السبيل
إلى ذلك فسوف أفعل ذلك ؟.. أجابه محسن إنني لا أعرف
السبيل إلى ذلك .. ولكن السيد شودري يسخر الكثير من
الجان .. وعندما يكون هناك حادث سرقة ، فإنه يستطيع أن
يكشف اسم السارق .. ذلك اليوم عندما سرق اللصوص
جارنا جومراتي .. ظل يبحث في كل مكان .. ولما فشل في
العثور عليهم ذهب إلى شودري صاحب .. فأحضر الجان
وعرف منهم كل شيء..

الآن فقط عرف حميد لماذا يمتلك شودري صاحب كل
هذه الثروة .. ولماذا ينال كل هذا الاحترام من الجميع ..

واصل الجميع سيرهم .. وصلوا إلى نقطة الشرطة .
جميع رجال الشرطة يصطفون هنا .. في الليل يكون على
هؤلاء المساكين أن يقوموا بدوريات ليلية ، وإلا ستقع
حوادث سرقة في المدينة .. هذا ما يفهمه حميد .. ولكن
محسن ناقض ذلك .. " إنهم هؤلاء رجال الشرطة يقومون
بدوريات ليلية ! إنك تعلم الكثير ! إنهم هم الذين وراء
حوادث السرقة .. وهم الذين يحمون كل أنذل ولصوص
المدينة .. فعندما يحل الليل يعطون الإشارة للصوم
ليشرعوا في السرقة ويذهبون هم إلى أماكن أخرى ،
ويصيحون بأعلى أصواتهم "من هناك ؟..من هناك " هكذا
يصبحون أثرياء .. إن عمي ، يعمل رجل شرطة في أحد
أقسام الشرطة .. ويتقاضى مرتبا شهريا يبلغ عشرين روبية ..
ولكنه يرسل إلى أسرته خمسين روبية شهريا .. أقسم بالله ..
وعندما سألته ذات مرة من أين يحصل على كل هذه النقود ،
ضحك وقال " إننا نحصل عليها بركة الله يا بني .. ولو أننا
نريد لكان في إمكاننا أن نحصل على آلاف الروبيات يوميا ..
ولكننا لا نأخذ إلا القدر الذي يجعلنا نحيا حياة كريمة ، وفي
الوقت نفسه لا يكلفنا فقدان وظائفنا " .

سأله حميد ولو أنهم وراء السرقات .. أليس من الممكن أن يقبض عليهم.. شعر محسن بالشفقة نحو حميد لجهله البين.. ومن الذي سيقبض عليهم أيها الساذج ..إنهم هم الذين يقبضون على الناس .. ولكن الله يُنزل بهم عقابه .. فكل ما يكسبونه حراما يضيع هباء .. فمنذ فترة قصيرة شب حريق هائل في منزل عمي .. أتى على كل شيء في المنزل .. حتى أنهم ظلوا ينامون في العراء لأيام طويلة .. أقسم بالله .. في العراء .. حتى اقترض عمي من مكان ما مائة روبية ليشتري بها ما يحتاجون .

سأله حميد : المائة روبية أليست أكثر من الخمسين ؟.. ضحك محسن وقال : المائة روبية تختلف تماما عن الخمسين .. فالخمسون روبية يمكن أن تضعها في حقيبة أما المائة فربما لا يكفيها حقيبتان...!!..

وأخيرا .. وصل الجميع إلى ساحة الاحتفال .. أشجار التمر هندي تظلل المكان ..الأرض مفروشة بسجاد الصلاة.. المصلون يقفون في صفوف متساوية ، الصف وراء الآخر إلى أبعد ما يمكن أن يمتد إليه البصر .. وعندما يفد مصلون جدد يصنعون صفا جديدا .. وهكذا .. لا اعتبارات هنا

لأصحاب المناصب العليا .. أو الثراء .. الوقوف في الصف
الأمامي ليس معناه السمو في المكانة أو الغنى ... الجميع
سواء في الإسلام .. الواقفون من القرى أيضا .. يتوضأون
وينضمون لصفوف المصلين .. منظر مهيب؟؟ ما أروع
النظام الذي يلتزمون به وهم يصلون .. آلاف الرؤوس
تنحني في خشوع .. ثم تُرفع مرة أخرى .. الجميع يركعون
معا .. ويسجدون معا .. يكادون في دقتهم والتزاماتهم يبدون
مثل آلاف المصابيح الكهربائية التي تضيء ما إن تضغط
على الزر .. وتتطفئ ما إن تضغط عليه مرة أخرى .. ياله
من منظر خاشع .. رائع .. يملأ القلب بالإيمان والفخر
والفرحة .. كل هذه الجموع الغفيرة بدت وكأنها اجتمعت على
روح واحدة من الأخوة ..

انتهت صلاة العيد .. وتفرق الجميع .. راحو يتعانقون
ويهنئون أحدهم الآخر .. وجاء وقت الشراء .. بدأ الهجوم
على متاجر اللعب والحلوى .. والأراجيح والألعاب .. هرع
محمود ومحسن ونور وسامي نحو الحصان الخشبي .. ركب
كل منهم دورة واحدة مقابل بيسة واحدة .. وقف حميد بعيدا
يرقبهم .. فهو لا يملك سوى ثلاث بيسات ..

نزلوا جميعاً من الأراجيح .. وجاء دور شراء اللعب ..
عدد هائل من المتاجر .. ماذا ينفقون ؟ اللعبة الواحدة ثمنها
بيستان .. وحميد لا يملك سوى ثلاث بيسات .. لو اشترى
لعبة واحدة لن يبقى معه سوى بيسة واحدة .. إنه لا يستطيع
أن يشتري هذه اللعب الغالية .. ثم إنها في النهاية ليست
سوى فخار مطلي بالألوان .. فلو وقعت من يديه ستحطم ..
ولو سقط عليها بعض الماء سيزول لونها .. ماذا سيفيده ،
إذاً، لو اشتراها .. إنها عديمة الفائدة .. هكذا قال لنفسه ..
ولكن روحه كانت تتوق للعب بها .. أو حتى ضمها بين يديه
لدقائق معدودة .. اشترى كل من أصدقائه لعبة مختلفة ..
وراح كل منهم يتباهى بلعبته .. ولما أخبرهم حميد أنها
عديمة الفائدة ويمكن أن تتحطم في أية لحظة .. ضحكوا على
تعليقه طويلاً ..

انتقل الجميع إلى متاجر الحلوى .. واشتروا جميعاً ما
يريدون منها .. إلا حميد .. فهو لا يملك سوى ثلاث بيسات
.. أخذ أصدقائه يغيظونه بما اشتروه من حلوى .. أخبرهم
حميد بأن أكل الحلوى ليس صحيحاً .. وأن الحلوى تسبب
أمراضاً كثيرة .. هكذا يقول الكتاب .

بعد متاجر الحلوى .. يوجد العديد من متاجر الأدوات المنزلية .. لا يقف أمامها الكثيرون يوم العيد .. لاشيء فيها يجذب الأطفال .. لذلك مروا جميعاً من أمامها مرور الكوام إلا حميد وقف ينظر إلى ما يحتويه المتجر .. وقع نظره على ملقطة خشبية تذكر أن جدته لا تمتلك واحدة .. وعندما تخبز ، دائماً تحرق يديها .. تخيل الفرحة التي يمكن أن يرسمها على وجهها عندما ترى الملقطة الخشبية .. نظر إلى الثلاث بيسات التي يملكها .. ماذا يفعل .. هل يشتري لعبة؟ .. وماذا لو وقعت منه وتحطمت ؟ .. هل يشتري حلوى ؟ .. إنها تتسبب في تسوس الأسنان وظهور الحبوب على الوجه .. أما لو اشترى الملقطة .. من .. المؤكد أن جدته ستغرقه بدعواتها .. ودعوات الكبار حتما تصل إلى السماء أسرع من دعوات الصغار .. اشترى حميد الملقطة الخشبية .. وبالطبع لم يسلم من تعليقات أصدقائه الساخرة .. بحلول الظهيرة .. عاد الجميع إلى القرية .. ذهب كل طفل يحكي لرفاقه عما فعل في ساحة الاحتفال .. دخل حميد إلى جدته .. احتضنته في شوق .. سألته .. ماذا اشتريت يا حميد؟ عندما رأت الملقطة الخشبية ثارت ثائرتها .. هذا الصبي الأحمق .. لم ياكل أو يشرب أي شيء طوال النهار .. لم يشتري أي لعبة .. وبماذا عاد من ساحة الاحتفال ..

ملقطة خشبية .. نظر إليها حميد وفي عينيه نظرة ذنوب ..
قال لها جدتي .. إن أصابعك تحترق كلما تخبزين .. وذلك
يحزنني كثيراً .. لهذا اشتريت لك هذه الملقطة الخشبية ..

تحول حنق الجدة إلى شفقة .. هذا الصبي المسكين حرم
نفسه من كل شيء من أجل جدته .. لا بد أنه تعذب كثيراً
حتى يمنع نفسه عن كل ما يمكن أن يتمتع صبياً مثله حتى
يسعد جدته ..

في هذه اللحظة تحولت الجدة أمينة إلى الطفلة أمينة ..
والطفل حميد إلى الرجل المسئول البالغ .. ضمته بين
ذراعيها .. وأغرقته بدعواتها .. ودموعها راحت تنهار
عليه .. ولكن حميد لم يفهم سبب هذه الدموع ..

غداً سيكون يوماً آخر ...

أوشاجون*

كانت الأمطار قد هطلت بغزارة قبل بضعة أيام وغلف
غطاء سميك من الحرارة الرطبة دلهي . جرت " تاريني "
الستار وقاية من الهواء الساخن ، وردت من المعبد المجلور
أصوات الأجراس و تراتيل الصلوات كان اليوم يوم مولد
لورد كرشنا يوم مولد إله الرقص والغناء.

إنها فيما كانت تستمع إلى تراتيل سلوكس استعادت إلى
ذاكرتها حلمها المؤخر . كانت قد شاهدت لورد كرشنا في
حنطور يجره اثنان من الفيلة وهي تجري وسط الرمال إلى
حين أن وصلت إلى غابة . فنزل من الحنطور وتاجه
مزخرف بريش الطاووس وهز النسيم البارد أطراف ثوبه
الحريري الأصفر اللون المزخرف بالذهب .

عندما عزف على مزمارة أحاطت به مجموعة من
الوصيفات ورقصت بفرح من حوله . كانت عيون به مليئة

بالشقاوة بينما أخذ بيدهن ورقص مع كل واحدة منهن بحماس
متساو .

كانت خطواته رقيقة لدرجة أن قدميه نادرا ما لمستا
الأرض . سرعان ما شكلت التتورات التي كانت تهتز
بسرعة والتي كانت ترتديها الوصيفات حلقة دائرية من حوله
أشبه بقوس قزح . لكنها استيقظت فجأة من نومها بعد ذلك .

يكن في قلب كل رجل كرشنا مشاغب وفي قلب كل
امرأة هناك " رادا " التي خدعت زوجها ، ان الاختلاف
الوحيد هو أن الناس يعترفون بذلك والبعض الآخر مثلي
يحاولون السيطرة على تلك المشاعر للمداعبة والمغازلة .

فكرت " تاريني " في نفسها وقالت يرغب معظم الناس في
التضلع خلسة في هذه العواطف المحرمة وعندما يتضلعون
فيها يدركون على الفور أن البعض قد أسرف ويتورطون في
مشاكل أخرى .

الكثير من النساء يعايشون وهماً أنهن الوحيدات اللواتي
يحبهن أزواجهن لأنفسهن لا تسمح لهن بتقبل الحقيقة .
نفس الوهم محبب لدى الأزواج . ماذا سيكون رد فعلهم حين

يواجهون الحقيقة المريرة أنه يتم خداعهم وكل ذلك يعتمد على درجة أنانيتهم وميزاتهم ومذهبهم وتربيتهم ومكانتهم الاجتماعية " . إنها خلعت ملابسها وتوجهت إلى الحمام . إنها فتحت الماء على جسدها وسمحت له ليقوم بتلصيق شعرها إلى جسدها المبتل . بعد الحمام شعرت بنشاط . إنها كانت ترغب في معاملة كل يوم جديد كيوم مفاجأة الذي يعد بتقديم خبرة مختلفة لها . ماذا إذا فشل اليوم بوفاء وعده و تركها بائسة؟! هناك دوما يوم آخر جديد . إنها تتطلع إليه يوم جديد بوعد جديد . إنها تذكرت كرشنا المبتسم الراقص وهو يغازلها وينظر إليها . تساءلت في نفسها هل يحاول ذلك الحلم أن يبشر بشيء عن حياتها الحالية ؟

تراكمت في ذهنها ذكريات مختلفة وأنه تركها لأجل فتاة أخرى وأنها طلبت الطلاق منه لأسباب هجرته لها وأنها قالت في نفسها من العجيب أنني لم أخنه أبدا عندما كنا متزوجين . ربما ليس من طبيعتي أن آخذ بالثأر . أه ليس له الآن أي سلطة عليّ وأنا لن أسمح لذكرياته أن تخيم على مزاجي البشوش .

فرحت من نفسها لأنها تمكنت من السيطرة على ذاتها
والتحقت بعمل يناسبها . غضب والديها من قرارها للعمل
كأمين ثقافي لدى منظمة دولية في دلهي . إلا أنها كانت حتى
الآن تحب عملها وأجرها وهكذا قررت عدم العودة إلى
بومباي .

ارتدت " تاريني " ملابسها ببطء وتعجبت من شعرها
الحريري ورشاقتها ولون بشرتها . إنها كانت دوما تفرح
وهي تستمع إلى الناس وهم يمدحون جمالها وسحرها
وجاذبيتها .

كانت تبدو أنيقة جدا وهي جالسة في غرفة الطعام وكانت
تستمع إلى النشرة الإخبارية الصباحية من إذاعة عموم الهند
لكنها لم تكن تصغي إليها وهي تشرب فنجان القهوة الساخن
دون أن تتذوقه وكانت تفكر في الرسالة كالتالي " عزيزتي
تاريني بعد كل هذه السنوات زرت بومباي واتصلت بوالديك
وسمعت النبا المؤسف . إنك اتخذت قرارا حكيما يا تاريني
أنت شابة وحررة لتقرري مستقبلك . أنا أرغب في لقاءك .
ساكون في نيودلهي لبضعة أيام . لأن ٢٩ هو يوم عطلة يوم
ميلاد كرشنا أنا أرغب في لقاءك ذلك اليوم . هل تتذكرين

لقاءنا الأول في المعبد في يوم عيد ميلاد كرشنا بعد ذلك
اليوم الخاص حدث الكثير .. صديقك إلى الأبد أرفند .

على الرغم من أنها تعجبت من الرسالة إلا أنها أدركت
أن أرفند لم ينسها . شهدت على ذلك بطاقته التي بعث إليها
في أعياد ميلادها. إلا أنها لم تتوقع أنه يرغب في لقاءها .
لأنها تاهت في ماضي حياتها .

إنها نادرا ما فكرت في أرفند . بل إنها انتقلت إلى عالم
مختلف حيث كانت تحاول فيه القيام بعدة أشياء فوراً .

كان عليها تنظيم حفلات ثقافية بالتعاون مع المجلس
الهندي للروابط الثقافية أو السفارات المعنية ولقاء الباحثين
والمندوبين من منظمات ثقافية من الخارج وأيضا مع زعماء
الدين وخبراء الآثار والمستشرقين والأخصائيين في
الدراسات الهندية . إن عملها كان حافزا فكريا وإن ولعها
الشديد بالشئون الثقافية مكنها من إقامة علاقات صداقة مع
أشخاص من بلدان بعيدة . أتى بها ولعها إلى مقربة من أناس
لهم خلفيات وثقافات مختلفة . لقد تعجبت وأدركت أنه خلال
سنوات قامت بتنظيم عدة برامج ثقافية دولية وندوات

ومحاضرات اشتركت فيها شخصيات من بلدان مختلفة .
دون شك كانت تلك صداقة مناسبة ونجحت دوما في التغلب
عليها .

كانت تنتقد نفسها وكانت دوما تبحث عن طرق لتحسن
عملها . لماذا كان على أرفند أن يطرق باب حياتها الآن ؟
ماذا كان يبحث عنه ؟ إنها افترضت أن صديقك إلى الأبد
أرفند يعني أنه لا زال يحبها في صمت . وأنها كانت قد
رفضت مقترحه وكان ذلك شيئا ماضيا ربما هذه المرة قد
تقبل عرضه . لقد وافق والدها على أرفند . فلم يقدر على
فهم سبب رفضها له . في ذلك الحين كانت منبهرة من
وسامة فرندر وكانت قد أخبرت والدها أن "أرفند" يحب
المال . إلا أن والديها شعرا أن سببها غير كاف لرفض
أرفند . بعد زواجها من فرندر أدركت أنه خائن . ثار في
داخلها غضب شديد حين اكتشفت أنه يحصل على فتيات
ساقطات باستمرار .

هنا وجدت نفسها تفكر في أرفند مرة أخرى صحيح أن
أرفند كان ذكيا وقاسيا وطموحا ولكنه جاد في العمل أيضا .

إن الزواج منه سيقدم لها حياة زوجية سهلة سعيدة خالية من أي شك أو حسد .

عند الساعة الحادية عشرة كانت قد أكملت عملها الصباحي . بعد وجبة الغداء أعدت " تاريني " ساندوتشات من الجبن مع الخيار ووضعتها في الثلاجة مع زجاجة مشروبات غازية بعد ذلك غاصت في نوم عميق .

استيقظت في حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء وهي تأمل أن أرفند لا يصل حتى الساعة السادسة والنصف بعد الاستحمام ارتدت ساري من الشيفون الأزرق . كان ذلك اللون هو المفضل لهما ؟ إنه كان قد أهداها ساري من نفس اللون في عيد ميلادها الثامن عشر .

جلس أرفند في غرفة الاستقبال محاطا من أثاث وزخرفات كان يعلم أنها محببة لها . إنه تذكر في نفسه " أنها كطالبة جامعية كانت ترغب دوما في جمع تعليقات زخرفية على الحائط وكذلك التحف وما شابه ذلك ، أشعل بعد التردد سيجارة وبدأ يدخن . لدى سماع جرس الباب يدق في الساعة السادسة هرعت " تاريني " لترحب به . كان بإمكانه أن

يحصل فقط على لمحة من الساري الأزرق ذي التطريز
الذهبي على جوانبه .

كانت قد قالت له سأحضر إليك بعد لحظة واحدة وعادت
بعدها إلى الغرفة المجاورة لتكمل وضع المكياج .

فكر وهو يدخل السجارة أنها أجمل بكثير من " سينا "
اللون الأزرق هو اللون المفضل لها . أنا معجب باللون
الأصفر الذهبي والياقوت الأزرق لأن تلك الألوان تتناسب
سينا .

نظر من حوله لم يكن هناك أي شيء يعود إلى الماضي .
وكان قد احتفظ بعناية بنموذج مصغر لتاج محل حيث وجد
لذلك النموذج مكانا خاصاً في مكتبته .وقفت " تاريني " عند
باب غرفة النوم ونظرت إليه . ثم رفعت خصلة من شعرها
ووضعتها خلف رأسها . نظر إليها أرفند وتعجب لشبابها
وسحر عيونها . جلست أمامه هائلة رقيقة يشع منها الجمال .

قالت : أنا دائماً أحب الاسترخاء والراحة يوم العطلات .

وأخبرها أن والديها أخبراه عن فرندر إنها لازالا غير
قادرين على فهم لماذا تصرف كما فعل وكذلك أنا !إنك ذكية
وجميلة . كان يجب عليه أن يدرك حسن حظه حيث وجدك
رفيقة لحياته .

أنا أعتقد أن فرندر يؤمن بالمثل الذي يقول " الزمن يجعل
الحب يمر (Time makes love pass)^(١) . كنت أشعر دوما
بالغيرة إزاء قصص غرامه . كان يجب على السماح له أن
يقضي أوقاته حسب رغبته دون أن أتعارك من أجل حبه .
أنا سعيدة أن الأمر قد انتهى الآن . وردت كلماتها متقطعة .

وقف ثم جاء وجلس إلى جوارها واقترب منها . بعد أن
شم عطرها وأدرك جمال جسمها المقسوس ولمس كتفها
ليطمئنهما وهنا التقت نظراتهما.

إن السنوات عاملتك بلطف " يا أرفند " وابتعدت عنه
تدريجيا لأن وجوده قريبا منها أثارها . ابتسم وهو مندهش
للتشابه الكبير بينها وبين "تاريني" بطلة أحلامه الماضية .
تذكر اليوم الذي تقدم فيه لطلب يدها وكانت قد نظرت إليه

(١) هكذا في الأصل (المترجم)

بتعبير غامض على وجهها ، كانت تخشى أن تعا هذه بأي ارتباط عاطفي . حضر إلى حياتها في لحظة خاطئة . كانت عند ذلك الوقت فتاة مرحة لها تطلعات عالية أرادت دوما أن تشرب من فنان الأوهام المثيرة . إنها في قلبه فكر أنها حتى الآن هي أكثر النساء المغريات اللاتي يعرفهن وامتلا بولع وبرغبة قوية ليمتلكها . لقد كان هناك صمت متوتر . ضاقت جفون أرفند في محاولة لإخفاء تعبـير نظراته . مضت اللحظة واستعاد حالته الطبيعية . رد قائلا تمكنت إلى حد ما من الحفاظ على سلامة جسمي . لقد كان على أن أناضل بشدة حتى أصل إلى هذا المنصب التنفيذي المرموق .

ضحكت وقالت " حسناً معظم الناس يكافحون للوصول إلى مناصب عالية "

قال وهو يمد يده لتناول عصير الليمون " أنا معجب بغرفتك للاستقبال ، لا شيء من الماضي . كم أود أن أكون مثل ذلك لازلت أحتفظ بصورتك معي . لقد كنت حبي الأول، لن أنسى ذلك أبدا . الماضي لا يموت أبدا . إنه جزء منا . علينا أن نتقبل تلك الحقيقة " .

قالت له آه " ذكرى لجنوني . مزيداً من عصير الليمون
وأمسكت بالكوب .

" نعم إن الليمون أنعشني كثيراً "

أتذكرين أكواب القهوة الساخنة التي قدمتها عندما كنت
تخسرين الرهان . ضحكت وقالت عندما كنت أفوز في
الرهان كان عليك أن تأخذني إلى السينما .

" تاريني عودي إلى بومباي لأجل والديك ولأجل نفسك .
إنك تجدينني هناك . إن دلهي أيام الكلية أصبحت شيئاً ماضياً
." تردد وهو يحاول الابتعاد : أنا أرغب في ذلك أيضاً يا
تاريني " أخيراً سأخطو خطوة كبيرة سأتزوج في الشهر
القادم . أنا أعلم أنك أنت وسيّتا ستصبحان صديقتين، إنها من
بانجلور سأنتقل حالا إلى بومباي وسيكون من حظي أن
تكوني هناك . اعديني أنك ستحضرين إلى بومباي .

قالت في كلمات جارفة لكن صوتها كان مسيطراً " يالها
من أنباء سارة . أنا فرحة كثيراً لأجلك . كم أود الرجوع إلى
بومباي لكن لا أقدر على ذلك . " كانت غاضبة من كل
شيء . لقد كان يوم أو هام ووعود كاذبة . قفزت موجة

الغضب إلى حنجرتها وخنقت الكلمات التي أرادت أن تتفوه بها . كلمات ربما كانت تطعنه وتتركه جريحا . هدأت موجة الضجر فجأة مثلما ظهرت وابتسمت برقة .

إنها فكرت " غدا سيكون يوما مختلفا . "

" لا أبالي بما تقولين أو تفعلين تاريني إنك دوما ستكونين "رادا" بالنسبة لي . "

" أنا لا أريد علاقة في حياتي مثل علاقة كرشنا ورادا".

- " ربما يتغير اعتقادك . بعض من أقرباء سيتا الذين يعيشون في دلهي دعوني إلى حفل عشاء . "

- اذهب عليك أن تتساني . وتتسى علاقتنا . "

- " لا أبدا . "

خرجت معه للبوابة .

قالت " الوداع . "

- " الوداع ، تذكرني أنك وعدتني الرجوع إلى بومباي .
ضحكت وقالت " هل وعدت بذلك " ؟

جلس في السيارة التي كانت تنتظره . ابتعدت السيارة
وكان يبتسم ولوح بيده . لكنها لم تجيب لأن غداً سيكون يوماً
آخر .

العقار المسجل

فقير موهان سيتا باتى*

أصدرت الزوجة أحكاما صارمة منعت الزوج من الخروج من البيت حتى فى النهار ، دع عنك أوقات المساء " إن القراءة والكتابة أو أى عمل آخر يعجبك إنما البيت هو المكان المناسب لمزاولته ولا ينبغى أن أعثر عليك فى أى مكان آخر " .

ولكن بعد أن تضرع المسكين راكعاً ، رق قلب " ولوشانا " قليلاً ، وسمحت له بنزهة قصيرة فى الشارع الواقع أمام البيت ولكنه ، على كل حال كان ممنوعاً بتأثراً من أن يتجول بمنأى عن الأنظار ، ولو بالصدفة . " فلو أقدمت عليه ، إذن ينزل عليك العقاب الصارم . هل تسمع ؟ ومن خلال ثقب الباب أقوم بمراقبتك " .

وذات صباح مبكر ، رأى " شاندرامانى " من بعيد وهو فى نزهته ، ولذا يومئ إليه خلسة فأغمض عينيه وحكماهما " .

لماذا؟ ليس هذا الولد إلا " يهادرك " واهتز ببالغ الطرب والحبور . أوما إلى الولد بالاقتراب منه ، وتحرك بنفسه متثاقلا في اتجاهه ، وهو ينظر بنظرة عابرة إلى بابه من فوق كتف الولد ، مد يده اليسرى خلفه حذرا ، وعينه صوب بيته ، فدس الولد ورقة فيها ، واستدار إلى الخلف ، ولاذ بالفرار .

أمسك " شاندراماني " الورقة في كفه المطبقة بإحكام ، ورجع على أدرجه إلى بيته ولمح بيته متأكدا أن زوجته لا تراقبه . ثم قرأ الورقة بعجلة وجعلها جذاذا ، وألقاها في مهب الريح .

وبعد قليل دخل البيت ونادى زوجه بصوت عذب " هل تسمعين ، يا حبيبتي ؟ تعالى هنا للحظة من فضلك " .

ردت عليه زوجته بصوت أجش : " حبيبتي ، حبيبتي ما أعذب الكلمات ماذا قد فعلت حتى أستحقها يبدو هذا يوما سعيدا لي . ماذا تتوى أن تقول لي ، بأية حال ؟ "

"منذ الايام الأربعة الماضية ، يصيب الدوار رأسي ،
وتألمني بطني ، وأحس بالوجع وبوخز الإبر في جسمي كله .
إنني لفي عذاب " .

" ما هذا ؟ حيلة أخرى ؟ أنت الذي جلبت هذه المصيبة
على نفسك . تذكر كمية المخدرات والخمر وجميع تلك
الأشياء الكريهة التي التهمتها . انظر ما فعلت بك هذه
المسكرات . فقد اشتريت أمراض الدنيا كلها . سنحت لك ثلاث
فرص للعمل ، ولكنك لم تستغل واحدة منها . وقد بددت
ثروات طائلة حتى لم يعد الناس يحسنون بك الظن . إنني لا
أعاباً بأنك خسرت فرص العمل ، ولا أكثرث بأنك بددت
الأموال ، فقد حدث ما كان قدر أن يحدث . كل ما أتمنى أن
تعود إليك صحتك . قمت بمراقبتك لأربعة شهور ، وبما أنك
كنت ابتعدت عن الخمر فقد بدت علامات التحسن على
صحتك ، ولكن الآن تتحرق شوقاً للرجوع إلى سيرتك
الأولى " .

هيا يا حبيبتي إنه ليس ذاك . إنني لاقيت " مادها فاشاريا
" قبل ثوان .

إن المنجم الطاعن في السن قد رسم مواقع نجومى
فالعقرب والسرطان فى مواقع غير سارة ، والزجل معاد لى
بصورة أكيدة ، وهذه هى النجوم التى جلبت لى كل هذه
النوائب . قومى ببعض الأعمال الدينية التى تستعطف
هؤلاء .

" ماذا اقترح المنجم ؟ "

" على أن أشد الرحال إلى معابد " شيفا " بأجمعها الواقعة
فى " بهوبانىشوار " و " خانداجيرى " و " أودياجيرى " فى زيارة
تستغرق ثلاثة أيام ، وأن أحمل معى بعض المبالغ لأدفع إلى
الكهنة لقاء صبيهم مائة لا بل ألف جرة من المياه على اللورد
" شيفا " . وبذا ترضى النجوم ، وتنتهى البلىا عن بكرة أبيها ،
وتزول عني الأمراض بسرعة ، ولا أجد الخمر أو أى شيء
آخر يغويننى أبداً " .

خطر الشك ببال زوجته ، فسأله " هل المنجم جاء هنا ،
لا أحد قال لى ذلك . "

" أوه لا ، لا . لم يجيء المنجم هنا بنفسه ، ولكن جاء
ابنه " .

" ولكنه لم يرزق ولداً ! "

" أوه . لا ، لا . إن خادمه جاء بهذا النبأ " .

تفرست " سولوشانا" وجه زوجها ، وعلمت أنه كذوب لا يصدق . إن كل ما يوده هو أن يتعاطى الخمر مع أصدقائه لثلاثة أيام ، ويزور بيوت الدعارة الواقعة في " تيلنجا بازار" لم تترك شيئاً من أجل إصلاحه إلا وفعلته فإذا غفلت عن مراقبته للمحة يعود إلى عاداته السيئة القديمة ، فقالت في صوت يدل على عزمها " : لن تذهب إلى أي مكان. ولن تبرح الدار على الإطلاق "

" لعلك على حق ، ما أكثر ثلاثة أيام يقضيها المرء بعيداً عن أهله. أظن من الأفضل أن أقوم بزيارة قصيرة لمعبد اللورد " ذاباليشوار " . أخرج الآن وأرجع في المساء " .

" لا ، لا تذهب إلى أي مكان " .

" أعطني بعض الروبيات سأذهب أتعبد في معابد " شيفا " كلها في مدينة كوتاك " .

" حسناً ! قل للخادم " ماکرا " أن يستأجر عربة . نحن نذهب معا إلى المعابد " .

انصرف " شاندراماني " ، وتنفس الصعداء . فكر مليا في القضية ، وفي ثوانٍ خطرت له فكرة ثاقبة حملته على أن يهنئ نفسه بصوت عالٍ . قال لزوجته : " هل تسمعين ! إنني لست معافى ، فلو ذهبت أزور أماكن كثيرة ربما يعاودني المرض . إن المنجم قد نصحني أيضاً بأنه ، تخلصا من الأمراض ، لا أحتاج للذهاب إلى أي مكان . إنه يمكنني أن أعبد الإله شيفا " في البيت " .

" أي نوع من العبادة ؟ "

" قال لي المنجم أن أستلقي على الأرض علي وجهي مسجى ببطانية كبيرة لمدة ١٥ ساعة كاملة ، منذ الآن حتي الساعة التاسعة مساء . وأن أقوم بالتأمل في آلهة العالم جميعا ، ولا أفكر في أي شيء آخر " .

" هل هذا يرضي النجوم ؟ "

" نعم . قال لي المنجم أن هذا العمل سوف يسترضي النجوم بصورة أكيدة . وهناك شئ آخر أيضا أخبرني به " . علي أن أخصص عشر روبيات للآلهة ، وأن أضع هذا المبلغ تحت رأسي حين أشرع في التأمل وبعد شهر ، حينما أعود سليما ، سوف نقدم القرابين للإله بهذا المبلغ ، ونطعم البراهمة وأتباع الإله " فيشنو " .

" ألا تأكل اليوم شيئا ؟ "

" استغفر الله ! هل يمس الإنسان الطعام وهو يتأمل في الآلهة ؟ إنني أصوم طوال النهار ، ولا أتناول ولو قطرة من الماء " .

تنفست زوجته الصعداء ، وقالت : " كما تود . اذهب و اشرع في تأملك " .

" وهناك شئ آخر أيضا " قال " شاندراماني " : لا يمكن أن يتم التأمل في هذا البيت . إنه يحتاج إلي محيط مناسب . السمك واللحم يطبخان دائما في هذا البيت ، وقد لوثت رائحتهما المكان . وإني لا أدعو اليوم إله عاديا ، إنما أتوجه بدعواتي إلى اللورد " شيفا " و " الإلهة " " بارفاتي " . إن

حجرة الانتظار الصغيرة فى الجناح الخارجى للدار بمنأى
عن التلوث ، كما أنها مكان هادئ أيضا . ولكن تذكرى ، إذا
وصل ظل امرأة إلى تلك الحجرة ، أو سمع صوت امرأة هنا
فسيبوء تأملى بالفشل الذريع ، ويفسد كل شئ إني أحذرك :
ينبغي ألا تقترب امرأة من ذلك الجناح " .

توجهت " سولوشانا " إلى الجناح الداخلى للدار ، وكانت
كثيبة جدا لمازق زوجها .

دنا منها الطباخ البرهمي وسألها : " أي الوجبات أعدها
اليوم ؟ "

أجابت : " إن مولاك صائم . فكيف يهنا لي الطعام ؟
لا طبخ اليوم " .

غادر الطباخ المكان وهو يبتسم فى نفسه . ما أغرب هذه
المرأة ، سيدتى ، قالت له نفسه . فحينما تتوَعك صحة رب
البيت قليلا تتعهد بأمره ليل نهار ، وتتسي طعامها وشرابها .
ولكن حينما تغضب تهجم عليه بأي شئ وجدته أمامها ،
عصا مكنسة أو شيء آخر ، وتشتمه أبشع الشتائم وأشنعها .
وبالرغم من ذلك كله هى إنسانة طيبة ، ابنة رجل ثرى ،

وزوج لابن رجل موسر . وقد وهبت قلبا واسعا ، إلا أنها
سريعة الغضب ولسانها حاد كموسى الحلاق .

استدعى " شاندراماني " الخادم " ماکرا " إلى الجناح
الخارجي ، وأخذ يتحدث معه بطريقة حلوة وبأسلوب سريّ :
" اسمع ، يا ماکرا ! أطلب منك أن تفعل لي شيئا . ألا تفعل؟
اذهب واستلق في غرفة الانتظار مسجى ببطانية . سوف
أرجع في المساء . ابق هناك حتى ذلك الوقت ولا تغادر
المكان على الإطلاق ."

" لا ، يا سيدي " أجاب ماکرا : " لا يمكن أن أقوم بهذا ،
إن السيدة تغضب ، وتوبخني " .

" أيها الوغد ، النذل ، الشيطان ! أنت تجرؤ على مخالفة
أمري ؟ سوف أضربك ضربا موجعا " . وهذا ، وأضاف
يقول : " لا ، يا ماکرا ! كنت أمارحك لا غير . أنصت لي .
كنت تريد زيارة عمك في " كيندرا بازار " ، أما كنت تريد ؟
يمكنك أن تغادر في الصباح ، إنني أعطيك إجازة لأربعة أيام .
وخذ هذه الروبيات الأربع فتمتع بها . واشتري لك قميصا
غدا .

لم يحتج " ماكرا " إلى مزيد من الإغراء . فقد غطى نفسه ببطانية ، واستلقى في حجرة الانتظار .

كانت " سولوشانا " كثيبة النفس فبعد أن اغتسلت أعدت سريرها في غرفة النوم ، وجلست عليه تدعو جميع الآلهة والإلهات التي يمكنها أن تتخيلهم . ونذرت ألف قربان للورد " دهاباليشوار " . وهتفت قائلة : " يا أيتها الأم " كوتاك شاندي " ! يا أيتها الإلهة كالي من كاليجالي ! امنحي الصحة لزوجي . إننى أقدم إليك ساريين (ردائين) أسودين ، وأذبح لك خروفين أسودين " .

استمرت الدعوات وانقضت تسع ساعات . أخذت " سولوشانا " تفكر فيما يتناوله زوجها بعد الفراغ من التلمل . الأرض مستحيل تماما . إنه لا يأكل إلا الفواكه . ولذا أعدت وجبة تتضمن الموز والجبن واللبن .

أطلت إلى الخارج ، ورأت الظلال الممتدة ، فشعرت أن النهار يوشك أن ينتهي وضوء الشمس قد رجع إلى السطوح . وبما أنه لم تكن لديها أعمال تقوم بها فصارت تمشي مضطربة قلقة حول الدار .

لما دنا المساء ، اقتربت من غرفة الانتظار بحذر . فعاد إلى ذاكرتها تحذير زوجها ألا يصل ظل امرأة إلى الغرفة . نظرت إلى قدميها . لا ، إنه لم يصل ظلها إلى الغرفة . وأغلقت فمها بمؤخر ساريها لكي لا تتفلت كلمة من شففتها ودفعت الباب فانفتح شيئاً .

كان الظلام على الغرفة . وكان زوجها حينئذ مستلقياً في التأمل . " واحسرتاه ! كم تكون مصيبتك ؟ يا الله ! اشفه من أمراضه ، وكره إليه جميع المسكرات .

يا أيتها الإلهة كالي ! إنني أنذر أن أذبح خروفاً أسود وديكاً أسود على مذبحك " . ومست الأرض بناصيتها مبتهلة متضرعة مرات عديدة .

ودفعت الباب دفعا ، ودخلت الغرفة ، فوقع قدها مباشرة على وجه زوجها . فعضت لسانها بسرعة ، وارتدت إلى الوراء . " واحسرتاه ! أي ذنب ارتكبته ! وانفجرت الدموع من عينيها . وأخذت تدعو بيدين متضرعتين طالبة عفو الزوج والآلهة . ثم مشت ببالغ الحذر والاحتراس في الغرفة ،

ومست قدمي زوجها بناصيتها ثلاث مرات . وحينما فعلت ذلك بدا أن البطانية ترجف بشدة .

" واحسرتاه ! واحسرتاه ! تمتمت في نفسها . " إنه ينضح عرقاً " . ونشفت بمؤخر ساريها قدميه وظهره . ولكن إذا بها أمام مفاجأة حينما دنت من وجهه ، شارب زوجها . بحثت عنه مرتين أو ثلاث . لم يكن الشارب تماماً في مكانه . فازداد شكها ، وفتحت الباب على مصراعيه ، وطرحت البطانية جانباً . وما شاهدته جعلها تثب إلى الوراء ، وتصيح في غضب : " أيها الخسيس الكريه ، يا ماكرا " لماذا تنام هنا؟ "

ماذا يمكن أن ينطق به " ماكرا " فقد قام بجانب الجدار بيدتين مطوقتين ، وهو يرتجف كأنه لص تم القبض عليه ؟

أنهك الصياح والصراخ قوى " سولوشانا " في وقت غير طويل . ففكرت في نفسها أن هذا الصياح لا يجدي شيئاً . لابد أن أصل إلى كنه القضية ولذا من الضروري أن أكسب ود " ماكرا " . فقالت متوددة : " يا ماكرو ! كنت تريد زيارة عمك ، أما كنت ؟ ارحل غداً . خذ هذه الروبيات

الأربع لمصاريك لشراء الحلوى وغداً أهبك طاقم منزر " مانيا باندي " ، فتخلعهما على جسمك . لانتبس بينت شفة ، واذهب واجلس بهدوء في ناحية المطبخ .

كان " ماكرا " يتوقع أن سيدته تضربه ضرباً موجعاً . ولكن ما هذا ؟ فقد منح أربع روبيات ، ثم وعد طاقماً من المنزر ، فطار على جناح السرور .

إن الروبيات الأربع التي كان أعطاه سيده إياها كان قد وضعها في ثنية منزره . أخرج تلك الروبيات ، وأضاف إليها ما ظفر به الآن . وعد العملات النقدية مرتين أو ثلاث ثم دس روبياته الثمان في ثنية منزره بحيلة كاملة وذهب ، واختفى في ناحية من المطبخ . وحلت " سولوشانا " محله في حجرة الانتظار .

وفي الهزيع الأول من الليل ، جاء " شاندرماني " بهدوء وقد بلغ منه السكر كل مبلغ . كانت قدماه غير مستقرتين ، وكلامه غير واضح . ودفع الباب فانفتح على مصراعيه ، ورأى " ماكرا " مستلقياً على الأرض ففرح غاية السرور ، وشرع يرقص ويغني :

" يا ولد ! ما أطيبه من لهو هنيئ ! تناول المسكر
والأفيون ! قم يا ماكرو، يا أخى ! أحسنت يا
ماكرو ! زميلي م ك روم . قم . قم . الآن من يخاف
أخا الزوجة أو أخت الزوجة ؟ أوه ! ما أحسن المتعة
التي حظيت بها اليوم ! كيف لي أن أصوغها فى
الكلمات ؟ إن سيدتك ليست أفضل من وصيفة . فقد
أوثقتني بحبل منذ شهرين طويلين . " وحلقومي كان
قد جف . لكن فى يوم واحد قد ذقت اللذات كلها التي
كنت حرمتها منذ شهرين . هل أخبرك عنها ؟ عن
تلك الغانية ؟ إننا لم نلتق اليوم فحسب ، بل بدأت
علاقتنا قبل ثلاث سنوات ، حينما جاءت لترقص فى
بيت " جوبال بابو " . أوه ! كم كانت فاتنة ! هل
تدري اسمها ؟ اسمع ، إن اسم سيدتك " سولوشانا " ،
" سولو " ينبت فى البرك ، و " شونا " يستخدم فى
صنع الكعك . أوه ! أي اسم مبتذل حقير هذا . ولكن
اسم عشيقتي " عثمان تارا " . إن خلقها دمث كما أن
اسمها حلو . انظر يا ماكرو ! كم هي فطينة ومراعية

لشعور الآخرين - إنها لا تتسي أصدقاءها القدامي .
فقد أرسلت في طلبي حالما حلت في مدينة كوتاك
بالأمس . حينما نظرت إليها هذا المساء داخلني
الشعور أني وجدت خزينتي الضائعة . وهي أيضا
غامرها السرور و انفجرت ضحكا وسرورا .

وبدأت مادية " الغانجا " والمسكرات حالما استقرت
علي فراشها . فقد كان كل شئ أعد مسبقا " براعم
الغانجا المدقوقة ونارجيلة الأفيون والخمور فتحنا
زجاجات الخمر . ولم تكن الخمر الحقيرة " أسكا " بل
كانت معتقة مستوردة من الطراز الأول . لو ارتشفت
كوبا واحدا من ذلك الخمر لعلمت أي نوع كان . نحن
معا أفرغنا الزجاجاة في وقت غير طويل . وقد
شربناها قحة لم تشعشع بقطرة من الماء . إن سيدتك
تعد كل يوم وجبات من " بوري " و " سادابهاجي "
و " كهير " . ما أكرهها من أكلة هذه ! وهي لا تصلح
إلا للقطط . أما " عثمان تارا " فقد استضافتني
بالحمص المقلي المملح والسماك المشوي . وهذه هي

الوجبات التي تصلح للخمر فأكلت بنهم ملاً بطني .
تذكر كيف احتلت علي سيدتك ، و ظفرت منها بعشر
روبيات ؟ وهل يذهب امرؤ صفر اليدين إلى أماكن
الملاذات هذه؟ إن " عثمان تارا " صرفت وجهها عني
حينما وضعت عشر روبيات بين يديها . لست مغفلاً
مثل سيدتك . إنني امرؤ ذكي ، كما تعلم أحسست أن
" عثمان تارا " اعتبرتها مبلغاً بخساً بعيداً عن القبول .
وكيف يمكن لها أن تقبلها ، وهي تكسب مئات
الروبيات كل يوم ؟ فوعدتها أنني سوف آتيها بالمائة
روبية غدا . ضحكت وقالت : " وهل أحفل بالمال ؟
إنما هو أنت الذي أريده " . حقا ، وهل تكثرث حقاً
بالمال ؟ إن كل ما تبغي هو السرور واللذة ، المال
لديها حبة خردل ، فهي تملك منه الكثير . ولكنني أفي
بوعدي ، وأعطيها المائة روبية .

إن وعد الشريف وعاج الفيل كلاهما غير قابل
للكسر وهل تعلم من أين أحصل علي المائة روبية ؟
إن سيدتك قد ادخرت مبالغ ريع العقار مغلقة في

صندوق . سوف أفتحه بقضيب من الحديد ، وأسرق منه مبلغا كبيرا . وقد سرقت منه فعلا مرتين أو ثلاث . ولا يخطر هذا علي بال سيدتك ولا بال أبيها وجدها . هناك أموال طائلة في ذلك الصندوق . ليتني ظفرت بها كلها ، فأستطيع أن أغرق جزءا كبيرا من مدينة " كوتاك " في فيضان من السكر واللذة . كم أتمني أن تتجرع سيدتك كأسا من الخمر فتستطيع أن تشاركني عالم اللذة هذا . إن " عثمان تارا " هي التي تعرف هذا العالم . أما سيدتك فهي دمية من الخشب . إن الخليط الفاكهي الشهوي الذي ابتلعتة اليوم مع المشروبات لم يكن حتى ليذوقه أبو سيدتك في حياته

وثبت " سولوشانا " علي ركبتها ، وطرحت البطانية جانبا . وقالت غاضبة " ماذا قلت ؟ ماذا نطقته به ، يا أيها السكير ؟ أكلتك الغرابيل ! أين كنت طوال النهار ، يا أيها الوغد . ثم من هي عثمان تارا ؟ "

تجمد " شاندراماني " خوفا . وقال متلعثما : " لا ، لا . لم
أذهب الي أي مكان . قبل لحظات ذهبت إلى الخارج للبول .
أقسم ويدي علي رأسك " .

انفجرت زوجته تقول : " يا أيها الكاذب ، هل تمس
رأسي ، هل تتمنى أن أموت ؟ "

كانت مكنسة مطروحة علي الأرض ، التقطتها ، وأخذت
تضربه بها وقعت الضربات علي رأسه وظهره ويديه _ علي
كل عضو من أعضائه .

لم يطق " شاندراماني " الألم ، فحاول الفرار ، ولكنه تعثر
ووقع علي الأرض ، وأمطرته بالضربات المتتالية .

ولما أنهكت قوي " سولوشانا " ذهبت إلى الجناح الداخلي ،
وسقطت فجأة علي الأرض ، وأخذت تبكي وتدعو بعجز
وإلحاح : " يا الله ! اغفر لي . إني أضرب سيدي ، زوجي .
ارتكبت ذنبا رهيبا . اغفر لي ، واهد زوجي إلى الصراط
السوي " .

مضي الليل . خرجت " سولوشانا " من الجناح الداخلي ،
ووجدت أن زوجها لا يزال متمددا علي الأرض حيث كانا
يتناولان الطعام . إن تأثير الخمر كان قد زال عنه ، ونسيم
الصباح العليل أسلمه إلى نوم عميق ، فكان يسمع له شخير .
ولاحظت أن المكنسة قد تركت آثار التورم علي جسمه كله ،
وكان الدم قد تجمع في بعض الجروح . " ماذا فعلت ؟ :
صاحت و قلبها يتفطر ألما . " إني أضرب سيدي ، ومولاي
بمكنسة ! أي حظ نحس سيصيني ؟ " ودعت الآلهة مرة
أخري ، وطلبت منهم العفو والغفران وفاضت الدموع علي
خديها . وجاءت بزيت السمسم في كوب وأخذت تدلك بلطف
مواضع الورم في جسمه كله .

استيقظ " شاندراماني " متأخرا في الصباح . فتح عينية
فراي زوجته جالسة بجانبه ، فدخله الذعر . من يدري أنها
تضربه بالمكنسة مرة أخرى ؟ كان قد استيقظ تماما ، ولكنه
بقي متمددا مغمض العينين ، وهو يتظاهر بالنوم . ثم اختلس
النظر إلى وجهها . فلاحظ أنه لم يكن عليه أثر للغضب .
كانت عيناها تطفحان بالدموع ، وهي تدلك الزيت بلطف
على رجليه .

علمت " سولوشانا " أن زوجها قد استيقظ من النوم ،
فأمرت بجلب أربع جرات من الماء ، وساعدته على
الجلوس ، وجعلته يغتسل جيداً . كانت الخمر قد تركت فيه
شعوراً محرقاً ، ولكن الماء البارد قد خفف ألمه الآن . وما
فتى جالساً مغمض العينين كتمثال من الحجر . فساعدته
زوجته على تغيير ملابسه . والطباخ أعد المائدة وساعدته
زوجته على تناول الطعام ، ثم أضجعتة بلطف على الفراش .
وهي نفسها لم تكن أكلت شيئاً من الأمس . وكانت تواصل
البكاء ، وتطلب من الآلهة العفو لذنبها .

لم يتبادل الزوجان أي كلمة طوال النهار . والخدم أيضاً
التزموا بالسكوت . كانا يستحييان من أن ينظر أحدهما في
وجه الآخر . فقد كان الشعور بالذنب يعذبهما . فكان يتمنيان
أن يصلحا ذات بينهما . أقسم " شاندراماني " أنه منذ الآن لن
ينظر إلى جميع المسكرات إلا بنظرة مثيرة للاشمئزاز .

مضت ستة أشهر . لاحظ الجيران والأقرباء والأصدقاء أن
دار " شاندراماني " هادئة في هذه الأيام بصورة غير عادية .
فلم يتشاجر هو وزوجته كما كانا يتشاجران كل صباح
ومساء . بل كانا يجلسان . ويتجاذبان أطراف الحديث

مسرورين ، ويطالعان الكتب . فكانا يقرءان المجلات مثل " اتكال " و " ساهيتا " و " موكور " وديبيكا " .

كان " شاندراماني " قد استعار في الماضي مبالغ هائلة لقاء سندات إذنية . والآن كان قد تم أداء نصف قروضه ، ولم يكن يتحرك من بيته ، وحتى حين كانت زوجته تكرهه على الخروج ، أو حين توجه إليه دعوات المسرحيات وحفلات الرقص . وبين حين وآخر كانا يركبان في العربة ويزوران المدينة .

كان أهالي المدينة يثيرهم التعجب من مجريات الأمور : ماذا حدث! فقد تذكروا أن أبا " شاندراماني " الإقطاعي " شيام بتانايك " كان قد عين مدرسين خصوصيين لابنه . وكان " شاندراماني " طالباً منتظماً في المدرسة . ولكن ماذا تمخض عنه كل هذا ؟ التقى بعشرة من أصحاب السوء ، وصار سكيراً .

كان ذهنه دائماً ممتلئاً بالأفكار الفاحشة ، وكان يختلف إلى أماكن الفحشاء . ويصاحب المعربين وذوي الخلق الذميم . أشار بعض الناصحين على أبيه أن الزواج قد يغير حاله إلى

الأحسن ، فعقد الإقطاعي قران ابنه على البنت الوحيدة لـ " رام كرشنا موهاني " " سولوشانا " الجميلة الكيسة . ولكن حتى بعد الزواج لم يعدل ابنه عن طريقته ، واستمر يسرق المال من البيت ويبدده . ولم يكن يحفل بتوقيع سندات إذنية لمبالغ أكثر بقليل مما كان يستعيره فعلاً .

ولم تهمة داره وإقطاعيته شيئاً. أحس الإقطاعي الطاعن في السن أن ابنه الضائع وبحالته هذه ، سوف يبدد ممتلكاته ، فأوصى بها لزوجته ابنة السيدة " سولوشانا ديفي " ولكن وصية أبيه ونصيحة زوجته لم يؤثرا أيما تأثير في شاندراماني . تعجب أهالي المدينة : أي شيء حدث جعله شخصاً سوياً لا حظ " جوبي بابو " ظريف المدينة " ملاحظة بارعة فقال " قد حدث هذا لأن زوجته قد صبت عليه ضربات موجعة بالمكنسة في تلك الليلة قبل ستة أشهر .

وأن علاج المكنسة يمكن أن يشفي من الأمراض مثل الإدمان والفسوق " فضحك " شيام غانا بوبو " وقال " كيف أن هذا العلاج لم يوصف في علم الطب الهندي أو الأجنبي .

أجاب : "جوني بابو":

ألا تفهم ؟ إن هذا من ابتكار السيدة نفسها إنه عقارها
المسجل ."

الريف

ام . موكوندان*

وصل " نانو ناير " ماشيا على قدميه ومتوكئا على عصاه إلى بيت " جنجا دهاران " للقاءه عندما بلغه أنه يريد السفر إلى الخارج ، ونظرا إلى طريقة مشيه شكك الناس الذين رأوه فيما إذا كانت العصا ترشده أو أنه بنفسه يرشد العصا . كانت السن المتقدمة قد غلبت عليه فجأة وهو في الواقع لم يكن يبلغ من السن ما يحتاج فيه إلى الاستناد إلى العصا . ويقول الناس عامة أن ابنته " بريما " هي التي قد جعلته طاعنا في السن إلى هذا الحد قبل موعده .

أما " جنجا دهاران " فكان يحس في داخله بأن " ناير " سوف يأتي لزيارته ولذا لم تمتلكه الحيرة حينما رآه قادما إلى بيته . فخرج إلى فناء الدار ، وأمسك بيده لمساعدته وأخذه إلى الرواق وجعله يجلس على الكرسي .

أدار "نانو ناير" ناظريه يمينًا ويسارًا وأصبح يشعر فجأة
بثقل العصا ذات المقبض الملتوى والذي كان سندا له منذ
وقت طويل وأدرك "جنجا دهاران" هذا الأمر فأخذ منه
العصا ووضعها على منضدة وجلس عليها.

"من أين جئت يا نانوناير ؟"

"من البيت :

"أوه ... في الشمس ... كان يمكنني أن آتيك لو
أخبرتني على الهاتف ؟" لم يدرك "جنجا دهاران" حماقته
إلا بعد أن تفوه بهذه الكلمات حيث لم يكن هناك جهاز للهاتف
في بيت "نانو ناير" أو في إحدى البيوت المجاورة .

ونادرا ما كان يوجد في هذا الحي بيت يكون فيه جهاز
للهاتف وإن أقرب بيت يذهب نانو ناير إليه بسهولة لمكالمة
هاتفية بيت "جنجا دهاران" نفسه . ويعني هذا أنه إذا كلن
"ناير" يريد اتصالا هاتفيا معه فكان عليه أن يأتي إلى بيته .

كانت لاثا - زوجة "جنجا دهاران" - داخل البيت
وعندما شعرت بقدوم زائر ارتدت عباة واختلست النظر من
النافذة وسألت :

" هل تريد أن تشرب كأسا من الهورليكس . "

" من فضلك أعطني شيئا من ماء الأرز مع القليل من
الملح "

" إننا لم نعصر بعد الأرز المغلي "

" إذن لا أحتاج لشيء "

كان " نانو ناير " عطشان بشدة بسبب المشي تحت أشعة الشمس ولكن العطش في حلقه لم يكن مشكلة بالنسبة له على الإطلاق فكان ذهنه مضطربا بعطش أكبر. ورغم كونه جالسا على الكرسي شعر مرتين بالاحتياج لاستتاده إلى العصا.

حاول " ناير " أن يقول شيئا فنظف حنجرته مرتين ولكن لم تخرج كلمة من فمه . وعندما رأى " جنجا دهاران " هذا الاختناق الذي كان فيه نانو ناير لم يطب له هذا المنظر ، فوقف من مقعده وسار في الرواق بخطى سريعة لعدة مرات.

" هل جئت بالعنوان ؟ "

" نعم "

أخرج نانو ناير من جيبه قطعة ورق بالية متجعدة . نظر
جنجا دهاران فيها مرة وتساءل ما إذا كان العنوان ورقم
الهاتف صحيحين بلهجة تتم عن الشك " لو نفترض أن هذا
العنوان صحيح فكيف يمكنني الوصول إلى " ألبى " في ذلك
البلد الاجنبي ؟ " ولكنه لم يظهر هذه الهواجس التي كانت
تختلج في ذهنه بل قام بمواساته قائلا : " سوف أبذل كل ما
باستطاعتي من جهد " .

حياه نانو ناير " بيديه وانحنى نحو الأمام كأنه يريد أن
يلمس قدم جنجا دهاران احتراما وعرفانا بالجميل .

وعند المغادرة احتاج لمساعدة " جنجا دهاران " للنهوض
من الكرسي .

وعندما رأى جنجا أن نانو يترنح ويستند إلى العصا تتفلسف
الصعداء. ولم يغب نانو عن عينيه إلا بعد وقت طويل حيث
ظل يمشي في الطريق مع التوقف عدة مرات للتقليل من
تعبه.

مازال شكل نانو ناير مرتسما غير متلاش في ذهن جنجا.

كانت أسرة نانو ناير أسرة سعيدة تعتمد في عيشها على مرتب ابنته " بريما " التي كانت معلمة في إحدى رياض الأطفال إلى جانب دخل قليل يحصل عليه من المحاصيل الزراعية . ولكن كل شيء انتهى في لمح البصر وذلك بسبب " ألبى . "

كان ذلك بعد الظهر في ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م عندما نزل " ألبى " أولا على شاطئ نهر القرية من سفينة صغيرة مع أطفال المدرسة ، وفي الرياح الآتية من جهة النهر كان شعره الذهبي مائلا نحو اليمين وعينيه الشفافيتين مثل البلور ، كان ينظر حوله نظرة الحيرة والمرح حيث كانت حقول الأرز بمياهها الفائضة والمترامية الأطراف والأكواخ ذات سقوف مصنوعة من القش تتيح له مشاهد نادرة وغريبة . دخل حقول الأرز مع أطفال المدرسة وبدأ يمشي ، وإن كان المشي عبر الممرات الوحلة الزلقة مع الحفاظ على التوازن لم يكن أمرا سهلا بالنسبة له . ضحك الأطفال عندما رأوه يتحرك نحو الأمام بصعوبة وهم كانوا يعبرون نفس الطريق حاملين على ظهورهم حقائب مثقلة بالكتب المدرسية كأنهم كانوا يريدون إظهار براعتهم وتفوقهم أمام ذلك الأجنبي .

وهو أيضا كان يحمل على ظهره حقيبة ألصقت بها بطاقات شركات الخطوط الجوية .

بدأ يعدو مع الأطفال الثرثارين وكان الجميع يعتقد أنه سيسقط حتما في مياه الحقول أو على الطرق الزلقة ، ولكنه لم يسقط وبدا كأنه تعلم العدو على تلك الطرق في بضع دقائق .

عندما عبر الأطفال حقول الأرز تركوه واحدا واحدا وسرعان ما أصبح " ألبى " وحيدا . مشي علي امتداد الريف وتلوح الدهشة والحيرة من عينيه الزرقاوين . وعندما اقترب الليل اشترى موزا وزجاجة من الصودا من دكان قريب . أما تفكيره في كونه في أرض أجنبية وأن الليل قد أسدل بدون أن يكون له مكان للاستراحة فلم يقلقه إطلاقا . وبعد قطع مسافة قليلة أخرى ذهب إلى دار المطالعة الريفية وجلس في الرواق . كان الشارع خاليا إلا من سيارة أو عربة كانت تمر به علي فترات طويلة .

أخرج حقيبة النوم من حقيبته الكبيرة التي علي ظهره وبسطها علي الأرض ثم ذلك المرهم المضاد للبعوض

والحشرات الأخرى على جسده واضطجع سويًا . وكانت
أضواء السيارات التي تمر بين الحين والحين تخبو لتوها .
وعندما نزل المطر بعد نصف الليل تقريبا تيقظ وفتح حقيبة
النوم ودخل فيها وعاد إلى النوم .

وفي الأيام التي تتابعت شهد الناس تلك الحقيبة في أماكن
مختلفة من أروقة الحوانيت وتحت الأشجار والمروج .

" ينتمي الي عائلة كريمة بدون شك . انظر إلي ما هناك
من أناقة وجمال علي وجهة " قال نانو ناير .

" ألم يأت إلي ريفنا من عبر البحار . كيف يمكننا إذن أن
ندعه لكي ينام في الشوارع بهذا الشكل ؟ " تساءل المعلم
تشانو "

" إن مخزني خال ، دعه ينام فيه أثناء الليل " قال
نانو ناير "

في ذلك المساء جاء نانو والمعلم " تشانو " "بإلبي" إلي
المخزن فأكل الأرز المسلوق وشوربة الزبادي التي قدمتها له
والدة " بريما " تلك الليلة وتلذذ بها كثيرا . لم يكن بالبيت
الكهرباء ورأت " بريما " ذلك الرجل وهو يجلس ويقرأ في
كتاب حتي منتصف الليل في ضوء مصباح . جلس مندهشا

ينظر إلي " بريما " التي أرخت شعرها وأسدلته بعد الاستحمام في الصباح ووضعت زهرة عليه وتوجهت نحو المدرسة وفي يدها مظلة جميلة .

" أى حماقة ارتكبت أنت يا نانو ناير ؟ كان عليك علي الأقل أن تفكر في أمر ابنتك الشابة التي قد دخلت سن الزواج . ولا شك أنه يبدو مثل المسيح ولكنني مع ذلك أقول أنه لا يمكن أن نثق بأحد من هؤلاء الناس . وربما يكون متورطا في تجارة المخدرات . ومن يعرف الحقيقة ؟ " قال أتشو موثالالي " بلهجة غاضبة .

عندما سمع ذلك قال تشاثو المعلم الذي كان رئيس المجلس القروي أيضا " عزيزي موثالالي " هل قرينا هذه ستهلك لو يعيش أجنبي معنا ؟ هل تعرف كم بلدا في العالم قد سمح لأخوتنا من المواطنين بالاستقرار علي ترابه؟

كم بلدا من تلك البلدان أصيب بالهلاك والدمار ؟ هل تريد أن يطرد هذا الشاب الأبيض اللون من هذا الريف ؟ تصور ماذا سيحدث لأخوتنا في تلك البلدان لو يطالبون بالخروج منها .

بإمكاننا أن نذهب الي أي بلد فى العالم ... سنغافوره أو
دبي أو أمريكا أو الي أي مكان آخر وعندما يأتي رجل
أبيض اللون إلى قريتنا فإننا لا نسمح له بالإقامة لدينا ! علينا
أن نعي بالتغيرات التي تحدث علي الساحة العالمية . قد
غيرت العلوم والتكنولوجيا حياتنا وجعلتها مختلفة تماما عما
كانت عليه فيما قبل . وبعد مضي وقت قليل سوف لا يكون
هناك أي فارق بين هندي وأمريكي وسوف تغيب الحدود
التي تفصل بين بلد وآخر وسيتحول العالم كله الي بلد واحد
... الأرض ... وسيكون هناك دين واحد ... بين الناس " .

" لعن الله ذلك " " قال أنشو موثا لالي " ليس عندي وقت
للاستماع إلى وعظك ، علي أن أصل إلى قرية " فادا كلرا "
قبل مجيء الليل " .

أدار وجهه الي " نانوناير " واستمر فى الكلام " لا بد أن
تطرد ذلك الولد من المخزن فى أقرب وقت ممكن وإلا
فسوف تندم " .

سوى أنشو موثا لالي لباسه وأحدث صريرا بحذائه
وخرج من المكان مسرعا .

" ماذا يجب أن أفعل أيها المعلم ؟ إن رأسي يدور "

" لاتفعل شيئاً الآن . بعد بضعة أيام سيتخذ الولد الأبيض طريقه للعودة وحتى ذلك الوقت دعه ينام فى المخزن . هل يسبب مشكلة لأحد منا ؟

" إنه رجل حليم "

" علينا أن نختلط مع الأجانب يا " نانوناير " . إن رجالاً مثل أتشو موثا لالي يظنون أن العالم لا يمتد وراء نهر القرية . إن نظرتنا تجاه العالم يجب أن تتغير .

وكما نذهب الى البلدان الأجنبية دع الأجانب يأتوا إلى بلدنا أيضا "

سأدع الولد الأبيض يقيم فى مخزني طالما يشاء الإقامة فيه " صرح نانو ناير " .

أبى لم يكن أبدا مشكلة لأي واحد من سكان القرية . كان ينام حتى الظهر ويحتاج لكأس من القهوة السوداء عندما يستيقظ من النوم . وفى البداية كان يقدمها له نانوناير نفسه ثم تولت والدته بريما هذه الوظيفة .

وبعد تناول القهوة كان يذهب الى النهر ويغيب حتي المساء وهو يلبس دائما سروالا باليا وقميصا متجعدا ، ولم يكن يحلق لحيته كل يوم بصورة منتظمة ومع ذلك كان يظهر كأنه ابن إله . أما الوجبات الغذائية فلم تكن مشكلة له حيث يكتفي بتناول الموز والصودا . وحيثما يذهب كان يعود إلى الريف قبل الليل ثم يقرأ حتي الفجر في ضوء المصباح . وعادة كان يقرأ القصص البوليسية والروايات الغرامية وكتب الرحلات . كان عدد الكتب التي يطرحها جانبا يزداد يوما بعد يوم .

وذات يوم ذهبت " بريما " الي المعبد للعبادة ودهشت عندما رأت هناك ألبى الذي كان يتظاهر بأنه قد دخل فناء المعبد عن غير قصد .

لاقي " نانوناير " توبيخا قاسيا من " أنتشوموثولالي " عنما التقيا في الطريق . كل واحد يلومه وقد بدأ الجميع في نشر إشاعات مخزية ، وإذا كان هناك أحد يؤيده فهو المعلم تشاثو دون سواه.

" هل الله أيضا ينتمي الي طائفة أو دين ؟ " سأل المعلم
"تساثو موثالالي". . إن الله لن يغضب علي دخول ولد أبيض
الي المعبد وأن الآلهة لا يملكون عقولا صغيرة مثل عقولنا ."

"هناك معابد للهندوس ومساجد للمسلمين وكنائس
للمسيحيين .. هذ هي القاعدة العامة ."

" وماذا لمن لا ينتمون إلى هذه الفئات ، أين يمكنهم أن
يقوموا بالعبادة ؟"

" لا حاجة لهم للعبادة وأنا لا أريد أن أستمع إلى خطبتكم
حيث يجب أن أصل إلى السوق قبل الظلام ."

مشي موثالالي وهو يهز عقبه تألما من مرض البواسير
الذي يعاني منه .

كان نانوناير مشوش الفكر وإن كان احترامه لآلبي الذي
لم يكن يزعج أحدا لم يتضاعل شيئا ، ولكن الناس ما زالوا
يضايقونه وأصبح نانوناير يخجل منهم حتي أنه امتنع عن
الخروج من البيت وكان أتشو موثالالي يكشر في وجهه
كخنزير ذي ناب عندما يلقاه في الطريق .

مضي بعض الوقت علي هذه الحالة . أثناء موسم الاحتفال أصبح فناء المعبد مليئاً بالأنوار وحشود من الناس الذين جاءوا هناك للعبادة وأصبحت الأزقة مليئة بروث الأفيال . كانت المشاعل تومض طول الليل ورقصات " كاثاكلي " تنظم الحضور . وفي إحدى تلك الأيام وقفت والدّة بريما ووجهها يتوقد من شدة الغيظ والانفعال .

كانت بريما قد فرت من البيت مع " البي " تاركة وراءها رسالة .

بدا نانوناير كأنه تقدم في العمر عشر سنوات في يوم واحد . ضعف بصره فجأة ، تورمت قدماه من لمس الأرض ودب إحساس مزعج في العمود الفقري مثل زنبرك أصابه الصدا .

ذات يوم استلم " نانوناير " رسالة ففتحها بيديه المرتعشتين فوجد أنها من ابنته بريما حسبما كان يتوقع.

والدي وأمي أفيدكما بأننا - أنا وألبي - في حب ونزور مراكز سياحية مختلفة وبعد شهر ستنتهي صلاحية تأشيرة

أبني وعندما سيعود أبني إلى بلاده فإني أيضا سأذهب معه .
أرجو منكما العفو والمباركة .

كانت الرسالة أرسلت من مكان يدعي " جوبال بور " المظلة علي البحر وكان " جنجا دهاران " يخطط للسفر إلى الخارج للمشاركة في ندوة حول أشكال الفن القديمة شبه المتلاشية فأعد بحثا حول " كوتي ياتام " أقدم أنواع المسرح المنقرض تدريجيا . وقرر أن يغتنم هذه الفرصة للعمل علي تكوين لجنة في الخارج للحفاظ عليه . وفيما سبق كان قد تلقى عرضا بمساعدة اليونسكو لمثل هذا المشروع ، وكان المجلس الهندي للعلاقات الثقافية قد تبني زيارته لذلك المكان . وبعد إعداد بحثه خرج إلى السوق من أجل طباعته بالكمبيوتر وبعد يومين سافر إلى بومباي للحصول علي التأشيرة وبدأ رحلته الجوية _ وودعته زوجته " لاثا " والدموع في عينيها .

كانت حصيلة الندوة وراء توقعاته حيث تدفقت عروض المساعدة من كل جهة في الحفاظ علي " كوتي ياتام " فعرضت شركة للكمبيوتر في ميونيخ تقديم المساعدة التقنية في إعداد قرص مدمج بالذاكرة حول هذا النوع من المسرح .

كما عرضت مؤسسة خاصة فى هولندا تقديم التذاكر الجوية
مجانا لفرقة هذا المسرح لزيارة أوروبا . وبناء علي ذلك
شعر جنجا دهاران بارتياح كبير وذهب إلى كالائس
(calais) بالقطار . وقرر أن يأخذ سفينة من كالائس إلى
دوفير (Dover) اذ أنه كان شاعراً بطبعه يشفق إلى
مشاهدة الطبيعة. كان ذلك يوم الجمعة وكانت السفينة
الصغيرة حافلة بمن كانوا يذهبون إلى إنجلترا فى نهاية
الأسبوع للاستمتاع بالعطلة الأسبوعية . كان الطابق
الأرضي للسفينة مليئاً بسياراتهم وما زالوا مشغولين بالمرح
واللهو طول الليل وكانت العرب والزجاجات الفارغة للنبيذ
والخمر تطفو علي ماء البحر . وحالما وقف جنجا دهاران
علي سطح السفينة متفرجا علي البحر أصبح فجأة يفكر فى
أمر نانوناير وابنته .

وصلت السفينة إلى ميناء دوفير عند الفجر وكانت
الأجراف البيضاء التي عرفها من خلال الأغاني والقصائد
أمامه مبتلة ولامعة فى ضوء الشمس وقت الصباح وعندما
ألقت السفينة مراسها نزل الركاب الذين قضوا ليلهم آكلين
وشاربين وراقصين تاركين النوم وركبوا سياراتهم التي كانت
واقفة فى الطابق الأسفل للسفينة ولكن جنجا دهاران كان

مختلفا عنهم حيث يعوزه ذلك الحماس وتلك البهجة وإذا كلن هناك شئ أمام عينيه فهو وجه "بريما" الملطخ بالدموع الجافة والظهر المنحني لأبيها نانوناير مع العصا الذي كان يتوكأ عليه.

كان جنجا دهاران قد اتصل هاتفيا بأبي من مطار أمستردام وكان الأخير قد اتفق علي لقائه يوم السبت وأعطاه عنوانا في شارع دورموند لهذا الغرض .

أخذ جنجا دهاران قطارًا من دوفير الي محطة " واترلو " .
عندما رأي المحطة تصور للحظة بأنه علي محطة " ثالاسيري " للسكك الحديدية نظرا إلى ما كان هناك من تشابه كبير بين المحطتين .

كان جنجا دهاران يعتبر نفسه سعيدا علي نجاحه في الاتصال الهاتفي بأبي رغم أنه كان يتيقن بأن رقم الهاتف الذي أعطاه نانوناير ليس صحيحا وحتى أنه إذا كان الرقم صحيحا فلم يكن هناك ضمان لتواجد أبي في ذلك المكان خاصة وأن أبي وغيره من مواطني بلاده كانوا متعودين علي التجول في العالم فإذا لم يكن هناك موجودا فإنه سيقع

فى مآزق حىث لم يكن لىءه من المال ما يكفى للإقامة لأكثر من يوم واحد فكانت محفظة جيبه تنقص يوما بعد يوم وكان قد صرف معظم ما لىءه من مال لدفع أجرة الفنادق والرحلات بالقطار ، وحاول بقدر الاستطاعة أن ىنفق أدنى ما يكون فى الأغراض الأخرى والسوق الحرة بمطار أمستردام معروفة فى العالم لما يوجد بها أفضل أنواع الشوكولات وبارخص الأثمان ولكنه مع ذلك لم ىشتر ولو واحدة كانت زوجة لاثا تحب الشوكولاتة ولكنه لم ىشتر ، فكان قد ادخر كل دولار أعطاه له منظموا الندوة وكان ىريد أن ىصل إلى ألبى . والعنوان الذى كان أعطاه ألبى كان عنوان حانة حىث كان الرجال والنسوة ىجلسن وىقفن هنا وهناك وهم ىشربون جرعات النبىذ فى كئوس كبيرة ولم ىكونوا داخل الحانة وخارجها فقط بل كانوا ىشربون النبىذ جالسین فى زوايا الطريق أيضا .

لم ىستطع جنا داهاران أن ىعرف ألبى الذى كان ىمشى نحوه بعد إىفاف سيارته إلى أن تصافح معه وهو مسرور فى بادئ الأمر .

" ىاسىءى كيف كانت الندوة ؟ "

انحني ألبى نحو الأمام وتعانق مع " جنجادهاران " وكان
نوع من الطيب يفوح من جسمه .

كان ألبى قد صفف شعره القصير بعناية وحلق ذقنه جيدا
وارتدي جاكيتة ورباط عنق . وكانت في يده حقيبة جلدية .

" أولا لم أستطع أن أعرفك وأنا متأسف على ذلك "

" إذا كان أحد يتجول فى الشوارع فى مظهر أشعث كما
يتجول الناس فى بلدكم فلا بد أن تقبض عليه الشرطة " ضحك
ألبى بقوة .

ثم أخذه ألبى إلى مكان أقل ازدحاما وكان معروفا لـدي
صاحب الحانة وأيضا لـدي الكثير ممن كانوا يشربون هناك ،
فتبادلوا معه التحيات وتصافحوا . وجلس ألبى وجنجا دهاران
وجها لوجه وفى يديهما كأس النبيذ .

" قل لي ما الأخبار فى الوطن ؟! سأل ألبى .

" لم تجف دموع بريما بعد "

"لماذا ؟ لأي سبب تبكي " تساءل ألبى بحيرة واستغراب .

" إنها تنتظرك "

" تنتظرني ، لماذا ؟ "

" إنها لن تتزوج من أحد غيرك إذ أنها شاطرتك مضجعا "

" نعم ولكن لماذا علي أن أتزوج منها لمجرد هذا السبب ؟ "

لم يكن لدي جنجا دهاران ردا علي ذلك واستمر ألبى فى حديثه :

" فى السنة قبل الماضية جئت إلى بلدك لقضاء الإجازة ثم ذهبت الي تايلاند حيث نمت مع ما لا يقل عن اثنتى عشرة بنتا ولكن لم تطالب أي واحدة منهن بأن أتزوج منها . "

شعر جنجا دهاران باختناق متزايد وبمذاق مر فى فمه وحنجرته كأنه قد شرب زيت الخروع .

" ألم تستلم الرسائل التي أرسلتها بريما لك ؟ "

" نعم استلمتها "

" إنها أنجبت طفلا منك "

" هذا خطأ منها ، إنها نسيت أن تبتلع القرص "

شعر جنجا دهاران كأنه يكاد أن يقذف النبيذ علي وجهه
وأن يده التي كان يمسك بها الكأس بدأت ترتعش

أخرج ألبى علبة سجائر مالبورو من جيبه وأشعل واحدة
منها ونفث الدخان . ظل جنجا دهاران يمسك الكأس بيده
بدون أن يشرب منها حيث إن النبيذ لم يكن ينزل من حلقه ،
شعر بثورة شديدة في رأسه وبدأت عيناه تحترقان . هل كان
ذلك بسبب دخان السيجارة ؟ نهض ومشى إلى الخارج
ليستنشق الهواء الصافي وتبعه ألبى حاملا الكأس بيده .

" سوف آتي في السنة القادمة ، قل لبريما "

" عليك ألا تأتي أبدا إلى بلدتنا "

" السيد جنجا دهاران ... "

" لن نسمح لك بالقدوم هناك "

" أليس هذا القول منك فقط ؟ " ضحك ألبى " عندما
سأنزل هناك فإن بنات هيئة السياحة عندك سينتظرنني
بالمطار مع قلائد الزهور فى أيديهن . أليس كذلك ؟ "

أستاذن جنجا دهاران للمغادرة بدون أن ينظر إلى وجهه
ألبى ، مع أن الوقت كان فى التاسعة ليلا كانت رؤوس
المباني والشوارع مضيئة كأنها ضوء الشمس وتذكر جنجا
دهاران ما كان قد تعلمه فى المدرسة عندما كان طفلا وهو
" الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس أبدا . "

من مات ومن قتل

فيدراهى*

بعد أداء صلاة الجمعة خرج " غولا " من المسجد .سوى
قلنسوته وأكمام قميصه ولبس حذائه ، في الطريق دخل
السوق . لم تساعد الصلاة في التخفيف من روعه وانزعاجه.
فاستخرج علبة " توباكو " من جيب صدريته ووضع قبضة
منها تحت شفته الأدنى .

تحير وتساءل مع نفسه : لماذا أصبح سريع الغضب إلى
هذه الدرجة بينما كان من عادته فيما قبل أنه كلما يؤدي
الصلاة كان يشعر في نفسه بهدوء وراحة . ولكنه الآن دائماً
في حالة قلق واضطراب ، وربما يعود سبب ذلك إلى زوجته
المريضة الملازمة للفراش دائماً و ابنه الذي كف عن
الدراسة وترك المدرسة ويعبث ويلهو دائماً بدون أي عمل أو
ابنته التي بلغت سن الزواج ، أو ربما لأنه مازال يشتغل في
وظيفة غير مرغوب فيها منذ خمسة عشر عاماً بدون
انقطاع. ويجاهد في حياته إلى أن أصبح يشعر بجروح القلب

والعواطف . كان يبيع الخبز المقلّى وفي بعض الأحيان يبيع الماء وجذور الكستناء والنيلوفر أيضاً مع الخبز . وفي رأيه أصبحت وظيفته عملاً بغيضاً يتطلب من البائع أن يجلس طول النهار على الرصيف وسط الغبار ويشهد النقع يسقط ويتراكم على الخبز . وبالرغم من ذلك يواصل الاشتغال بهذه الوظيفة وربما ذلك لأنه لا يعمل شيئاً وزوجته " عزيزي " تقوم بإعداد الخبز . إنه يبيعه جالساً في أحد أزقة شارع متعرج وكل ما عليه أن يفعله هو تحمل صعوبة طرد الذباب دون سواه . وكان قد تعود على ذلك إلى حد أنه يحرك يده لطرد الذباب خلال الليل وحتى في النوم أو أثناء الصلاة في المسجد .

وصل أمام مقعده وفمه مليء بالبصاق الذي أحدثه " التوباكو " فرأى ابنه " نثار " وهو يزن الخبز لبعض زبائنه . وأفرحه هذا المنظر حيث رأى أن ابنه تقدم اليوم لمساعدته في عمله . كان يشعر بشيء من القلق عندما كان يرى ابنه وهو هائم على وجهه وليس له عمل ولا هدف . ولكنه يدرك تماماً أن ابنه فقط لا يستحق اللوم على ذلك، فلو كان الحقه بمدرسة جيدة وعين له معلماً ، ووفر له طعاماً جيداً ولباساً فاخراً لاجتاز امتحان المدرسة الثانوية بسهولة ، وحصل

على وظيفة في أي مكان ولكنه لم يستطع ذلك بسبب دخله الضئيل .

ولذا عندما رأى نثار جالسا في مقعده شعر بسرور وجاش قلبه فرحاً وعطفاً على ابنه وتقدم نحوه ببطء ووقف بجانبه ، عندما رآه نثار نهض وقال له : بابا ! هل طلبت من المتسول ، أن يسهر على دكانك؟ هل تعرف ماذا كان يعمل عندما جئت هنا ؟ كان يأكل خبزاً

" أنا نفسي أعطيته إياه قبل أن أغادر . أنت تتهمه بدون سبب " . أجاب غولا .

" لم أكن أدري ذلك " قال نثار " كنت أعتقد بأنه يستغل فرصة غيابك "

" لا بأس ! " ولكنك واقف لماذا اجلس يا بني ، لو تجلس هنا كل يوم لمدة قليلة سيسرني ؟ ذلك كثيراً . "

" بابا لا تتوقع مثل هذه الأشياء مني لا أستطيع أن أجلس على مقعدك . قال هذا واقترب من غولا ووقف بجانبه . شعر غولا بخيبة أمل بعد ما سمع هذا القول منه .

جلس صامتاً خلف سلة الخبز وبدأ يطرد الذباب وفجأة حول عينيه فوجد نثار واقفاً أمامه ويرنو إليه . فأحس أن نثار يريد أن يتكلم معه . لعله يحتاج إلى نقود لمشاهدة الفيلم ، فأطاحت هذه الفكرة بالارتياح الذي شعر به قبل مدة قليلة عندما رأى نثار يجلس خلف السلة.

اقترب نثار منه وجلس بجانبه ، ثم استخرج منديلًا قذرًا من جيب سرواله وكان قد شد به شيئاً وسلمه إلى غولا وقال مسرعاً : بابا ! خذ بعناية . ولا تفقده ، وافتح المنديل بعد وصولك إلى البيت ، وكل ما يحتوي عليه المنديل فإنه لك ولوالدتي . وعندما وضع غولا المنديل في جيب قميصه كان قلقاً في نفسه . ونظر إلى نثار نظرة حيرة ودهشة وهمس نثار في أذنيه قائلاً : " أنا ذاهب إلى مكان ما . قل للوالدة لا تنزعجي ولا تقلقي . سأعود بعد شهر " . وقبل أن يسأله غولا أين يذهب خرج نثار مسرعاً .

ووجد غولا من الصعب أن يجلس هناك مزيداً من الوقت فكانت تراود ذهنه عدة تساؤلات وشكوك . أخذ سلته ومشى في الطريق إلى بيته . وكان يعيش في حي نصفه يقع داخل بحيرة ونصفه الآخر في خارجها . ومعظم القاطنين في ذلك

الحي يشتغلون بنسج السجاد . وأما الآخرون فيتاجرون فيه .
كان يحلم غولا بأن يصبح تاجراً للسجاد ولكن حلمه تلاشى
قبل زمن مثل الأعشاب في البحيرة . ولعله يعدّ من أفقر
القاطنين في ذلك الحي . كان دخله قليلاً إلى حد أنه لا
يستطيع أن يصلح بيته القديم من جديد .

اندهشت زوجته " عزيزي " بعد ما رآته عائداً إلى البيت
مبكراً على خلاف العادة . فشعرت بقلق وانهاالت عليه بعدة
أسئلة ولكن غولا ظل صامتاً ولم يجب . وضع سلته جانباً
واستخرج من جيبه المنديل الذي أعطاه نثار وفتحه . كان
يحمل روبيات فعدها وكانت خمسة آلاف روبية ، فأصبح
غولا في حالة ارتباك شديد .

لم يعد غولا هذا القدر من النقود في حياته أبداً . وكانت
زوجته تحقق فيه بنظرات تتم عن عدم الثقة فأخبرها غولا
عما جرى بينه وبين نثار . شعرت زوجته بشيء من الكآبة
عندما علمت بأن نثار ذهب إلى مكان ما لمدة شهر كامل
تقريباً ولكن أين ذهب ؟ ومع من ذهب ؟ هل هناك أحد
يجيب على هذه التساؤلات ؟ ولا شك أن نثار كان قد
أخبرهما بأن هذه النقود لهما . ولكن أحداً منهما لم يجرؤ

حتى على لمسها . وشد كلاهما تلك الروبيات مرة ثانية
ووضعاها في مشكاة الحجرة .

بدأ كلاهما ينتظران نثار . وحزنت " سلمى " أيضاً لأنها
لم تر أخاها ولكن لم يخبرها أحد من والديها بأي شيء ، ولم
ينبس بكلمة لأحد آخر أيضاً إذ منعهما نثار من ذلك بوجهه
خاص . كانت " عزيزي " تعد الأيام منتظرة عودة نثار . مر
شهر كامل ويومان ولكن لم يعد نثار .

شعرت عزيزي في قرارة نفسها شيئاً من القلق وطلبت
من " غولا " بإلحاح أن يعمل شيئاً للبحث عنه . مر يومان
آخران والآن بدأت أمه تبكي . وقرّر غولا أن يخبر البوليس
ولكن اليوم الذي كان يستعد فيه للذهاب إلى مركز الشرطة
عاد نثار فجأة مثل الطائر (شينا بيوتو بيوتو) الذي يبشر
بتساقط الثلوج . لام نثار أبويه بشدة على عدم صرف المبلغ
ووضع رزمة أخرى بخمسين ألف روبية على كف والدته .
بدأ غولا وعزيزي يحدقان في وجه نثار . وأصابتهما الدهشة
بعد رؤية هذا المبلغ من النقود . قال نثار : " بإمكانكم أن
تتفقوها كيفما تشاءون ولكن لا تسألوا من أين حصلت عليها

، ولا ينبغي أن يعرف عنها أحد شيئاً وعليكم ألا تتحدثوا ولا تهمسوا حول الموضوع . "

ولكن عزيزي بدلاً من أن تأخذ المبلغ أمسكت ذراع نثار وأخذت تهزه ، وصرخت قائلة : نحن لا نريد هذه الفلوس ولا نعرف من أين أخذتها بالسرقة أو بطريق آخر . والآن لن أسمح لك بالخروج من البيت . شعر غولا بأن زوجته عزيزي على صواب في قولها . وقد تسببت هذه النقود في مشكلة لهم ، وفوق ذلك لا يحق لنثار أن يكون خارج البيت بدون إذنهم ولكنهم لم ينجحوا في منعه من الخروج فقبل أن تطلع الشمس من وراء الأفق خرج نثار من البيت تاركاً القسط الجديد من المبلغ الذي كانت عزيزي قد رفضت قبوله .

تأمل غولا وعزيزي في أمر المبلغ فشده وأخفياه في لحاف بال ممزق . وعندما كانت عزيزي تسوى فراش نثار وجدت مسدساً تحت وسادته فأصابها الذهول وأسرعت إلى غولا جذبتة إلى ذلك المكان . وعندما رأى غولا ذلك المسدس تملكه الخوف والرعب وأدرك من أين يأتي نثار بهذه المبالغ وشعر بأن ابنه قد أصبح إرهابياً . وأصبحت

أسرته في حالة من الدهشة وكأنها أصيبت بصاعقة وسكب أمام زوجته عزيزي كل ما في قلبه تدريجيا حتى أجهشت بالبكاء. قرر غولا أنه لن يمس هذا المبلغ .

وسوف يطلب من نثار أن يعيده إلى المكان الذي أخذه منه، وسوف يوصيه بأن يتتحي عن العمليات الإرهابية . ولكن لم يعد نثار للبيت لعدة أيام . بدأ غولا وعزيزي ينتظرانه بقلب حزين تراوده مخاوف كثيرة . ويسهران طول الليل ، ليلة بعد ليلة وعندما يسمعان صوتا خافتا يبدو لهما كأنه وطء أقدام نثار . وذات يوم في منتصف الليل طرق أحد الباب . فأمسكا كلاهما أنفاسهما وتقدما نحو الباب ببطء ووقفا خلفه صامتين . فتح غولا الباب ببطء فإذا به يرى أنه ولد آخر غير نثار . وكان وجهه مغطى وهو يمسك في يده البندقية وقال لغولا " قد ذهب نثار عبر الحدود لحضور مؤتمر وسيعود بعد شهر تقريبا . " وقال هذه الكلمات وغاب في الظلام كما يغيب ملك الموت بعد نزع الروح . أغلق غولا وزوجته الباب وبدأ كلاهما يبكيان. ومازال اللحاف الممزق الذي وضعافيه ٥٥ ألف روبية مطروحا في زاوية. وشعرا وكأنه يحتوي على قنبلة قد تنفجر في أي لحظة . ولكن كيف يمكن النجاة منها ؟

لم يخرج غولا من البيت لأيام عديدة . وكان يخشى أنه إذا رآه أحد أي لحظة واستفسر عن نثار وعرف الحقيقة فسوف يخبر رجال الشرطة ، فكف عن عمله وازدادت مشاقه ومضت أيام عديدة أخرى .

وذات يوم ، في الساعات الأخيرة من المساء ، خرج غولا في الظلام إلى شاطئ البحيرة . وأراد أن يأخذ زورقاً ويذهب بعيداً في البحيرة ، وعندما كان يعبر الطريق مرّ ببيت ورأى عبد القادر يأتي إليه . كان غولا يبدو قلقاً ومنزعجاً . فناداه عبد القادر " غولا " تعال هنا . " أريد أن أقول لك شيئاً " كان عبد القادر واحداً من أغنياء الحي بينما كان غولا من أفقر الناس فيه . ذهب غولا إليه ووقف أمامه صامتاً .

" ماذا تعمل هذه الأيام " سأله عبد القادر

" لا شيء يا سيدي " أجاب غولا بتواضع بالغ

" إذن اعمل شيئاً لأجلي . ومقابل هذا العمل أدفع لك النقود " . قال عبد القادر .

" قل لي يا سيدي "

يجب أن تأخذ رزمة من السجاد إلى مدينة جوا وهذا أمر عاجل . فلو أرسلها بالبريد المسجل سيأخذ وصولها إلى جوا خمسة وعشرين يوما . وكل ما يجب عليك هو أن تسلمها إلى وكيله هناك وأن تأخذ منه شيكاً بمبلغ ٣٠ ألف روبية وتعود به إلى هنا . وسوف أعطيك ألف روبية مقابل هذا العمل .

كان غولا يجد من الصعب أن يقضى أيامه عاطلاً دون عمل وجالساً في البيت ، فوافق على الاقتراح وكتب عنوان الوكيل وغادر اليوم التالي حاملاً معه تلك الرزمة . وقبل مغادرته أوصى زوجته عزيزي بأنه لو يأتي نثار إلى البيت في غيابه فعليها أن تطلب منه أن يأخذ النقود التي كان قد أتى بها .

وعندما وصل إلى جوا بالسجاد علم بأن الوكيل الذي يريد أن يسلمه السجاد محبوس في السجن بتهمة ارتكاب جريمة التهريب . فلم يدر ماذا يعمل بهذا السجاد . تأمل في هذا الأمر وقرر أن يأخذ السجاد إلى السوق فذهب إلى أحد التجار الكبار للسجاد ووافق على شرائها مقابل ٤٠ ألف روبية . أما غولا فأصر على ٥٠ ألف روبية . على أي حال

عقدت الصفقة على ٤٥ ألف روبية وعندما عاد غولا إلى سرينجر أعطى ٣٠ ألف روبية لعبد القادر وأبقى لديه ما بقي من المبلغ لنفسه . وأخذ كذلك أجرة ألف روبية التي وافق عليها عبد القادر كأتعاب لعمله.

طلب غولا من " عزيزي " المبلغ الذي كان نثار قد أعطاهما قائلًا " لا ندري متى يرجع نثار ، وسوف أشتري السجاد وأذهب إلى جوا

وأعتقد أن هذا سيعود علينا بأرباح كبيرة حاولت عزيزي أن تمنع غولا من ذلك . ولكن بدون جدوى ، اشترى غولا السجاد بـ ٥٥ ألف روبية وباعها بـ ١٢٥ ألف روبية في بومباي . وفي الجولات المتلاحقة نسي غولا تماما أن عليه أن يعيد ٥٥ ألف روبية لنثار .

لاحظت زوجته عزيزي بأن وجه غولا يتوقد لأول مرة في حياته بارتياح وسرور . ونبهته عدة مرات إلى أمر المبلغ وإعادته ولكنها أيضاً لم تسمع .

وفي تلك الأيام كانا يتوقعان أن يأتي نثار إلى البيت ولذلك لم يستطع كلاهما أن يناما . وجاء نثار في منتصف الليل .

فاندهش كلاهما لرؤيته حيث كانت شخصيته قد تغيرت
بكاملها . وكان يلبس سروالاً وقميصاً ويحمل بندقية في يده.
وتحولت بشرته إلى اللون الأسود ويبدو من شواربه السوداء
الغليظة أنه قد أصبح فتى يافعا .

وحالما دخل ، وضع نثار البندقية بجانبه وعانق أمه بشدة
وأمسكها بين ذراعيه كأنه افتقدها منذ مدة طويلة . بدأت
عزيزي تمسح دموعها . فقالت : " يا ابني ! ما هذه الطريقة
التي اخترتها لحياتك . فكر في أمر أمك أيضاً . "

لا تقلقي عليّ يا أماه ! لن يصيبني سوء اذهبي واطبخي
الرز والسبانخ لي . أن جوعان أيضاً . أخذت عزيزي تعد
طعاماً وبدأ نثار يتحدث مع والده .

كان الموقد يشتعل حيناً وينطفأ حيناً آخر فتألمت عينا
عزيزي ألماً شديداً وتسبب الدخان في احمرارهما . فبينما
كانت تمسح عينيها بكم عباعتها انتهزت الفرصة لأن تنظر
نظرة شذراء إلى نثار الذي كان شاباً نحيفاً يحمر وجهه أثناء
الكلام قبل سنة تقريبا . يجلس أمامها ويمسك شواربه بيده
ويقول لوالده : لن نرتاح مادامت كشمير لم تحرر ، وإن

شعوب العالم معنا . وكان هناك عدة أشخاص من دول مختلفة شاركوا في المؤتمر الذي حضرته قي مظفر آباد حالياً .

حاول غولا أن ينصح نثار بحب وحنان . يا بني ! هنالك جمع من العسكريين الهنود الذين يحتشدون هنا . كيف نحقق استقلالنا وهم مازالوا موجودين هنا ؟ "

ماذا بإمكان العسكريين أن يعملوا بينما الشعب يقف إلى جانبنا والرأي العالمي معنا . قد عقدنا النية على أن نحقق الحرية . "

وضعت عزيزي صحن الأرز والخضروات أمامه وسقط نثار على الطعام كأنه لم يأكله منذ عدة أيام . وبعد لحظة عندما خفت سرعة أكله، بدأ غولا يخبره عن مهنته لتجارة السجاد ولما سمع نثار ذلك بدأ يستلذ بطعامه أكثر ، وبعد ما سمع القصة بكاملها قال : منح هذه المبالغ للمجاهدين لضمان أن أعضاء أسرهم لا يعانون من المشاكل والشدائد ولا تظن بأنهم خاسرون .

ومن أعطاك هذا القدر الضخم من المال ؟ سأل غولا .
ولكن نثار لم يرد على هذا السؤال .

كاد الليل أن ينتهي وكانت أعينهم مثقلة بالنعاس . وفجأة وقف نثار وحمل بندقيته . وغلب الحزن والكآبة على غولا وعزيزي . ولم يخطر ببالهما أن نثار سيرحل هكذا بدون أن يقابل أخته الصغيرة التي كانت تنام بجانبه ، قال نثار :
سوف أقابل سلمى بعد أيام ، وأنا سأتي إليكم بين الحين والحين " ألقى نظرة عاجلة على غولا وقال : " أعتقد أنك يجب أن تفتح محلاً تجارياً وفي المرة القادمة سأقدم لك مزيداً من النقود " . ثم توجه إلى الباب وقالت عزيزي بصوت مختنق : " عليك أن تكون على حذر " . وقف نثار ونظر إلى أمه وذهب إليها وأمسكها بين ذراعيه .

وفي الصباح التالي كان سكان الحي بكامله في قلق واضطراب شديدين عندما رأوا الجنود المسلحة قد أحاطت به من كل جوانبه . وأعلن الجنود في مكبر الصوت بأنه يجب على كل واحد من الرجال أن يخرج من البيت . ثم بدأوا يفتشون بيئاً بيئاً ولكنهم لم يجدوا أي مقاتل . ثم أعلنوا بأن والد نثار أحمد شيخ يجب أن يخرج أمامهم .

تقدم غولا نحوهم خائفاً ووقف بجانب سيارة عسكرية
وكان جسمه يرتجف فسأله الضابط " هل نثار أحمد شيخ
ابنك ؟ " أحنى غولا رأسه مؤكداً ذلك .

" متى جاء إلى البيت آخر مرة ؟ "

أجاب غولا بصوت مرتجف " ليس عندنا أي خبر من
عدة شهور . "

" لو تسمع عنه شيئاً أخبرنا . "

" حسناً يا سيدي . "

عندما غادر الجنود تجمع الناس حول غولا . ارتفعت
مكانة غولا في قلوبهم . والآن قد علموا أن نثار أحمد شيخ
الذي كان اسمه مألوفاً لدى كافة سكان
الوادي كان في الحقيقة ابن هذا الحي نثار وهو ابن غولا .

وكانوا مندهشين لأن كثيرا من العسكريين جاءوا للتحقيق في شأن ولد لم يكن قبل بضعة أيام شيئا مذكورا، وكان أهل الحي يربتون على كتف غولا ويتحدثون معه . وكل من يتلقى ردا منه يعتبر نفسه سعيدا جدا ورافقه الجميع إلى منزله حيث كانت عزيزي وسلمى تبكيان بكاء حزينا متألما بينما بدأ الجنود تفتيش البيت تفتيشا كاملا وأخذوا يلتقطون الأشياء ويطرحونها هنا وهناك متفوهين بكلمات السب والشتم، الأمر الذي جعل هاتين المرأتين ترتجفان . وبعد رؤية غولا ازداد بكاؤهما شدة . حاول غولا طمأنتهما قائلا : لا تخافا فهؤلاء العسكريون لا يستطيعون أن يسيئوا إلينا ومن حماقة أن تبكيا هكذا . ألا تعرفان أن منزلتنا قد ارتفعت ؟

اشترى غولا منزلا عائما صغيرا قديما وظل يصلحه لعدة أيام إلى أن أصبح قابلا للاستخدام . ثم جهزه وأثثه مثل دكان ووضع فيه سجادا ذا جودة عالية ، وكان يحلم منذ طفولته بأن يكون له دكان مليء بالسجاد وأن يجلس وسط دكانه مرتديا العمامة والصدريّة ويحمل في يده النارجيلة وبجانبه السماور . والآن لم تكن عمامة على رأسه ولكنه كان يجلس على كرسي في بدلة رسمية مع رباط العنق ويدخن سجائر غالية وينفخ دوائر دخانية وترك استخدام التوباكو .

في البداية كان هناك إقبال كبير على دكانه ولكن سرعان ما تبدل ذلك بركود ، فحالما انتشر الخبر عن الوضع المضطرب في سري نجر في كافة أنحاء البلاد توقف السياح عن الزيارة والسياحة في الولاية . ونظرا إلى هذه الأوضاع بدأ غولا يبيع السجاد في جوا وبعد مرور سنة اكتسب غولا من الأموال ما تمكن به من بناء بيت جديد بعدما هدم بيته القديم واستخدم فيه قراميد وردية وخضراء لا في داخل الغرف فقط وإنما على جانب الجدران فأصبح بيته موضع حسد لدى أهل الحي .

كان نثار يزور بيته كلما يجد الفرصة وكان مرتاحا للتقدم الذي أحرزه والده والرفاهة التي تحظى بها أسرته . والآن كلما يأتي بمال يحوله إلى أمه حيث يهمل زواج شقيقته كثيرا . وعندما تنتظر عزيزي إلى ابنها تتضرع إلى الله بأن يصون ابنها ويرعاه وتدعو لسعادته دائما وتقول " يا إلهي احفظ ابني برعايتك " . كلما يكون نثار معها تتلو دائما هذه الكلمة الطيبة لسلامته . ولكن كلما أراد الذهاب من البيت تأخذ يده بيدها وتعمق نظراتها في وجهه بحيث يصعب لنثار أن يحرر يده من يدها . وكان يقربها إلى قلبه بشدة ويؤكد لها على عودته قبل المغادرة ويضحك . ولكن ضحكه لا يطمئن نفس والدته

عزيزي ولا يحمل سلوى لقلبها . وكلما تسمع دوى طلقات
الرصاص تشعر بخوف ودهشة .

وعلى الجانب الآخر أصبح غولا يشعر بسرور وحيرة
عندما يرى أهل الحي الذين لم يلتفتوا إليه فيما قبل لا يمرون
الآن إلا ويسلمون عليه والنسوة اللاتي يأخذن الماء من حنفية
البلدية يخفضن أعينهن باحترام عندما ينظرن إليه ويتسمن ،
وكان غولا ينظر أيضا إليهن وفوق كل ذلك يخاطبه أطفال
الحي بـ " نثار بابا " ويتحركون ويدورون حوله .

وذات يوم جاء تاجر ألماني إلى مركبه بحثا عن سجادة
قديمة مضى عليها مائة سنة ويستعد أن يدفع ما يطلبه من
ثمن مهما بلغ ذلك . وطلب غولا منه أن يأتي مرة أخرى في
اليوم التالي وهو يعرف جيدا أنه لا يوجد أحد إلا عبد القادر
الذي يملك سجادة مثلها . فذهب إلى بيته وعندما رآه عبد
القادر قال له :

تعال . تعال يا غلام محمد كيف أنت ؟

شعر غولا بخجل وجلس بجانبه في تردد وقال : يا سيدي ينبغي أن تخاطبني بغولا فقط . لا يجوز لك أن تتأديني بـ غلام محمد . قدم عبد القادر له كوبا من القهوة وقال " قد منحك الله هذه المكانة الرفيعة فمن أنا لأقل منها " . وبعد ذلك أعطى غولا تلك السجادة النادرة التي ادخرها منذ مدة طويلة وكلاهما اكتسب قدرا ضخما من المال من التاجر الألماني .

كانت تلك الليلة مظلمة مطيرة بسبب نزول المطر والعواصف الثائرة فأصبح دكان غولا الصغير الذي بنى على عوامة يضطرب على الماء مثلما تضطرب كشمير بعواصف الوضع السياسي .

وكان غولا وعزيزي في انتظار نثار جالسين داخل العوامة حيث كان نثار يلقاها هذه الأيام فكان ذلك مكانا أقل خطرا ومفتوحا من كل جانب فلو يأتي شرطي الحراسة هناك يمكن لأحد أن ينقذ نفسه بالقفز في المياه . وفي ذلك اليوم كانت سلمى مصرة على أن ترافق أبواها ولكن نثار كان قد منعها بشدة من ذلك فتركها أبواها في البيت . وكان هناك سبب آخر وهو أنهما أرادا أن يناقشا مع نثار أمر زواج

سلمى حيث كانت أسرة كريمة قد أبدت رغبتها في ذلك وكان الوالد موافقًا وجاء الاقتراح من طرفه، ولذا رأى والدا نثار أنه من الضروري أن يتشاورا معه قبل الموافقة على الخطبة .

مضى النصف الأول من الليل ولكن نثار لم يجيء . وكان سطح البحيرة يرتفع بسبب الأمطار الغزيرة المتواصلة . غلب النعاس عزيزي وغولا وكلاهما يدفئان نفسيهما بمدفأة يمسانها تحت ملابسهما . وفجأة سمعا وقع أقدام جعلتهما حذرين . كان ذلك بشير صديق نثار قد دخل ووقف صامتًا للحظة .

كان غولا وعزيزي يحدقان في وجهه ويزداد قلقهما في كل لحظة إلى أن قال بشير " لن يأتي نثار حيث ذهب في مهمة . وما إن قال هذا حتى استعد للخروج ، فصرخت عزيزي فجأة وتساءلت " هل أصيب بجروح خطيرة " .

وقف بشير في مكانه واصفر وجهه وكان غولا يرنو إلى وجه عزيزي بدهشة وقد تعمقت تجاعيد وجهها وظهرت آثار الحزن والخوف في عينيها .

ماذا تقولين ؟ عاتب غولا زوجته .

" لم يحدث له أي شيء " قال بشير: " أنت قلقة بدون سبب " .

" أنت تكذب " صرخت عزيزي مرة أخرى .

" والله أنا صادق فيما أقول : إنه ذهب خارج المدينة اليوم ولذلك لم يتمكن من أن يأتي " قال بشير هذه الكلمات وخروج . أما عزيزي فبدأت تبكي . لقد مسه السوء بدون شك . دعني أذهب إلى نثار . يا ابني نثار .

حاول غولا أن يهدأ عزيزي وقال : يساورك القلق هذه الأيام بدون سبب ولا داع ، لا تقلقي ولا تحزني . لن يصيبه سوء لأنه يحمل البندقية في يده دائما . وغداً سأحاول بنفسني أن أذهب إليه. ليس ثمة داع للبكاء والحزن . "

أخذت عزيزي وقتاً طويلاً لتهدئة نفسها ولكن الخوف كان قد دب إلى نفس زوجها أيضاً . وفي اليوم التالي غادر البيت صامتاً وأخذ يذهب من زقاق إلى آخر فكان يدخل في زقاق ثم يذهب إلى آخر ثم يعود إلى الزقاق الأول خائفاً من

جاسوس قد يتعقبه ، وأخيرا وبعد عدة دورات وصل إلى بيت المولوي الذي كان ابنه يرافق نثار دائما ، وهناك اطلع على أن نثار قد أصيب بجروح شديدة نتيجة تبادل النيران . وبعد ما سمع ذلك كاد غولا أن يسقط مغشيا عليه واستفسر قلئلا " ألا يمكنني أن أقابل نثار ؟ " أجاب المولوي " ماذا لي أن أقول ، جاء " علي جان " البارحة لبضع لحظات وأخبرني عنه بدون أن يقول شيئا عن مكان تواجدهم ، ولكنه ذكر عن غير قصد أن الدكتور سومنات كاتشرو قد عالجه ، فيمكنك أن تذهب وتسال الطبيب كاتشرو فربما يخبرك عن مكان تواجد نثار . "

خرج غولا صامتا وكان مضطربا وقلقا وقلت نبضات قلبه وترقرقت عيناه بالدموع أخذ سيارة أجرة ليذهب بها إلى كرن نجر رأى جريدة اليوم على مقعد السيارة وبها نبأ هام مفاده بأن نثار قد أصيب بجروح ، فأخذ قلبه يخفق مرة أخرى . وعندما رآه سائق السيارة يطالع الجريدة قال " لو أصيب نثار بسوء فسوف تحترق كشمير كلها . "

كان غولا كئيبا وذاهلا وقرأ النبأ في الجريدة عدة مرات . وكان يتمنى أن تنشر الجريدة نبأ آخر عن المكان الذي يوجد

فيه نثار . وكان يرغب كذلك في أن يتحدث عنه مع سائق السيارة ويريد أن يقول له إنه والد نثار ولكن لم يستطع ذلك .

وقفت السيارة أمام بيت الدكتور كاتشرو فرأى غولا سيارتين كبيرتين واقفتين هناك وفيهما بعض الأمتعة والناس يخرجون من البيت ويجلسون فيهما . فهم غولا أن هؤلاء الناس يغادرون المدينة .

وفجأة خرج الدكتور كاتشرو وتقدم نحو السيارة . ذهب غولا إليه بسرعة وسلم عليه وقال " يا سيدي أنا والد نثار ، واسمي غلام محمد ، وقد علمت أنك عالجت ابني نثار . يا سيدي قل من فضلك كيف هو الآن أرجو ألا يكون هناك خطر على حياته .

وقف الدكتور سومناث فجأة ونظر إلى غولا بدقة وكانت تلك لحظة لا يثق فيها بأحد ، كيف عرف ومن هو ؟ ربما هو أحد ينتمي إلى جماعة المقاتلين أو هو من جواسيس الحكومة . ويمكن كذلك أنه من بين الذين اطلعوا على برنامجي للفرار من هنا . عندما رأى غولا الدكتور في حالة

من التأمل قال بتواضع بالغ " صدقني يا سيدي أنا والـده ،
ستموت أمه بكاء ! " لنا ابن وحيد هو نثار إن لم تقل لنا أين
هو فماذا نعمل إذن ؟ أقسم بالله ونبيه أننا لا نستطيع أن نبقي
على قيد الحياة بدون ابننا . من فضلك قل لي فقط هل هو
حي أم لا ؟ "

لاحظ الدكتور سومنات أن عينيه ترقرقان بالدموع
والعرق يظهر على جبينه والارتعاش يسيطر على جسده
فتيقن بأن الرجل هو والد نثار بلا شك . وضع يده على كتف
غولا وقال " إن صحته غير مريحة " نظر غولا إليه بنظرات
عجيبة كأنه لم يفهم شيئاً واتجه نحو السيارة ليجلس فيها .
فأوقفه غولا وسأل في صوت مكبوت . " يا سيدي ، قل لي
من فضلك أين هو ؟ أخبرني بذلك فقط " .

أسف يا أخي لا أستطيع أن أقول لك . بعد هذه الكلمات
جلس الدكتور سومنات في السيارة وتحركت سيارته والسيارة
الأخرى أيضاً ومازالت يدا غولا معلقتين في الهواء وهو
يقف ذاهلاً والدموع تسيل من عينيه .

تحرك ببطء واتخذ سبيله نحو بيته . وقد صعب الأمر عليه الآن فكيف يخبر عزيزي عن حادثة نثار فهي لا تستطيع تحمل هذا النبأ المحزن . وفي الليلة الماضية كان قد شعر بأن نثار قد احتل مكان الأنفاس لديها.

لما وصل إلى البيت رأى جمعا غفيرا للنسوة هناك فقالت له إحداهن أن عزيزي أغمى عليها بعدما سمعت نبأ إصابة نثار بجروح ولذلك جئت هنا . لم يتمكن غولا من أن يدخل البيت . وفي تلك اللحظة رأى تاجر السجاد عبد القادر يأتي إليه مسرعا ويناديه غلام محمد وبدأت النسوة اللاتي كن يقفن خارج البيت ينظرن إليه . أمسك عبد القادر يد غولا وأخذه على جانب وقال " هل تعرف أن سائر المدينة تقوم بالإضراب اليوم ؟ وقد فرض منع التجول واتخذ العسكريون مواضعهم في كافة أنحاء المدينة ؟

ماذا حدث ؟ استفسر غولا .

- انتشرت إشاعة .

- أي إشاعة ؟

لم يستطع عبد القادر أن يجيب إجابة صحيحة . أصبح غولا قلقا فسأل مرة أخرى " أي إشاعة ؟ "

وما قاله عبد القادر خائفا مترددا وتدرجيا مع وقفات لم يكن بمقدرة غولا أن يتحملة فسقط على الأرض مغشيا عليه.

انقضت سنتان على وفاة نثار ولم تبق عزيزي على قيد الحياة بعد ذلك لمدة طويلة . أخذها غولا من دار إلى أخرى ولكنها لم تجد السكنية في أي مكان . الواقع أنها كانت قد أصبحت شبه ميتة فور سماع نبأ وفاة ابنها نثار . أصبحت مجنونة ومشوشة الذهن تغمغم بكلمات لا معنى لها . وذات ليلة عندما كانت تنام سمعها غولا تتكلم بدون وعي " يا ابني كنت دائما تخذعنا بتقديم نقود ولم أفهم الأمر لذلك كنت آخذ تلك المبالغ وحتى أن والدك أيضا لم يفهم حيلتك " بعد ما سمع غولا هذه الكلمات فقد صوابه وأخذ يبكي بصوت عال وذات يوم سمعها تنشد الأبيات التالية :

" من مات ومن قتل

من كان مشغول البال في الشؤون الدنيوية ونسى الله

سيموت وإنه فقط سيموت " .

أدرك غولا أن أيام حياة عزيزي بقيت معدودة فاحتضنها الموت بعد ذلك بقليل . وبعد وفاتها احتفل غولا بزواج ابنته سلمى وفقد كل أمانيه في العيش وفي لقاء الناس كما لم يعد يثق بأي شخص . كان يزور زاوية "شاه همدان " ويجلس هناك ساعات طوال ويكرر " من مات ومن قتل " وكان المولوي يحاول أن يهدأ روعه فيتلو " إن الله مع الصابرين " غير أن غولا لم يوفق في نيل الراحة .

وذات يوم جاء تاجر السجاد عبد القادر إليه وقال " يا غولا ما هذا؟ ماذا صنعت بنفسك ؟ إنك وحدك تستحق اللوم على ما حدث . فلو لم تشجع ابنك نثار على حب المال لما صار مقاتلا . فما حدث كان لابد أن يحدث . ارجع إلى صوابك الآن واذهب لأداء فريضة الحج وهكذا ستكفر عن ذنبك . "

بعد أن سمع كلامه أخذ غولا يحدق في وجه عبد القادر
وانفجر بالضحك بطريقة أدخلت الخوف في نفسه وفجأة
تحول غولا إلى البكاء ففر عبد القادر من هناك خائفا .

وبعد عدة أيام ذهب غولا ليلا إلى عوامته وجلس بداخلها
وكانت تلك العوامة حلما محققا بالنسبة له وكانت فيها أكوام
السجاد ذات تصاميم مختلفة ومعظمها مطوية وموضوعة في
الزوايا . وكانت العوامة وكل ما فيها ملكا لغولا . جلس على
كرسي وأشعل سيجارة وبعد الانتهاء من تدخينها أشعل ثانية
وثالثة ورابعة ولم يعد يشعر مرور الوقت وفجأة شعر بأنه
جالس في الظلام ثم أحس بأن العوامة تعوم فوق الماء .
كيف يمكن هذا ، سأل نفسه ؟ ألستم على هذه الحالة
الجنونية التي وجد فيها نفسه ومضى يدخل السجائر بشدة
أكثر وبعد قليل شعر بصدمة قوية عندما اصطدمت العوامة
بشاطئ البحيرة فأطل على الشاطئ واندesh والعوامة كانت
في الواقع تسير في الظلام ببطء بدون أن يعرف اتجاهها
وكان قد ضل السبيل بين الخمائل لا يجد أي شاطئ في أي
جهة ويبدو كأن الظلام قد ابتلع كل العالم وكل شيء حوله
أصبح حلما ووهما . ظل جالسا لوقت طويل خارج العوامة
ثم خلع سترته وقذف بها بقوة إلى الماء وقفز في البحيرة .

سبح لمدة طويلة ثم توقف عن تحريك يديه ورجليه حيث بدأ يغرق في الماء وعندما تعسر عليه أن يتنفس بدأ يحرك يديه ورجليه مرة أخرى وظهر فوق الماء ثم بدأ يسبح مرة أخرى .

وفي الصباح التالي عندما رأى الناس عوامة غولا أسرعوا نحوها في عواماتهم الصغيرة ثم دخلوا فيها ولم يجدوا أحدا بداخلها فاعتقدوا أن الحبل الذي شد به العوامة قد انحل بدون أن يعرف غولا ذلك وضل بين الخمائل فذهبوا إلى بيت غولا لإخطاره ولكن أخبرهم جيرانه بأن غولا لم يأت إلى البيت منذ أمس .

بعد ذلك لم يره أحد لا في بيته ولا في عوامته ولا في المدينة ولا يعرف أحد أين ذهب هل ابتلعه الأرض أم غلب في السماء .

عقار الغابة

أمريتا بريتم*

كانت "أنجورى" زوجة جديدة لخادم في بيت جار لى من جيرانى . جديدة لأنها كانت زوجة ثانية لزوجها. على هذا كان زوجها زوج اثنتين لأنه دخل عالم الزواج الثانى وأنجورى جديدة لأنها كانت حتى الآن في عالم الزواج الأول وجديدة أيضا لأنها لم تمض على زفافها سنة كاملة .

مضت خمسة أعوام منذ أن ذهب "برابهاتى" إلى قريته فى إجازة للاشتراك فى جنازة زوجته الأولى والمراسم الأخيرة لها . يقولون إن والد أنجورى قد عصر منديل "برابهاتى" يوم المراسم الأخيرة فى القرية . فمن لم يتبلل منديله بدموعه لموت زوجته يتبلل فى اليوم الرابع أو يوم المراسم الأخيرة بمسح جسمها وعندما نهض والد الزوجة فى ذلك اليوم لي عصر ذلك المنديل فكأنه يقول إننى أعطيك ابنتى مكان تلك الزوجة الميتة فلا داعى لك الآن للبكاء . إننى جففت منديلك المبتل .

هكذا تم زواج برابهاتى الثانى بأنجورى . ولكن لكونها صغيرة وإصابة أمها بمرض وجع المفاصل تأخر زفافها لمدة خمس سنين على أى حال مضت تلك السنون ، الواحدة تلو الأخرى . وكان برابهاتى قد أخبر مستخدميه عند ذهابه إلى قريته للزفاف على زوجته هذه السنة بأنه إما أن يأتى بزوجه لتسكن معه فى المدينة أو لن يرجع من قريته . فتردد مستخدموه أولا لأنهم لم يريدوا أن يتحملوا نفقة أكل شخصين بدلا من شخص واحد . ولكنهم وافقوا بعد ما سمعوا خادمهم يقول إنه سوف يتخذ المكان الخلفى غير المبلط لغرفته مطبخا لزوجه بعد تنظيفه . هكذا جاءت أنجورى إلى المدينة ولم ترفع قناعها لمدة أيام أمام رجال الحي ولا أمام النساء . ولكن بعد ذلك خفف تدريجيا كانت أنجورى تضيف إلى رونق الحي عندما تمشى مرتدية حليها الرنانة . وكذلك تزيد البهاء هناك بابتسامتها العذبة الخلابة ومع أنها كانت تقضى معظم أوقاتها فى غرفتها ، إلا أن رونقا عجيبا كان يصاحبها كلما تخرج من بيتها .

" أية حلية هذه فى قدميك يا أنجورى .. ؟ "

" إنها حلقات فضية "

"وما هذا فى أصابعك ...؟"

"إنه خاتم"

"وفى ذراعيك ... ؟"

"اسمها بشيلا"

"وعلى جبينك .. ؟"

"يقال لها " على بند"

"اليوم لم تلبسى شيئاً فى خصرك ... ؟"

"إنها ثقيلة جدا ألبسها غدا ، اليوم أنا ما لبست العقد أيضا
فقد انكسر لحامه . أذهب غدا إلى المدينة لإصلاحه كما
أشترى حلقة لأنفى كانت عندى حلية كبيرة لأنفى أعطتها لى
أم زوجى ."

هكذا كانت أنجورى تلبس حلاها الفضية بتدل وتعرضها
بتدل .

وبعد قليل لما تغير الجو وصارت أنجورى تختنق فى
غرفتها ، كانت تجلس أمام بيتى تحت أشجار النيم .

وكانت بئر قديمة على مكان مرتفع بالقرب من تلك
الأشجار وكانت البئر مهجورة فلم يكن أحد يجلب الماء منها
إلا أن شارعاً كان يعبد بالقرب منها على نفقة الحكومة .
والعمال كانوا يستعملون ماء البئر . لذلك كان يوجد هناك
وحل فى معظم الأوقات .

" ماذا تقرأين يا سيدتي .. ؟

لما جاءتتى أنجورى ذات يوم كنت أقرأ كتاباً تحت أشجار
النيم "

" هل تعرفين القراءة يا أنجورى .. ؟

" لا أعرف "

" تعلمى ... ؟

" لا "

" لماذا ؟

" إن تعلم القراءة إثم بالنسبة للمرأة "

" هل القراءة إثم للمرأة فقط وليست إثمًا للرجل ...؟

" لا ... ، ليست إثمًا للرجل "

" من قال لك هذا ... ؟ "

" أنا أعرف ذلك "

" لكننى أقرأ ... هل أنا آثمة ... ؟

" النساء فى المدن لا يرتكبن الإثم ولكن نساء القرى يرتكبنه "

انفجرت أنا ضاحكة وضحكت أنجورى ولكن كل ما كانت أنجورى قد سمعت واعتقدته ، كان حقيقة . لذلك لم أقل لها شيئاً فلو كان باستطاعتها أن تقضى أوقاتها فرحة مسرورة داخل حدود حياتها ، كان ذلك شيئاً حسناً كنت حينذاك أحقق

فى وجه نجورى كانت ممثلة الجسم سمراء اللون . يقولون
إن المرأة مثل عجينة الدقيق والبعض منهم يكن ألىن من
العجينة حتى لا يمكن جعلها خبزا مدورا ولكن جسم البعض
فقط يكون مثل خمير الدقيق يصعب صنع أى شكل من الخبز
منه .

ظللت أحملق فى وجه أنجورى ، وإلى صدرها وإلى
أرجلها . إنها كانت متماسكة الجسم متناسقة الأعضاء .
وكنى قد رأيت زوجها برابهاى أيضا كان قصير القامة ،
منخفض الوجه .

فلما رأيت شكل أنجورى ، خطرت لى فى نفسى مقارنة
عجينة بأن برابهاى لا يستحق أكل هذه العجينة المتماسكة .
وإن من يضع هذه العجينة مغطاة بغطاء كثيف ، فهو قاسى
القلب . فضحكت فى نفسى على هذه المقارنة ولكننى ماشئت
أن أشعر أنجورى بهذه المقارنة .

انتقلت بحديثى إلى أمور بسيطة متعلقة بقريتها وأبويها
وإخوتها وحقولها ومزارعها ، فسألت :

" ما هى طريقة الزواج فى قريتك .. ؟

" عامة تكون البنت صغيرة فى عمر خمس سنين تقريبا
حينما تعبد هى قدم شخص . "

" كيف تعبد القدم ؟.... "

" يحمل والد البنت صينية مملوءة بالزهور وفيها روبيات
فيضعها أما الولد . "

" إنها عبادة الأب وليست عبادة البنت ؟... "

" لكن الوالد يعبده نيابة عن البنت "

وهل ترى البنت زوجها المنتظر ؟...

" لا ... ، البنات لا يرونه "

" هل البنات لا ينظرن إلى أزواجهن ... ؟ "

" كلا .. "

" ألا ترى أى بنت أبداً ؟.. "

" لا أبدًا "

" قالت أنجورى أولا " لا " ثم سكنت قليلا فقالت:

" البنات العاشقات ، ينظرن إليه "

" هل بنات قريتك يعشقن ؟ "

" بعضهن "

" هل البنت التى تعشق شخصا لا تكون آثمة ... ؟ " (فى الحقيقة ، أنا تذكرت كلام أنجورى بأن المرأة تكون آثمة لو تعلمت القراءة ، فتذكرت أن الحب أيضا على هذا يكون سببا للإثم) . فقالت أنجورى فورًا :

" إنه إثم ، إثم كبير "

" إذا كان الحب إثمًا فلماذا هن يحبين أحدا ما..؟ "

" فى الحقيقة يطعم شخص البنت شيئًا فيتولد فى قلبها الحب نحوه "

" ماذا يطعمها ...؟ "

" عقاراً من عقاقير الغابة يضعه فى الحلوى أو فى
التتبول فتبدأ البنت تحبه وتفضله على كل رجل فى العالم . "

" صحيح ... ؟ "

" نعم أنا أعلم فقد رأيت بعيونى "

" رأيت من ... ؟ "

" كانت لى زميلة ، تكبرنى قليلا فى السن "

" إذن ماذا حدث ..؟ "

" إنها ، صارت مجنونة . وهربت معه إلى المدينة "

" لكن كيف علمت أنه أطعم زميلتك عقاره ..؟ "

" هل أطعمها فى حلوى ..؟ أتظنين أنها هجرت أبويها
وذهبت معه إلى المدينة ...؟ "

" إنه كان يعطيها أشياء كثيرة ! يعطيها السارى ،
وأسورة زجاجية وعقودًا من الدر . "

" هذه أشياء ! ولكن كيف علمت أنه أطعمها عقاره؟ "

" إذن كيف أخذت تحبه إذا لم يطعمها شيئًا ...؟ "

" الحب قد ينشأ بدون ذلك أيضا "

" كلا ... ، كيف يمكن لأحد أن يحب شخصا ويكرهه
أبويه ... ؟ "

" هل رأيت ذلك العقار ...؟ "

" لا ... ، ما رأيته هم يجلبونه من بعيد ويخلطونه خفية
فى الحلوى أو فى التنبول لذلك نصحتنى أمى ألا أكل شيئًا
من يد أحد . "

" أحسنت جدا بأنك لم تأكل شيئًا من يد أحد ، ولكن كيف
أكلت زميلتك ... ؟ سوف تجد ما عملته ؟ "

" نعم وجدت ما عملته " قالت أنجورى ذلك ولكنها أحست بعد ذلك بشفقة على زميلتها فقالت فى حزن :

" أصبحت المسكينة مجنونة . فلم تكن تمشط شعرها وكانت تنهض مرات فى الليل وتغنى . "

" ماذا تغنى ...؟ "

" لا يعلم أحد ماذا كانت تغنى . إن التى تأكل عقارا تغنى كثيرا . وتبكى أيضا كثيرا . "

انتقل الحديث من الغناء إلى البكاء . فلم أسأل بعد ذلك أنجورى شيئا آخر .

لم تمض إلا أيام قليلة وجاءت أنجورى يوما ووقفت أمامى صامتة قبل ذلك كلما جاءت كان حليها يرن " شم شم " نسمعها وهى على بعد عشرين قدما . ولكن اليوم لا يعرف أحد أين اختفت رنة قدميها . فرفعت رأسى من الكتاب وسألتها ماذا حدث يا أنجورى ؟ ظلت أنجورى تنتظر إلى برهة ثم قالت بصوت خفيض .

" علميني القراءة يا سيدتي ...؟ علميني كتابة الاسم؟ "

" هل تكتبين رسالة إلى أحد ...؟ "

لم تجب أنجورى شيئاً . وظلت تنظر إلى وجهي لمدة "

" ألا تكونين آثمة بسبب القراءة ... ؟ "

لم تجب أنجورى بعد ذلك أيضاً وبدأت تتأمل في السماء
كان ذلك عند الظهر . أنا ذهبت إلى داخل البيت تاركة إياها
تحت شجرة النيم . ولما خرجت مساء مرة أخرى رأيت أنها
مازالت جالسة تحت شجرة النيم كانت منكشئة جداً . لعل
الهواء البارد في المساء أثر في جسمها وتقول : " لأدري
كيف أقضي عمري الباقي وخاصة شبابي "

ولما أحست أنجورى بمجيئي خففت من غنائها وأدارت
وجهها إليّ وهي تردد أغنيتها تحت شفتيها سرّاً

" أنت تغنين جيداً ، يا أنجورى "

وظهر لي أن أنجورى قد حبست دموعها المرتجفة
وضعت مكانها ابتسامة مرتعشة .

" أنا لا أعرف الغناء "

" أنت تعرفين "

" هل سمعت هذه الأغنية من زميلتك ؟.. "

" غنى لى مرة "

" إنها ليست إلا أعداد . فى السنة ، يكون موسم المطر
لمدة أربعة شهور ، والصيف لمدة أربعة شهور والهواء
البارد لمدة أربعة شهور . "

" لا هكذا . بل اسـمعينى بالغناء ...؟ "

لم تغن أنجورى ولكنها عدت الشهور اثنا عشر على
أصابعها . كأنها تعد كل الحساب بها .

" يكون الموسم باردا لأربعة شهور يا حبيبى فيرتعش منه
القلوب . ويكون الموسم حارا لأربعة شهور يا حبيبى

فيرتعش منه الهواء . ويكون الموسم مطيرا لأربعة شهور يا
حبيبي فيرتعش منه السحاب ."

وجعلت أنجورى تنتظر إلى وجهى . أردت أن أضع يدي
على كتفها لأسألها . " هل أكلت عقار الغابة يا مجنونة .. ؟ "
" وقد وضعت فعلا يدي على كتفها ولكنى سألتها بدلا من
ذلك :

" هل أكلت الطعام ... ؟ "

" الطعام " رفعت أنجورى وجهها ونظرت إلى وشعرت
بيدي الموضوعه على كتفها بأن جسم أنجورى كله يرتعش .
لعل الأغنية التى غنتها الآن عن السحاب المرتعش فى موسم
المطر ، والهواء الحار المرتعش فى موسم الصيف ،
والقلب المرتعش فى موسم البرد ، قد أثرت أثرا واضحا
على جسمها .

كنت أعرف أن أنجورى تطبخ طعامها بنفسها وزوجها
برابهاتى كان يطهو الطعام لمستخدميه . وكان يأكل هناك
ولذلك لم تكن تنتظره أنجورى على الطعام فسألتها مرة
أخرى .

" هل طبخت الطعام اليوم أم لا ؟... ؟ "

" ما طبخته حتى الآن "

" هل طبخت صباحا وهل شربت الشاي ؟... ؟ "

" الشاي .. ؟ اليوم اللبن لم يكن موجودًا "

" لماذا لم تأخذي اللبن اليوم ... ؟ "

" أنا لا آخذ اللبن بل ""

" ألا تصنعين الشاي كل يوم ؟... ؟ "

" إنما أشربه "

" إذن ماذا حدث اليوم ؟... ؟ "

" اللبن ، في الأصل رام تارا "

رام تارا خفير في حيننا . وهو حارس مشترك لكل واحد .
يحرس البيوت طوال الليل . ويشعر بالنوم العميق صباحا .

تذكرت أنه قبل أن تأتي أنجورى كان يأخذ رام تارا كوبا من الشاي من بيوتنا صباحا من بيت ويوما آخر من بيت ويشربه ثم ينام على سريريه عند البئر . ومنذ أن جاءت أنجورى ، كان يأتي بلبن من صاحب جاموس . ثم يضع على موقد أنجورى قدر الشاي . وكان يرايهاتى و رام تارا وأنجورى كلهم يشربون الشاي جالسين . حول الموقد . ولعلى أذكر أن رام تارا كان قد أخذ إجازة وسافر إلى قريته منذ ثلاثة أيام .

شعرت بضحكة مؤلمة ثم قلت لها :

" وأنت يا أنجورى ألم تشربى الشاي منذ ثلاثة أيام "

لم تقل أنجورى شيئا بل هزت رأسها بالنفى فقط .

" ألم تأكلى الطعام أيضا ... ؟ "

لم تعرف أنجورى الكلام وبدأ لى أنها إما لم تأكل الطعام مطلقا أو أكلت قدرا يسيرا منه .

وقد تمثل أمام عيني شكل رام تارا تماما وسيم القامة سليم
البنية ، وصاحب عيون جذابة خجولة ، وذا أسلوب خاص
في الحديث

" أنجورى ... ؟ "

" نعم يا سيدتى "

" هل أكلت عقار الغابة ... ؟ "

سالت الدموع على وجه أنجورى . فبللت شعرها
وشفتيها. وكانت الكمات الصادرة من فمها أيضا مبللة "
أحلف لك بأننى لم أكل أبدا حلوى من يده ولم أقبل التتبـول
أيضا ، ما عدا الشاى ، يمكن أنه قد ثم غرقت أصوات
أنجورى كلها فى دموعها .

أحمدك يارب

أحمد نديم قاسمى*

قبل زواجه ، كان مولوى أبو البركات المعروف بأبول يعيش فى راحة ورفاهية وكان يلبس بدلاً من المنزر القطنى منزرًا حريريًا مخططًا بالخطوط الخضراء . وكان يحمل فى أحد جيوبه البوصلة بينما يحمل صندوقًا فضيًا صغيرًا مليئًا بمسحوق التبغ فى الجيب الآخر ويرتدى فوق رأسه عمامة بنية خفيفة تعرف باسم " مشادى لنجى " وذلك لأنها أتت أصلًا من "مشاد" فى إيران . أما حافة قبعته المذهبة فهى تلمع فوق العمامة . كان يحمل باستمرار عكازًا وهو نوع من الصولجان المحلى بأربطة تزينه من النحاس الأصفر والمذهب أما بالنسبة لشعره فقد كان يستعمل زيتًا معطرًا تفوح رائحته الطيبة وتنتشر فى أزقة القرية كلما مر منها .

كانت عينا مولوى أبول منتفخة ناتئة بعض الشيء ، وكان يضع حول جفنيه الكحل بعناية فائقة ويتحلى بالخواتم الفضية ذات الأحجار الزرقاء الكبيرة . إنها الهدايا التى كان يأخذها

من الحجاج الذين جاءوا بها من الأراضى المقدسة خلال موسم الحج السنوى . كان يخلع هذه الخواتم من أصابعه خمس مرات كل يوم قبل الوضوء ومع ذلك لم يطرأ أى تغيير على ترتيب الخواتم فى أصابعه .

أم بالنسبة لصوت مولوى أبول فالحمد لله أن هذه الهبة التى أنعم عليه بها الله سبحانه وتعالى كانت تسخر فقط لتلاوة آيات من القرآن الكريم . ولو أن مولوى أبول استغل هذه الهبة فى غناء أغنية ما لبات من المستحيل أن يكبح جموع المعجبات من حسناوات القرية . وفى كل عيد ، بعد أداء الصلاة كان كلما سقط الكيس القطنى الذى يحتوى على ١٥٠ إلى ٢٠٠ روبية جمعت ممن نذروا أنفسهم للدين يوزع مبلغاً يتراوح بين ٤٠ إلى ٥٠ روبية على المصلين من الفقراء والمحتاجين . وبعد كل تصرف من هذا النوع كان يقول : أرجو عدم الدعاء لى . تذكروا الله القوى الكريم . فهو يخلق الحشرات فى الأحجار ويرزقها بالغذاء هناك أيضاً أرجو أن لا تشكرونى فما الذى ضمن الله علىّ به ؟ لقد وهبنى الله النعم والصحة والسكينة وراحة البال . إننى لا أحتاج لأى شئ أكثر من ذلك من كنزهِ اللامحدود من النعم الإلهية .

ولكن بعد زواجه فإن النعم الإلهية قد أخذت شكلاً آخر .
فقد أصبح إنجاب الأطفال في منزله سمة متكررة . ففي تلك
السنة التي لم تحمل فيها زوجته هرع مذعوراً إلى الطبيب .
حيث أكد أن ثمة خطأ في جهاز الإنتاج لدى زوجته زيب
النساء . كان إنجاب طفل بمثابة شروق الشمس بعد الليل
تقريباً . وعندما أشرقت الشمس في العام التالي فقد استطاع
مولوى أبول أن يتنفس الصعداء . وكان من المؤكد بالنسبة
له أن العدد الوفير من الأطفال هو إحدى نعم الله سبحانه .
ولكن المشكلة أنه مع مرور الأيام تحول المنزر الحريري
إلى خرقة أشبه بالممسحة . منذ سنوات ، اختفى القميص
الحريري في اندفاع حلقات زجاجات الإرضاع ، وقد حل
محله الآن قميص من القماش الخشن الذي على الرغم من
الغسيل المتكرر ، بدا قذراً وكان الحائك قد مزج القذارة
والوساخة في النسيج .

إن غطاء الرأس المذهب المتهترئ قد حمل بعض
الشعرات الطويلة من شعر اللحية ، وقد بدأ الوبر والزغب
بالزحف منها خارج العمامة . لقد تحولت الفضة في خواتمه
والذهب في صولجانه منذ أمد بعيد إلى أقراط وقلادات على

شكل أجراس من أجل أطفاله ونتاج عيناها من جفونه المحمرة
وكان مولوى أبول كان باستمرار فى قبضة سكرة الموت .

وكالأطفال الذين أتوا فى تسلسل سريع ، تغيرت الأوقات
بسرعة أيضاً . لقد كلفه زوج من الأحذية لابنه البكر روبية
واحدة . وطلب منه أن يدفع لابنته الصغرى ست روبيات
ثمناً لحذاءها . وعندما تذر قال له صانع الأحذية : مولوى ،
إننى لم أطلب منك أن تدفع أكثر من ذلك إكراماً . ولو كان
المشتري شخصاً آخر لأقنعتة بدفع عشر روبيات بكل سهولة
لقد ارتفع سعر الجلد إلى السماء كما ارتفعت الأسعار فجأة
لدرجة أنه يبدو وكأن جميع الابقار والجواميس فى البلاد قد
أرسلت الى جبل القوقاز . إن سعر التكلفة هو خمس روبيات
واثنتا عشرة أنه ، صدقنى إن ربحى لا يتجاوز الأربع أنات.
هيا يا مولوى لا تبدو يائساً وأرجوك لا تعطينى حتى تلك
الانات الأربع . سأجعلك تدفع لى ما صرفته على هذه
الأحذية الأنيفة فقط . فلتكن لعنة الله على إن كنت أكذب وإن
شاء الله أغرق فى إحدى البحيرات وليحرمنى الله من أن أقبر
بشكل لائق .

لو كان من الممكن أن يحصل مولوى على ضروريات الحياة من السماء بواسطة الصلاة والدعاء لكان قد صلى لربه من أجل زوج من الأحذية لأصغر من فى عائلته وهو عمى . وفى الليل استشار مولوى زوجته ، ولكنها بدلاً من أن تجيبه ، قامت برفع طرف اللحاف بصمت لتكشف عن قدم ابنته الصغيرة العارية . وعند رؤية هذه الأقدام اللطيفة انفجر مولوى أبول بالبكاء كالأطفال .

فى اليوم التالى ، وبعد أداء صلاة الصبح ، ذهب إلى صانع الأحذية ودفع له خمس روبيات واثنى عشرة أنة واشترى الحذاء . وعندما غادر دكانه أقسم بالله كشاهد عليه أن لا يستخدم التبغ المسحوق الذى كان يحبه .

ومع مرور الأيام أظهر عدد المصلين الذين نذروا أنفسهم للمسجد انخفاضاً ملحوظاً . وفى نفس الوقت كانت تكاليف المعيشة تزداد بثبات . وكذلك الحال بالنسبة لعدد الأطفال فى منزل مولوى أبول . وكان الشيب فى رأس مولوى أبول يتزايد معهم .

عندما أصبح مهران فى الرابعة عشرة من عمره وبدأ سن البلوغ يدق الباب ، أصبحت صلوات مولوى أبول أكثر تركيزاً وأكثر طولاً ، وكلما ركع أو سجد لله عزوجل فى خشوع كان يبدو وكأنه لا يشعر بمرور الوقت ويبقى ساجداً لأنه لا يشعر كم مضى من الوقت. وفى مثل تلك اللحظات ، لحظات التأمل كان بعض أصدقائه يسعل كى يذكره بأن هناك مصلين آخرين خلفه فى المسجد ، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لوصل مولوى أبول بين صلاتى العصر والمغرب بسجود واحد متصل .

خلال شهر رمضان ، كان يؤم صلاة التراويح فى الليل كالعادة لكن مولوى أبول نفسه الذى لم يكن يرتكب خطأ واحداً ، بدأ يشرد ويتنقل من إحدى سور القرآن الكريم إلى أخرى . وفى بعض الأحيان كان يكرر نفس السورة مرتين فى نفس الجزء من الصلاة دون أن يشعر .

وذات مرة ، عندما قام شودرى فتح داد ، وهو عضو فى مجلس الحي ، بتصحيح خطأه ، ود مولوى لو يصرخ بأعلى صوته ويرد عليه قائلاً : لديك صفاً كاملاً من الذكور يا سيد

شودري ولو رزقت ببنت وصلت سن البلوغ ، لفهمت حينئذ لماذا أكرر سورة من القرآن الكريم مرتين .

لكن نقد ولوم شودري فتح داد كان دينياً محضاً لأنه كان ذلك المسلم الورع التقى المتدين ، رئيس القرية الذى يبعث لمولوى منذ عدة سنوات الخبز المُعد فى المنزل والمعجون بالسمن مع بعض العدس فى سلطانية الفخار بالإضافة الى صلصة مرق اللحم فى بعض الأحيان .

كان منتظماً جداً فى إحسانه اليومى ، كان مهلة يوم أو إهمال يوم واحد قد ينزل عليه غضب الله سبحانه . ولو تأخر تقديم الوجبة اليومية فى المساء لأحد الأسباب فإن شودري فتح داد سيحملها بنفسه الى منزل مولوى أبول ويعتذر على التأخير قائلاً :

" إننى آسف جداً يا مولوى . إن زوجتى مريضة ، لذا قامت الخادمة بطهى الطعام . إن تلك المرأة قد نسيت أنه لو تأخر عمل الخير هذا لأصبح على أن أصوم يوماً لأكفر عن ذلك " لقد اعتبر الهدية اليومية لمولوى أبول جزءاً من عبادته اليومية .

إن أعمال الخير هذه كانت متنوعة . ففي يوم الخميس لم يعجن الطحين ولم تشعل النار في الموقد . وكان المتدينون المتحمسون لمولوى أبول يبعثون حوالى اثنى عشر رغيفاً كبيراً من الخبز السميك . وبسبب إدراك زيب النساء لمسئوليات زوجها المتزايدة باستمرار ، لذا فقد بدأت بتدريس القرآن الكريم للبنات الصغيرات في القرية . وفي يوم الخميس عندما كانت تحضر كل واحدة من البنات قطعة صغيرة من السكر على الخبز فإن زيب النساء ستملاً على الأقل سلتين ، حيث كانت هذه السلال الصغيرة تستعمل لحفظ كسرات الخبز الذى خبز في المنزل في مثل تلك الأيام فإن العائلة كلها تتناول وجبتين كاملتين كبيرتين وكان كل ما يوفر من الطعام يجفف في أشعة الشمس أربع مرات في الشهر ، وكان يغلَى في شراب الجكر أي السكر الأسمر كي يصنع منه طبقاً من الحلوى .

ولكنه كانت هناك مشكلة أخرى . فبالإضافة إلى الخبز الذى يلزمهم لملء بطونهم ، كانوا يحتاجون أيضاً إلى الملابس ليكسوا بها أجسامهم . فكان شودرى فتح داد يقدم الملابس الجديدة لمولوى أبول مرة كل عام بعد كل حصاد . وكلما جاءت تلك الملابس يظهر دكان الخياطة فى منزل

مولوى أبول. حيث تقوم زيب النساء بمساعدة مهرون وزبدة وشمسون بقصهم وتحويلهم إلى مقاس أصغر من أجل الأطفال الأصغر سناً . أما بالنسبة للعمامة الإسلامية فإنها تعامل أيضاً بنفس الطريقة . وهكذا يتقى أطفال مولوى أبول شر العرى الكامل . ولو استلم فى أى وقت بعض المال الإضافي من أجل إجراء مراسم الزواج أو أداء صلاة الجنازة ، فإن هذه الزيادة تدخر ويقفل عليها عادة فى صندوق معدنى .

مع مرور الوقت ، زادت شهية الأطفال ، بينما ضمرت ونحلت أجسامهم . وذات مرة دخلت أساور زيب النساء بشكل مريح وأنيق فى معصمها . أما اليوم فقليل الحركة يجعلها تنزلق بسهولة الى كوعها . وبدأت وكأن جذوة شبابها التى كانت تشع خلف رموشها الطويلة السميقة قد تحولت إلى رماد بارد وبدأ هذا الرماد وكأنه يتطاير على وجهها مع كل طرفة عين .

لقد وقع مولوى أبول فى دوامة الحياة . كانت تلك هى الأيام التى بدأ يناديه بها الناس مولوى أبول بدلاً من أبى البركات وهو اسمه الكامل . لم يكن الزمن لطيفاً معه . أصبح الشعر حول صدغيه أبيض فظياً . وأصبحت أسنانه

و لثته ضعيفة واهية . أصاب الوهن أسنانه التى لم تعد قادرة على البقاء فى لثته وذلك منذ أمد بعيد . ولكن صوته الرنان بقى على حاله . وعلى أية حال ففى بعض الأحيان كان صوته أيضا يرتجف وكان ذلك مدعاة دهشة كبار السن فى القرية الذين طالما وقفوا خلفه ليؤمهم فى الصلاة .

كان شودرى فتح داد هو الوحيد الذى عرف السبب . حيث إن مولوى أبول فتح قلبه مرة له وصارحه عن شريك الحياة المناسب من أجل مهرون . لقد أخذ شودرى بعين الاعتبار أهلية وجدارة جميع الشباب فى القرية . كان يجد بعضهم مناسباً ، لكن المشكلة هى أن كل من فى المجتمع عرف مولوى أبول جيداً . لقد عرفوا أن مولوى قد كبر ونشأ على تناول كسرات الخبز المجففة . وكان لدى البنات فى مثل هذه المنازل دفناً أقل ودموعاً أكثر . ولم يكن سرّاً أن العشرين روبية التى حصل عليها مولوى أبول فى العيدين لم تستطع أن تؤمن له حتى القبعات والأحذية لأطفاله التسعة إذا تجاوزنا مهر مهرون . لقد حاول شودرى فتح داد أن يتفاوض مع زوج من المسنين ولكنهم جميعاً رجعوا الى الوراء وكان النحل قد قفز فجأة من سلة من الزهور .

كان أقصى ما يدعو ويصلى من أجله مولوى أبول وزيب النساء هو الفاكهة . أما خدایار فهو شاب من القرية ، سافر وعند عودته فتح محلاً تجارياً صغيراً للأقمشة . لقد عاد يحمل اسماً جديداً ، فهو الآن يدعو نفسه شميم أحمد .

إنه الابن الوحيد لحافظ . بعد موت والده ، حاول خدایار أن يحذو حذو والده . ولكن بعد ذلك بفترة وجيزة عندما أصبح فى السادسة عشرة من عمره تقريباً فر هارباً إلى المدينة تاركاً وراءه والدته المسنة . بعد ذلك علموا أنه عمل فى منزل رئيس المحاسبين ومن ثم فقد استطاع أن يفتح دكاناً صغيراً على ممر للمشاة وبدأ فى بيع الأقمشة . وبعد أن ادخر بعض المال وكسب بعض الخبرة فى التجارة ، غير اسمه فأصبح شميم أحمد ثم عاد إلى القرية . كما رجاى مولوى أبول أن يفتح دكانه ويباركه وذلك بأن يكون أول زبائنه .

وفى ذلك اليوم ، ولئلا يخيب أمل صديقه السابق ووالدته العجوز ، فقد اتخذ مولوى أبول قراراً هاماً . مضى إلى زوجته قائلاً : " يا أم عارف ، إن شميم أحمد يريد منى أن افتتح دكانه وذلك بأن أكون أول زبون له . إن كنت توافقين،

دعينا نشترى قطعة من القماش لبدلة مهرون . على أية حال فإننا سنحتاج اليها من أجل جهازها . إن شرائي بحضور أهالى القرية كلهم قد يؤثر عليهم . وعلاوة على ذلك فإن شميم هو صديقى القديم ولا أستطيع أن أخيب أمله ، كما أنه الابن الوحيد لحافظ عبد الرحيم رحمه الله ووهب روحه السكينة " . هنا توقف مولوى أبول ، ورفع رأسه نحو السماء وقال هامساً: يا الله ، أشعر أن الله القوى العزيز قد أحضره الى القرية من أجل مهرون . إن نزوله هاهنا قد يكون من أجلها فقط وعند سماع هذه العبارات المنعشة تحول رماد عينيها فجأة إلى جذوة متقدة " .

" أرجو الله أن يباركك " قالت من غير تفكير وأخرجت فوراً مفتاحاً معلقاً بخيط حول رقبتها مخبأ تحت قميصها الفضفاض الطويل ثم فتحت صندوق الثياب وأخرجت منه علبة من القصدير ووضعتها أمام زوجها .

عندما فتحت العلبة أصبحت عيناها فجأة متألقة مشرقة تترقق فيها الدموع دون أن تنهمر . وفى ذلك الوقت دخلت مهرون . وعند رؤيتها ، طلبت منها زيب النساء أن تذهب لتلتقط كسرات الخبز التى كانت تجفف بالشمس . ولبرهة ،

نظرت مهرون بدهشة من هذا الأمر . ثم استدارت وهى
تبتسم وكأنها كانت تفكر . أننى أعرف سر استعداد أبى
لافتتاح دكان شميم أحمد .

بينما كان يراقب مشيتها الرشيقه ، شرع مولوى أبول
يحصى مدخراته . لقد كانت ٤٣ روبية . وهكذا وضع النقود
فى جيبه ووقف ببطء قائلاً : " صلى يا أم عارف . فلو
استطاعت مهرون الزواج بطريقة ما ، فإن كل قلقى وحيرتى
سيتبددان . سأشعر حينئذ إننى خفيف كالريشة ، لبضع سنوات
قادمة على الأقل .

عندما وصل مولوى أبول الى دكان شميم أحمد الجديد ،
وجد حشداً من الناس المتفرجين وقد تجمعوا هناك لمشاهدة
الافتتاح . وكان معظم المتفرجين من النساء اللاتي دفعهن
حب الاستطلاع للإبطاء فى مشيتهن لمشاهدة العرض الملون
بشوق شديد . افتتح مولوى أبول الدكان بتلاوة آيات القرآن
الكريم بصوته الجمهورى القوى . بعد ذلك ، قام باختيار
قطعة من القماش القرنفلى اللون ذى الأزهار الجميلة وسط
نقاط صفراء اللون .

" سوف أحتاج لقطعة من القماش من أجل فستان شابة صغيرة . قال ذلك بصوت مرتفع " .

التقط شميم أحمد عصاه مبتهجاً وقال بصوت منخفض " باسم الله " ثم قاس سبعة أمتار وأمسك بالمقص وهو يكرر نفس الكلمات المقدسة ثم قص القماش . بعد ذلك ، قام بطيها بطريقة مرتبة ووضعها أمام مولوى أبول بكل احترام . وقد بدا وكأنه يقدمها هدية له .

" كم أدفع ثمنها ؟ " سأل مولوى أبول وهو يضع يده فى جيبه . تردد شميم أحمد خارجاً عن الاحترام لحظة ثم مسح كفيه وتحنح مجيباً : " ست روبيات للمتر الواحدة ، فيكون المجموع ٤٢ روبية يا سيدى " .

وقعت كلماته موقع القذيفة على مولوى أبول . وفجأة شعر وكأن القماش يتساقط فوق رأسه من الرفوف المختلفة لفة . وراء لفة . فشعر بالدوار وأخرج يده من جيبه التى كانت تحتوى كل مدخراته . ثم احتفظ بروبية واحدة ودفـع الباقي بسرعة لشميم أحمد .

"شكراً يا سيدى" ، قال شميم ووجهه يحمر خجلاً لفرط سعادته . "إنك أصبحت زبونی الأول وإنی أعتبر ذلك فال خير . ولهذا السبب فأنا لم أقدم لك أى تنازل اليوم ، ولكنى خادمك المتواضع يا سيدى ، وبإذن الله سأعوضك قريباً بطريقة أخرى" .

وضع مولوى أبول لفة القماش تحت ذراعه ونهض من مكانه كي يغادر الدكان . تمنى من الأعماق أن يضيف : " إن الله سيعوضك يا شميم أحمد . وإن كنت بعنتى قماشاً فأنى أيضاً حاولت أن أبيع ابنتى . ولكن بعد فترة وجيزة خمد إحساسه الأليم بفقدان كل مدخراته ، فابتسم وبارك شميم أحمد وأخذ يمشى ببطء نحو المنزل .

فى إحدى الأمسيات ، بعد بضعة أيام ، طرّق أحدهم الباب . وكانت عادة النقرة البسيطة على الباب تعنى أن أحد المحسنين قد أتى بالأرز المطبوخ أو طبق الحلوى . ولهذا السبب كان الأطفال بمجرد سماعهم الطريقة يهرعون إلى الباب بفرح شديد . ولكن الله وحده يعلم لماذا أمرهم مولوى أبول أن يتوقفوا . لقد ذهب إلى الباب بنفسه وفتحه . فتدفقت موجة من العطر داخل المنزل .

" السلام عليكم ، يا سيدى المحترم " . لقد سمع صوتاً مألوفاً . إنه صوت شميم أحمد . وبعد تبادل التحيات التمهيدية، قال شميم أحمد ببعض التردد :

" إن هذه ساعة غير مناسبة ، إنى أعلم هذا ، وأعتذر لذلك ، ولكننى أتيت ولى طلب خاص يا سيدى " .

وقعت هذه العبارات البسيطة موقع الموسيقى على أننى مولوى أبول حيث شعر برعشة وخطرت له خاطرة . وبدلاً من الإصغاء لطلب شميم أحمد على عتبه حيث يمكنه أن يفعل ذلك فى مكان آخر على انفراد . لذا استدار وصرخ يا أم عارف ، إنى خارج وسأعود قريباً . وهكذا سار نحو المسجد ، بينما تبعه شميم أحمد دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

لقد ذهبوا إلى مكان يقع فى إحدى نهايات المسجد ولكن بعض المصلين كانوا هناك ، حيث أشعلوا النار وجلسوا حولها يتدفأون . وكان أحدهم يروى قصة حول عدالة الخليفة هارون الرشيد ، بينما كان الآخرون يصغون إليه بانتباه شديد . لذا فقد ذهب كل من مولوى أبول وشميم أحمد إلى زاوية

أخرى من المسجد . كانت تلك الزاوية معتمة وتستخدم عادة لأداء الصلاة فى عزلة تامة .

دخل مولوى أبول هذه الزاوية من المسجد تاركاً وراءه شميم أحمد . وهناك ، أشعل بعود النقاب غصناً . جافاً أنار به لمبة خرفية . أضاعت الشعلة بشكل متقطع لفترة وجيزة ثم أصبحت ثابتة بعد ذلك . وفى هذا النور لاحظ مولوى أن شميم أحمد لم يحلق نقه منذ عدة أيام ، وبدا كأنه يربى لحيته . والآن بدأ ينظر بتوتر الى السنة اللهب المتقطعة .

ولكى يشعره بالارتياح ، قال مولوى أبول بلطف : " ما هذا يا بنى ؟ " . أغمض شميم أحمد عينيه وتردد لحظة ثم أجاب : " لو أنك تسمح لى يا سيدى ، سوف أبدأ " .

" نعم بالطبع يا بنى . ما هذا ؟ " ثم ربت على ظهره كى يشجعه . شعر شميم بالارتياح ، لكنه لم يستطع التغلب على الإحساس بالحرج . فبدأ يمسح يديه لكسب الوقت . وأخيراً جمع شجاعته وهياً نفسه فبلع ريقه وشرع يقول بصوت منخفض : " الحقيقة أنه كان على والدتى أن تفعل ذلك ولكنها مريضة تعاني من مشكلة فى القلب ، وقد أتيت لهذا السبب "

. ثم توقف عن الكلام . لقد أحسنت صنعاً ، قال مولوى أبول
بحنان .

" إن طلبى هو .. أعنى يا سيدى .. أرجو أن تقبلنى عبداً
لك أعنى ! " ثم توقف فجأة وتلعثم فى كلامه . لقد
استخدم حتى الآن العبارات التقليدية . ولكن الحرج قد غلب
عليه بعد ذلك .

لم يستطع مولوى أبول أن يصدق ما سمعه ، ولكى يتأكد
من ذلك سأله ما الأمر يا بنى ؟ . إننى لا أفهمك تماماً .
تريدنى أن أقبلك ... ؟ "

" نعم يا سيدى ، عبداً لك . قال ذلك شميم أحمد بسرعة
دون تفكير ، أعنى .. إن لم يكن لديك مانع فإننى سأبعث
والدتى بطلب الزواج ، سيكون شرف لى يا سيدى أن أصبح
ابنك .. أعنى ... فكر شميم أحمد وقال لنفسه يا للخيبة ما
أصعب ذلك .

ولفرط سعادته وخوفه وارتبأكه فإنه لم ير الدموع التى
انحدرت بصمت على خدى مولوى أبول والتى امتصتها

لحيته. فى ذلك الصمت توقف الزمن تقريباً بالنسبة لكليهما .
وبدا أنهما قد شعرا بالدوار .

تتهد مولوى أبول ومسح دموعه من عيونه ووجهه بطرف
عمامته المتدلّية . ثم قال بصوت مرتجف : يا إلهى إن البنات
مخلوقات بئسة صامّة لا حول لها ولا قوة ، وأنت القوى
العزیز .. وأمسك بيد شميم أحمد وأضاف قائلاً : " إنهن
للزواج يا شميم أحمد فلم لا أعطيك ابنتى للزواج أيضاً . أنت
ابن صديقى العزیز وإن ابن أخى حافظ عبد الرحيم هو ابنى
أيضاً . تعال يا بنى . وهكذا عانق شميم أحمد بحرارة .

بعد نصف ساعة ، عندما وصل المنزل ، سألته زيب
النساء: " من أين أتيت بهذه الرائحة العطرة ؟ " فنظرت
مهرون إلى أعلى وكانت قد فرغت من خبز آخر رغيف
لتوها قبل أن يجيب والدها حيث قالت : " نعم يا أبى ، ياله
من عطر رائع ، إن رائحته تفوح فى جميع أنحاء المنزل " .

عند رؤيته صامتاً ، ذهبت إليه زوجته وقالت له : ما
الأمر؟ استفسرت بطريقتها الرقيقة . فنظر مولوى أبول نحو
ابنته الكبرى أولاً وبعد ذلك نظر نحو ذلك الصف من
الأطفال الذين ظهروا أمامه معاً والله يعلم من أين جاءوا .

لقد تجمعوا حول أختهم متسائلين مستطلعين ولكنهم مستعدون للتراجع لو وجدوا مزاج والدهم لا يسمح لهم بالبقاء . ونظروا بياس لأنه عاد دون أن يحمل شيئاً بيديه . كان يجب إسعادهم قبل كل شيء ، لذا صرح ببطء : " إن جميع أطفالى سيحصلون على طعام خاص هذه الليلة ، وهو قليل من السكر مع الخبز". كان لذلك أثر بليغ على الأطفال حيث أشرقت وجوههم وابتهجت فى الحال . بعد ذلك ذهب إلى زاوية أخرى من فناء المنزل وجلس على سرير وثير .

" تعالى هنا يا أم عارف " ، بدا فرحاً سعيداً نادى زوجته . ثم أخبرها ما حدث بالتفصيل . وفى البداية لم تصدقه زيب النساء ، لكنه عندما أقسم وكرر نفس القصة بدأت تبكى . لم يكن هناك أى نحيب بل مجرد فيض من الدموع انهمرت على خديها كساقية لا تتقطع . " لا تبكى يا زيبون " قال لها بحنان إنه قلما يخاطبها بهذه اللهجة ، ولكن هذا اليوم هو يوم خاص " لقد استجاب الله لدعائنا . وعلينا أن نطأطئ رؤوسنا إجلالاً له " .

كانوا لا يزالون ضائعين فى سعادتهم الجديدة عندما سمعوا فجأة الباب يطرق ثانية ، وقبل أن يهرع أى من

الأطفال ليفتح الباب ، رفع مولوى أبول صوته قائلاً : " انتظر . دعنى أرى من الطارق " . ثم ذهب الى الباب وفتحه . كان شودرى فتح داد يقف هناك وقد لف نفسه بالشال ، وبعد ذلك أمسك بيدى مولوى أبول بحرارة وعانقه قائلاً بصوته المنخفض : " تهانينا يا سيدى . أخيراً أثمرت جهودى".

" نعم يا شودرى العزيز إننى ممتن لك وأعترف بالجميل لله القوى العزيز " .

" إن شميم شاب طيب يا سيدى وأرجوك أن تأخذ قراراً دون تأخير ، فمن يدري ماذا يمكن أن يحدث . " قال ذلك وأخرج حقيبة قطنية من تحت شاله وقدمها لمولوى أبول . " إن هذه هدية متواضعة أرجو أن تعطيها لابنتى بالنيابة عنى".

عاد مولوى أبول الى زوجته وهو يشعر بالامتنان وبعض الدوار ثم فتح الحقيبة وهو يكاد يسمع ضربات قلبه . وقد ربطت الهدية بمنديل حريرى وهى عبارة عن طقم مكون من

قلادتين ذهبيتين مزينتين بحجرين كبيرين لامعين ، وقد لفا
فى ورقة نقدية من فئة المائة روبية .

بعد بضع أيام ، بدأت الاحتفالات التى تقام عادة قبل
الزواج ووضعت العروسة المنتظرة "مهرون" فى عزلة فى
غرفة مستقلة حتى اليوم الميمون . وقد غطيت يديها وقدميها
بالحناء . أما الأغاني الخليعة التى ترافق عادة احتفالات
الأفراح فلم يغنها أحد ذلك لأن هذا هو بيت مولوى أبو
البركات وهكذا جلست بنات القرية فى دائرة حول العروس
الخبول . كما غنت الفتيات أغاني الحب والصدقة والزهور
وعطرها والموسم الشاعرى الممطر الذى يتمتع بمغزى
خاص بالنسبة لشباب وشابات الريف فى البنجاب . كما غنوا
الأغاني الحلوة حول روعة اللقاء ولوعة الفراق .

من ناحية أخرى ، لم يستطع أحد أن يمنع شميم أحمد من
الاحتفال بزواجه بالطريقة التى يرغبها . وهكذا فقد جاء
ليتزوج مهرون وسط الألعاب النارية والموسميين الذين
عزفوا الألحان المرححة الجميلة فى تلك الليلة ، بعد الكثير من
الهمس فى إحدى زوايا المنزل ، فتحت صناديق عديدة بعد
جرها إلى الخارج .

وفى صباح اليوم التالى عندما عرض جهاز العروس فى
ساحة الدار ، دهش كل من فى القرية بما رأوه . لم يتأثر
هؤلاء الناس كثيرا بالأقمشة الملونة لأن ذلك كان عاديا
بالنسبة لهم ، ولكنها المجوهرات التى خلبت لبهم والتى كانت
لا تصدق . واعتقد البعض سرا أن مولوى كان عنده تعويذة
خاصة ذات ستر تغدق عليه النعم وتمكنه من الحصول على
أى مبلغ من المال يريد من الملائكة .

وكان فى الحشد أيضا عجوز شمطاء ذات صوت
مرتفع،وبدا أن لها آراء أخرى ، حيث أشارت بهمسة مرتفعة
الى أن العديد من الفساتين فى جهاز العروس ، كان لامرأة
أخرى توفيت وهى فى ريعان شبابها . وهناك أشياء أخرى
هى جزء من جهاز زيبون . حتى الأساور وخاتم الأنف
الذهبيتين فهى أيضا لها . قالت بقناعة . ولكن القلادتين
الذهبتين ؟ رفعت عيناها ونظرت نحو السماء وكأنهما كانتا
هدية من هناك .

بعد انتهاء احتفالات الزواج ، كان على مهرون أن تجلس
فى المحفة المزينة الجميلة ، فقد كانت مغطاة بقطعة قماش
حريرية كبيرة وذلك لكى تذهب العروس إلى منزل العريس

فى البردة التى تحجبها تماما . وعندما حملها قرويان قويان
وسارا بها ، مشى مولوى أبول معها بضع خطوات ، لابد
أنه قد بكى بصمت بسبب احمرار عينيه وأنفه كما بدا عليه
الشحوب . وفى نفس الوقت بدا هادئا مطمئنا . عندما رجع
إلى منزله ، ظهرت زييون فجأة من وراء الباب ، حيث
أمسكت بيده وانفجرت بالبكاء . " لا تكونى سخيفة يا زييون
. هل أخذت مهرون زبدا معها أيضا ؟ وماذا عن شمسون ؟
" وفجأة تذكر شيئا . " يا أم عارف أين زبدا ؟ " سألها هامسا
. فأجابته : " إنها فى الداخل تبكى " فنادى مولوى أبول : "
يا زبدا .

بعد بضعة دقائق خرجت زبدا من الغرفة وقد بدت
حزينة . كانت هناك بقع كبيرة مبللة من الدموع على غطاء
رأسها الوردى اللون . وعندما حدق بابنته الثانية فأنه يعلم ما
الذى رآه مولوى أبول فيها . لقد اختفت ابتسامته فجأة وبدا
عليه الذهول بسبب صدمة ظهرت على وجهه . ثم أمسك بيد
زوجته وجرها بطريقة تخلو من البراعة إلى زاوية أخرى
من ساحة الدار مما أذهل الأطفال الذين ظهروا أمامه توا .

" يا أم عارف هل لاحظت ؟ " قال هامسا ، " إن ابنتنا قد
نضجت فجأة فهي أيضا جاهزة للزواج . وبدا له كان هذه
المراهقة قد نضجت سرا ، كما يحدث للبراعم البرية . لقد
أصبحت زهرة جذابة مخبأة خلف مهرورون وقد أصبحت الآن
متفتحة تماما .

ولفترة وجيزة ساد الصمت التام ، ثم تنحنح مولوى أبول
وقال ، ربما ليؤكد لنفسه أكثر من تأكيده لزوجته : " لا تقلقى
يا أم عارف ، إن الله القوى العزيز لطيف كريم وإنه لإثم أن
نفقد إيماننا بالله عز وجل " .

عند ذلك أدركت زيب النساء أن زوجها كان لا يزال
يمسك بيدها ، وأن الأطفال كانوا يرقبون بصمت . ثم سحبت
يدها وقالت : أستحلفك بالله ، فهم جميعا يراقبوننا .

دون أن يعي ما يحيط به . كان مولوى أبول يفكر فى
مكان آخر . وكأنه مغشى عليه ، أخذ ينادى شمسون .
تقدمت ابنته الثالثة ببطء وأخذت تمشى باتجاههم . وما رآه
فيها لأول مرة جعله يشعر بالدوار . إن هذه الفتاة أيضا قد
كبرت بينما ضاع والداها بمشاكلهما . إنها تتمتع برشاقة

وتناسق الغزال . إنه الزمن القاسى الذى لا يرحم الذى حوله
من برعم صغير خجول إلى زهرة متفتحة عطرة .

ثعر مولوى أبول بكتلة كبيرة فى حلقه ، شعر بالفراغ
وببعض المرض والكآبة . ثم نظر إلى أسفل قائلاً : " لا بأس
يمكنك الذهاب الآن "

بعد ذلك استدار نحو الباب الأمامى وكأنه كان على عجلة
من أمره كى يفر هارباً من هذا المسكن حيث كانت البنات
فيه تستعد للزواج فى مثل هذه السرعة المنذرة . نظرت
شمسون إلى تصرف والدها غير المعتاد بدهشة . أما والدتها
فقد استمرت تذرف دموعها الصامتة .

توقف مولوى أبول خارج المنزل برهة وهو غارق فى
أفكاره . وكان الزقاق مهجوراً وقد بدا كل شئ هادئاً بشكل
غير طبيعى بعد ضوضاء حفل الزواج . فالتقط نفسا عميقاً
وأخذ يمشى باتجاه الجامع بخطى حزينة كئيبة . بعد زواج
مهرتون ببضعة شهور . افتتحت مدرسة ابتدائية للبنات فى
القرية . وهكذا تناقص عدد البنات اللاتى كن يأخذن دروس
اللغة العربية من زيب النساء بشكل ملحوظ . وقد غزت

موجة التحديث القرية ، وكانت إحدى النتائج الهامة لذلك هي تناقص عدد الذين يأتون للصلاة بالمسجد .

فى كل هذه السنين ، كان لدى مولوى أبول مصدران أساسيان للإلهام كان له إيمان مطلق بهما ، كان المصدر الأول هو الله القوى العزيز وبعده شودرى فتح داد .

إنه حتما الكرم الإلهى الذى يطيل عمر الخطائين مثل مولوى أبول وزيب النساء ويحمى جميع أطفالهم ويدعمهم يعيشون بينما تتزوج مهرون فى مثل هذه الأبهة لدرجة أن عروض الزواج التى لا تنتهى من أجل زيدا وشمسون كانت تنصب عليهما صبا . لكن دأبه الشديد فى البحث عن الزواج المناسب لمهرون لم يكن موجودا فى حالة الفتيات الأخريات.

لم تستطع زييون أن تفهم موقفه أبدا . وكان يقول لها كلما تذمرت : " لا تقلقى . لابد وأن يأتينا شئ . لقد دعوت الله من أجل شباب مناسبين " .

كان بعد كل صلاة يفكر عادة فى شودرى فتح داد . كم أنه كان محسنا وحنونا . ولكن شودرى قد مرض خلال

الأيام القليلة الماضية . وظهرت دمامل كبيرة قرب الفقرة .
وقد عالجه حلاق القرية الذى كان يعتبر جراحا ماهرا أيضا.

أخيرا ، فى أحد الأيام أجريت له عملية . ولكن فى ذلك
المساء ساءت حالة شودرى فتح داد . حيث ارتفعت حرارته
بشكل ينذر بالخطر ، لذا فقد استدعوا مجموعة من أحسن
الأطباء من جميع أنحاء المنطقة .

لقد كانت أياما عصيبة بالنسبة لمولوى أبول وعائلته ، فقد
كانوا جميعا تعساء صامتين . فى مثل هذه اللحظات العصيبة
من الكآبة كان الأطفال الأصغر سنا كلما لعبوا ألعابا تثير
ضجيجا فى ساحة الدار أو مع باقى أطفال الحي .

كان مولوى أبول يصرخ قائلا : اصمتوا أيها الشياطون
التافهون ، بينما يرقد سيدى شودرى هناك فى حالة خطيرة
فإنكم تضحكون وتلعبون هنا ؟ يا لكم من تعساء لا تعترفون
بالجميل ، حمدا لله أن شودرى فتح داد كان هنا . لو أنه لم
يأت لنجدتنا لمات نصفنا جوعا . أدعو الله أن يشفيه بسرعة
أيها الناكرون للجميل.

أخذ مولوى أبول يزور شودرى كل صباح ومساء كى يستعلم عن صحته . ولكنه لم يستطع أن يتحدث عن شؤونه العائلية بحضور حشد كبير من الزائرين . عند رؤية مولوى أبول فإن شودرى فتح داد يحاول يائسا أن ينهض على ساعديه لكنه بشئ من الألم يرجع إلى الورااء ووجهه إلى أسفل . بعد ذلك فإنه يهمس قائلا : صل وادع لى يا سيدى العزيز .

أما مولوى أبول فإنه يرفع يديه نحو السماء والدموع فى عينيه كى يواسيه . فى أحد الأيام ، عندما ذهب مع أبنائه لزيارة شودرى ، وجدده وحيدا مع أحد أبنائه . وكان يبدو أحسن حالا فى ذلك اليوم حتى أنه ابتسم قليلا . لقد صافح مولوى أبول وطلب من ابنه أن يتركهما كى يتحدثا على انفراد. بعد ذلك سأله : " كيف حال الفتيات يا سيدى ؟ " . " إنهن بخير والحمد لله ، وهن يواظبن على الدعاء لك بالشفاء العاجل " . أجاب مولوى أبول .

" وماذا عن خطابهن ؟ سمعت أن العديد منهم أتى . " نعم هناك الكثير . " فسأله شودرى فتح داد وهو يحدق باستمرار فى وجه مولوى : " هل اخترت أحدا منهم ؟ " إن حملته

تلك جعلت مولوى يشعر بعدم الارتياح ، حيث حاول أن يفتح ثغرة ولكنه خاب أمله ووجد أن ليس لديه ما يقوله . وفى النهاية استطاع أن يقول : " كيف يمكننى أن أختار أحدهم ؟ إن الله سبحانه هو الذى يفعل ذلك " . " من يستطيع أن يأخذ قرارات تتعلق بالخطبة من أجل الزواج ، يا سيدى فتح داد ، فى منزل فارغ لا يمكن أن تجد فيه حتى أكل القوت ؟ " وساد الصمت برهة ، ثم قال شودرى فتح داد بأسف : " هل أنا ميت يا سيدى ؟ " فقاطعه مولوى أبول قائلاً : " لا سمح الله يا سيدى شودرى . إن شاء الله تشفى بسرعة ويمنحك الله طول العمر . وعندما تشفى تماماً فإننا سوف نختار هؤلاء الشبان معاً " .

" نعم يا سيدى سنفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن عليك أن تبأشر ذلك ، حيث يجب أن تدرس طلبات الزواج دون إبطاء . فإن كان هناك فتاة فى عمر الزواج فى المنزل فإن الأيام تصبح قروناً . لا تقلق فإن الله سبحانه سيدبر كل شئ . والآن أخبرنى يا سيدى هل تحصل على المعونة بانتظام " نعم . أجاب أبول . ومرة ثانية ساد صمت كل منهما ، ثم سأل شودرى عن أحوال مهرون ، وعندما علم بأن حمااتها

تسئ معاملتها وتعيرها بفقرها ، قال : " لا تقلق . عندما ترزق ابنتنا بمولود ابعث الأقمشة الحريرية والقبعات الذهبية والأساور الجميلة وارفقها بأجراس ذهبية صغيرة . بعد ذلك سترى كيف ترتفع مكانة مهرون ألت على حق يا سيدى؟".

" إنك على حق يا سيدى شودرى . " قال مولوى أبول لنفسه . " ولكن هل فكرت من سيقوم بتقديم هذه الهدايا القيمة؟ " بعد نصف ساعة عاد الى منزله " يا أم عارف أين أنت ؟ " شرع يناديها من عتبة الدار .

فوجئت زيب النساء بسماع صوته المبتهج . فهرعت إليه بقلق .

" بارك الله فى الجميع . كيف حال سيدى شودرى ؟ " سألته .

إنه أحسن حالا . ولكن أخبرينى يا أم عارف ، كيف حال مهرون ؟ هل هى تتوقع طفلا حقيقة ؟ ومتى سيكون ذلك ؟ وفى هذه الحال من الابتهاج والتأثر أخذ يسأل كل أنواع الأسئلة.

" آه بالله عليك كن صبورا . أجابته زوجته ثم أعطته كل التفاصيل وهي تهمس همسا .

في ذلك المساء ارتدت زيب النساء حجابها وبرفقة عارف ذهبت لزيارة مهرون . عادت متأخرة في الليل وأبلغت مولوى أبول أن ابنتهما كانت تعاني من ألم شديد . بعد ذلك بليلتين طرقت بابهم الداية فأيقظت بذلك كل من في المنزل لتخبرهم أن مهرون قد رزقت غلاما .

لم يستطع مولوى أن ينام في تلك الليلة حتى الصباح ، حيث أيقظ زيبون وسألها : " ماذا يحدث الآن ؟ " " كيف حال شودرى ؟ " أجابته بسؤال آخر " إن الله سيرحم " أجاب مولوى أبول " هل يمكننا أن نبعث على الأقل ثوبا من الحرير لحفيدنا ؟ سألته بعد أن صمتت برهة .

" هل جننت ؟ ليس لدى حتى الكفن لأقدمه له " .

" لا سمح الله . وإليه المصير " . لمست أذنيها ثم بدأت تدعو لحفيدها بالعمر المديد .

" إذا لم تبعث أى شئ . فإن حياة ابنتى ستصبح بائسة حقيرة ولن يتقدم أحد لخطبة زيدا أو شمسون " . قالت ذلك محاولة إقناعه .

" فليبقوا حتى الكساد والتعفن ليس لدى حتى كفنا واحدا لنفسى ، بينما تطلبين ملابس حريرية للمولود . ليس لدى أى شئ إطلاقا . لا شئ البتة لأقدمه لأحد " . قال ذلك وكأنه يردد وي زمجر حتى غادر المنزل .

لقد ذهب إلى المسجد مباشرة وبدأ ينلو صلاة ما بعد منتصف الليل . بعد ذلك وعندما ارتدت السماء لون الفجر اللؤلؤى الرمادى دعا المؤمنین لصلاة الصبح مع الأذان ثم شرع يتلو القرآن الكريم .

عندما عاد للمنزل بعد أداء الصلاة رأى زييون تجلس على سريرها وهى تحملق فى الجدار . كانت عيناها مغمضتين وبدت شاحبة مرهقة .

وكانت زيدا وشمسون نائمتين بجانبها وكانهما ربطتان ، وكشخص مذنب مشى على أطراف أصابعه إلى سريريه وجلس هناك صامتا وكأنه صورة لا حياة فيها .

بعد قليل أخذ نفسا عميقا . وعند سماع تنهيدته الطويلة ،
استدارت ونظرت إليه . بدا حزينا ضائعا . وعندما التقت
عيونهما ، ابتسم بحزن وأشار إليها أن تأتي إليه ففعلت .
" أين ذهبت " سأله .

" إلى المسجد " .

" لماذا ذهبت ؟ " .

" لماذا يذهب الناس إلى المسجد ؟ " .

" أعلم ولكن هل فكرت ... ؟ " .

توقفت لأنها لم تعرف كيف تعبر عن مشاعرها .

" نعم أعلم . يجب أن أذهب إليها الآن " .. إنه قد

" صفر اليدين ؟ " .

" هذا ما كنت أفكر فيه . "

" إن كنت تستطيع أن تحصل على قرض بمبلغ عشر روبيات ... "

اتسعت عيناه من فرط الدهشة . " ليس هناك أى أحرق يعطى أبو البركات قرضا . إنهم جميعا يعرفوننى جيدا " بدا فى غاية الاكتئاب والغم لدرجة أن زيبون قد غيرت الموضوع. سألته : " كيف حال شودرى ؟ " .

أجابها : " إننى ذاهب هناك " . إذا كان أحسن حالا فإنه سيستفسر عن مهرون حتما . ربما يقوم بتقديم شئ . لا تقلقى إن الله سيبعث شيئا . وعندما قال ذلك غادر المنزل ثانية وهو يجر ساقيه المتعبتين .

لم يرجع لمدة طويلة وفى تلك الأثناء استعدت زيب النساء للخروج . وطلبت من عارف أن يستحم ويستعد لمرافقتها لمنزل أخته . وبعد ذلك بدأت فترة الانتظار التى تبعث على القلق . وبعد برهة وجيزة أصبحت مضطربة لدرجة أن أقل صوت كان يجعلها تجفل وتتنظر نحو عتبة الدار بترقب .

وبعد عدد من الساعات يعرفها الله ، فتح الباب الرئيسى بطريقة قوية ثم اندفع مولوى أبول إلى الداخل وهو يلهث .

" يا أم عارف ، يا أم عارف " صرخ بأعلى صوته .
عندما رآته فى تلك الحالة المثيرة للقلق هرعت إليه وقد تتبعها
كل من زبدا وشمسون وعارف وعمدا وأطفال آخرون . لقد
اندفعوا جميعا نحوه وكان زوبعة قد رفعتهم عاليا وبعثرتهم
فى ساحة الدار .

" تهانينا يا أم عارف " . رفع مولوى أبول صوته قائلا
بنفس اللهجة المنفعلة . " كنت تبكين من أجل ملابس حفيدك
أليس كذلك ؟ لقد دبر الله ملابس حتى قبعته . من الجنازة أنا
وائق من الحصول على عشرين روبية على الأقل . إنها
جنازة شودرى ؟ ستكون جاهزة للدفن قريبا جدا . ألم تسمعى
يا أم عارف ؟ إن شودرى فتح داد قد مات " .

وقبل أن يفرغ من كلامه بدأت زييون تضرب صدرها
بعنف شديد لدرجة أن الأطفال شعروا بالرعب وأخذوا
يكون . وبعد ذلك حدث شئ مفاجئ لمولوى أبول فإن جفنيه
المقلوبين إلى أعلى قد ارتفعا أكثر وكان أحدا أمسك برقبتة
بقسوة ضاغطا عليهما .

كان هناك ذلك الهدوء المؤقت قبل ما يشبه العاصفة سمع خلاله تشيخ الأطفال ونحيبهم وبعد ذلك فقط فإن مولوى أبول الذى اعتقد أن بكاء الرجال وعويلهم إنما هو مخالف للتعاليم الإلهية وضد دستور الحياة الإسلامية . قد انفجر باكيا وأخذ ينتحب بآلم شديد . وضرب قدميه بقوة كالأطفال وركض بغضب شديد من المنزل إلى الزقاق فى الشارع .

المعطف

غلام عباس*

فى إحدى أمسيات شهر أكتوبر ، كان هناك شاب أنيق فى طريقه إلى السوق الرئيسية بعد أن قطع شارع ديفس ، لكنه عاد فغير وجهته نحو التقاطع فى منطقة تشيرنج . كان له شعر أملس لامع وشاربان ظهرا كما لو أنهما رسما بقلم رصاص . وكان يرتدى معطفا بنيا وضع فى عروته وردة بيضاء نصف متفتحة ، وقبعة خضراء مصنوعة من اللباد ، أمالها على رأسه ليزيد فى تبرجه وتظرفه . وعلى عنقه وشاح حريرى أبيض . كانت إحدى يديه منسدلة فى جيب معطفه ، بينما كان يمسك باليد الثانية عصا قصيرة مصقولة ، كان يلجأ إلى فتلها بازدهاء بين الفينة والأخرى .

كان اليوم هو أحد أيام السبت من منتصف شتاء شديد البرودة . فقد كانت الريح الزمهرير تلفح الوجوه وترتطم على الأجسام كالسيات . ، لكن صاحبنا الشاب بدا كما لو أنه لديه حصانة ضد تلك اللفحات القارسة . وهكذا ، وبينما كلن

بقية الناس يكدون فى مشيتهم التماسا لشيء من الدفء ، كان يتهادى فى سيره مستمتعا على ما يبدو بنزهته الغريبة فى ذلك الطقس البارد .

كان تأنقه الزائد يدفع سائقى عربات التونجا الذين كانوا يلمحونه ولو من بعيد إلى سوط جيادهم نحوه . لكنه كان يردهم بتلويحة من عصاه ملمحا إليهم عدم رغبته فى الركوب . كما أن إحدى سيارات الأجرة سارعت نحوه وتوقفت قربه بينما كان سائقها ينظر إليه مستفسرا ، لكنه ، هو الآخر رد على أعقابه ، مع بعض كلمات الشكر هذه المرة .

وبينما كان يقترب من الجزء الأكثر حيوية من منطقة الأسواق انتعشت نفسه وأخذ يصفر لحنا راقصا بدأ يخطو مسرعا على إيقاعه ، لكن خطواته تحولت فجأة إلى الركض ، متظاهرا أنه يهم بتمريرة كرة ، كما لو أنه يمارس لعبة الكريكت . وعند المنعطف الذى يؤدى إلى حديقة لورانس ، توقف للحظة ليقرر على ما يبدو أى طريق سيسلك .

كانت الحديقة تبدو كثيبة منفرة للنفس تحت ضوء ذاك المساء المصقع ، لذا فقد توجه مباشرة نحو تقاطع تشيرنج . وما إن وصل تمثال الملكة حتى سكن طيشه . وسحب منديلا من كم معطفه حيث كان قد وضعه وبدأ يمسح وجهه .

وعلى المرج الذى كان يقع على مقربة من التمثال ، كان بعض الأولاد الإنجليز يلعبون بكرة مطاطية كبيرة . وقف يتفرج على اللعب ، لكن الأولاد لم يلحظوه فى بداية الأمر ، وما إن شاهدوه وهو يحدق بهم شعروا بالإرباك فحملوا كرتهم وانطلقوا نحو الطرف الآخر من المرج وهم يضحكون ويتصايحون . أما صاحبنا ، فقد وقع نظره على مقعد أسمنتي على جانب الطريق ، جلس عليه بعد أن نفذ ما تراكم عليه من غبار .

وما أن حل الظلام حتى بدأت حدة البرد تتزايد . كان البرد من النوع الذى دفع الناس لالتماس الراحة والدفء بالمتعة واللهو . ففي أوقات كنتك ، لم يكن المسرفون وحدهم يتجولون خارج منازلهم ، فحتى أولئك الذين اعتادوا أن يقنعوا بالعيش فى طوق وحدتهم ، كانوا يخرجون من مخابئهم ليشاركوا فى متعة التجول فى الطرقات والاستمتاع

بدفء تقارب الأجسام . وهكذا فقد تدافع الناس نحو مركز المدينة حيث الفنادق الضخمة والمطاعم والمقاهي وغير ذلك من ضروب المتعة والتسلية . كل حسب طاقته . فأولئك الذين لا يستطيعون تحمل نفقات الاستمتاع في الداخل حسبهم أن يجولوا نواظرهم عبر الأضواء الملونة والدعايات المتألقة في الخارج . وفي الشارع الرئيسي كان هناك دفق لا ينتهي من السيارات والحافلات وعربات التونتيا والدراجات ، بينما كانت الأرصفة تعج بالمشاة.

أما الشاب الظريف الذي كان يجلس علي المقعد الأسمنتي فقد اكتفي بالتفرج علي المارة وهم يعبرون الرصيف أمامه . وكان اهتمامه ينصب علي لباسهم دون وجوههم وأشخاصهم التي كانت تمثل كل مسارات الحياة ، فمنهم التاجر والموظف والطالب والفنان والسائح والكاتب والمراسل وغيرهم . كان معظمهم يرتدون المعاطف بشتى أشكالها وأنواعها بدءا من تلك الصديرية المصنوعة من وبر الخراف المجمع الفاجر الصنع حتي تلك المعاطف الخشنة التي يجدها المرء في أكداس كبيرة في محلات الثياب المستعملة .

كان معطفه قديما ، لكنه كان حسن التفصيل والقماش .
وكانت قبته وثنية صدره مجسمة وأكمامه طويلة . أما
أزراره الكبيرة اللامعة فكانت مصنوعة من عظم القرن .
وباختصار ، فقد بدا الرجل في منتهي السرور وهو يرتدي
معطفه هذا .

وبينما هو جالس يراقب المارة ، مر صبي يبيع السجائر
وأوراق التبّول ، فاستوقفه قائلا :

هل لديك (فكة) لعشر روبيات؟

لا يا سيدي ، ولكن سأذهب لأصرفها لك .

ولكن ماذا لو لم تعد ؟

إذا كنت لا تثق بي يا سيدي ، فبإمكانك أن ترافقني .
علي أي حال ، ماذا تريد أن تشتري ؟

لا بأس .. خذ ، لقد وجدت آلة واحدة . أعطني سيجارة
من النوع الفاخر وانصرف .

أشعل سيجارته وبدأ وهو يستمتع بكل نفس فيها . وبينما كان يستمتع بتدخينه ، أحس بقطة بيضاء صغيرة ناحلة تموء وهي تلتصق بساقه . " يا لها من حيوانة صغيرة دمدم قائلا ، وهو يملس على فروها الناعم .

ولم تمض دقائق قليلة حتي هب واقفا ، ثم أنطلق يجوب شوارع منطقة الأسواق الرئيسية حتي استهوت الأضواء المتألقة لإحدى ردهات دور العرض السينمائي .

كان الفيلم قد بدأ ، وكان ثمة أشخاص يتفرجون بتثاقل علي لوحة العروض القادمة . ومن بين أولئك الأشخاص كان هناك ثلاث فتيات إنجليزيات المولد هنديات الموطن يقهقهن علي مجموعة من الصور المعلقة . اقترب الشاب منهن لكنه بقي علي بعد خطوتين منهن حسب ما تقتضيه اللياقة .

نظرت إحداهن الي الخلف وسط لكزات ونظرات الأخريات . فجأة انفجرت ضاحكة بينما دفعتها رفيقتها اللتان كانتا تحاولان ضبط نفسيهما نحو الخارج . وما هي إلا ثوان قليلة حتي كن خارج ردهة السينما . بدا الشاب غير مكترث بمغادرتهم ثم غادر هو نفسه المكان بعد قليل من التردد .

كانت الساعة قد تجاوزت الساعة . تابع من جديد جولته في قلب المدينة . كانت الألحان الموسيقية تتبعث من أحد المطاعم حيث تجمع العديد من الناس في الخارج ، عابرو سبيل ، عدد من سائقي سيارات الأجرة وعربات التونجا وعمال ومتسولون . وفي أحد الأطراف وقف عدد من بائعي الفاكهة أمام سلالهم الفارغة يستمتعون بالألحان الشجية التي تعزفها مجموعة من الموسيقيين البارعين داخل المطعم . وبدا المتفرجون أكثر استمتاعا من أولئك الذين كانوا داخل المطعم ، فقد كانوا ينصتون بصمت رغم أن الموسيقى كانت أجنبية حديثة .

وقف الشاب بين الحشد ، وأخذ يستمع للحظات قليلة ثم تابع مسيره . وبعد دقائق قليلة وجد نفسه خارج أحد محلات بيع الأسطوانات الموسيقية الغربية الضخمة . ودون أن يتردد اتجه نحو الداخل ، حيث الكثير من الآلات والأدوات الموسيقية مرتبة علي رفوف منتشرة علي الجدران وعلي إحدى الطاولات كان هناك عدد من الأسطوانات التي تضم أحدث الأغاني ، معروضة بطريقة جذابة وملفتة للنظر . أخذ الشاب يستعرض بنظره تلك الأسطوانات ثم انتقل نظره إلى قيثارة إسبانية معلقة علي إحدى الجدران . تفحصها بعين

إنسان خبير ثم بدأ يتحدث مع نفسه حول السعر المعلق عليها .
بعد ذلك تحول نظره الي بيانو ألماني في إحدى زوايا
المحل . رفع غطاءه وعزف بعض الألحان ثم عاد فأغلقه .

اقترب أحد موظفي البيع بلباقة قائلاً :

" طاب مساؤك ، يا سيدى " " هل من خدمة؟ "

" لا شكرًا " ، أجاب الشاب بطريقة تتم عن عدم اكتراث .
لكنه بدا كما لو أنه تذكر شيئًا بشكل مفاجئ فقال : " نعم ،
هل تستطيع منحى قائمة هذا الشهر للاسطوانات الجديدة ؟ "

تناول القائمة ودسها فى جيب معطفه ثم تابع نزهته فى
السوق .

كانت المحطة التالية فى جولته عند محل لبيع الكتب
والمجلات . التقط بعض المجلات وأخذ يقلب صفحاته ، ثم
أعادها بعناية إلى مكانها . وعلى بعد أمتار قليلة ، لفت نظره
سجادة عجمية كبيرة ، كانت معلقة خارج أحد المتاجر وما
أن رآه صاحب المتجر الذى كان يرتدى ثوبا طويلا وعمامة
حريرية حتى بادره بتحية حارة .

" أريد أن أتفحص هذه السجادة " ، قال الشاب

أجاب صاحب المتجر : " بكل سرور ، يا سيدي " .

وعندما هم صاحب المتجر لإنزال السجادة ، سارع الشاب
قائلا :

" لا تكلف نفسك هذا العناء . فأنا أستطيع مشاهدتها على
هذه الحالة " ، " كم هو ثمنها ؟ " .

" ألف وأربعمائة وثلاثون روبية ، يا سيدي " ، أجاب
التاجر ببشاشة . ارتسمت علامات العبوس على وجه الشاب
، وبدا كما لو أنه يريد أن يقول بأن الثمن الذي طلبه باهظ
جدا .

سارع التاجر إلى القول : " ما عليك إلا أن تختار يا
سيدي وسوف أخفض لك السعر إلى الحد الأدنى " .

شكره الشاب ممتنا وقال : " إنها حقاً سجادة رائعة ،
سوف أجيء في وقت آخر " . ثم انطلق في مسيره من جديد .
كانت الوردة البيضاء التي كانت تزين عروة معطفه أن تقع

بعد أن انزاحت عن مكانها قليلا ، لكنه راح يحاول تثبيتها
بعد أن ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة غريبة .

هاهو الآن وقد قادتة قدماه إلى رصيف يقع بالقرب من
المحكمة العليا . لقد مضى وقت طويل وهو ينتقل من مكان
لآخر ، لكنه رغم ذلك كان لا يزال محافظا على معنوياته
العالية ، فلم ينل التعب أو الكلل منه أى نصيب .

كانت حدة الزحام فى هذه المنطقة قد بدأت تخف كثيرا ،
وبدت الأرصفة شبه خالية من المارة . وبينما كان الشاب
يحاول أن يسلى نفسه ببرم عصاه ، سقطت العصا على
الأرض فعاد ليلتقطها وهو يأسف بدهشة لإخفاقه .

وفى تلك الأثناء مر به شاب وفتاة كانا يسيران خلفه ثم
تجاوزاه . كان الشاب طويلا ومرتديا سروالا سميكاً وسترة
جلدية . أما الفتاة فكانت ترتدى ثوبا متهدلا مصنوعا من
الساتان الأبيض ومعطفا أخضر . كانت قصيرة القامة
ضخمة الحجم ، وكانت صغيرة شعرها ترتطم بمؤخرتها
المكتنزة بصورة مثيرة وهى تسير ورفيقها أمام بطل قصتنا
الشاب الذى شعر بالبهجة وهو يراقب ذلك المشهد مما دفعه

إلى متابعة السير خلفهما . وبعد فترة من الصمت سمع الشاب يهمس في أذن فتاته ، لكنها أجابته محددة : " لا " .

" لكننى أخبرتك أن الطبيب هو أحد أصدقائى ولن يعرف أحد شئ عن تلك القضية " .

" لا . قلت لك لا " .

" لن ينطوى ذلك على أى ألم " .

ظلت الفتاة صامئة دون إجابة .

" إنك تدركين كم سيكون ذلك مزعجا بالنسبة لوالديك .

" عليك أن تفكرى بشرفهما " .

" اخرس وإلا سأخرج عن شعورى " .

لم يجد الشاب حتى هذا الحين ما يمكن أن يثير اهتمامه فى كل مشاهداته فى ذلك المساء . فقد كان غارقا فى التفكير فى نفسه . لكن هذه المشاهدة الأخيرة بدت وكأنها استحوذت

تفكيره ، قد وجد نفسه أمام شخصيتين غريبتين بدتا كما لو
أنهما خرجتا من بين صفحات قصة رومانسية .

تابع اللحاق بهما محاولا الاقتراب منهما أكثر فأكثر عليه
يحظى بنظرة أكثر قربا لوجهيهما ويستمتع المزيد مما كان
يدور بينهما من حديث .

وها هما الآن يقتربان من المعبر الرئيسى قرب مكتب
البريد المركزى . وقف الشاب ورفيقته برهة ثم توجهوا نحو
شارع مكلويد . أما صاحبنا الشاب فقد توقف عن المسير ،
ربما كان يظن بأنه لو استمر فى اللحاق بهما لشعرا بأنه كان
يقوم بتتبعهما . لذا فقد فكر أنه ربما كان من الأفضل له أن
ينتظر لبعض الوقت .

وما أن قطع الشاب وفتاته بضعة أمتار بعيدا عنه حتى
أسرع الخطى كى يلحق بهما . وكاد أن يقطع منتصف
الطريق عبر الشارع عندما صدمته شاحنة بالقرميد مرت
منطلقة من خلفه مثل ريح عاصفة تاركة إياه ملقى على
الأرض ، وتابعت مسيرها بسرعة نحو شارع مكلويد . سمع
سائق الشاحنة صيحة فحاول للوهلة الأولى أن يخفف من

سرعته ، لكنه بعد أن أدرك أن شيئاً خطيراً قد حدث عاد فانطلق بشاحنته مسرعاً مستغلاً جناح الظلام ليختفى فى عتمة الليل .

صاح اثنان أو ثلاثة أشخاص من عابرى السبيل ممن شهدوا وقوع الحادث : " أوقفوه .. " " خذوا رقم سيارته ! " لكن الشاحنة كانت قد توارت عن الأنظار .

وما هى إلا لحظات قليلة حتى تجمهر بعض الناس حول المكان . وتوقف أحد شرطة المرور الذى كان يقوم بالدورية على دراجته النارية ليرى ما حدث . كان الشاب قد أصيب بجروح بالغة وكانت حالته تدعو إلى القلق . أوقف الشوطى إحدى السيارات العابرة حيث نقل بواسطة إلى إحدى المستشفيات القريبة وهو يلفظ آخر أنفاسه .

وفى قسم الإسعاف ، سارع الجراح المساعد خان واثنان من الممرضات ، شهناز وجل' الذين كانوا يناوبون فى المستشفى إلى بذل الجهود لإسعافه ، حيث مددوه على طاولة العمليات ، وكان لا يزال مرتدياً معطفه البنى وشاحه الحريرى .

كانت بقع الدم الكبيرة تغطي مساحة كبيرة من ثيابه . وقد قام أحدهم من قبيل الشفقة بوضع قبعته الخضراء على صدره أثناء نقله كي لا تضيع وهو فى الطريق إلى المستشفى .

قالت الممرضة شهنار مخاطبة زميلتها جل : " إن مظهره يدل على أنه رجل ميسور " .

" مسكين ، لقد لبس أحسن ثيابه ربما لمناسبة سعيدة ما فى هذه الليلة " أجابت جل بنبرة منخفضة .

هل أمسكوا بالسائق ؟

لا ، لقد لاذ بالفرار .

انه لأمر يبعث على الشفقة ، حقا!

وفى غرفة العمليات كان الجراح المساعد والممرضتان الذين ارتدوا كمائمات العمليات الجراحية يقومون بمحاولة يائسة لإنقاذ حياته . وكان الشاب ممددا على منصته ورائحه

الزيت المعطر القوية التي وضعت عليه فى تلك الليلة لا زالت تتبعث منه بصورة باهتة .

سارعت الممرضة بنزع ثيابه . وكان وشاحه الحريرى أول قطعة ثياب أريد نزعها . وفجأة تبادلت الممرضتان النظرات ، فلم يكن بمقدورهما التعبير بالكلمات وهما يرتديان الكمادات .

لم يكن تحت ذلك الوشاح ربطة عنق أو قميص . إذ لم يكن هناك أثر قميص . تحت ذلك المعطف البنى الأنيق كان الشاب مرتديا صديرية بالية مليئة بالثقوب التى كشفت عن قميص داخلى غير نظيف لم يكن أحسن حالا من تلك الصديرية الممزقة . وقد لجأ ذلك الشاب الى ارتداء الوشاح بطريقة أخفى من خلالها عنقه ومعظم صدره . كانت طبقات الوسخ تغطى أنحاء جسمه الذى بدا وكأنه لم يلامس الماء منذ فترة طويلة . أما الجزء العلوي من عنقه فقد بدا وكأنه نظيف وزاه . بعد ذلك ، جاء دور سرواله ، الذى ما أن وقعت عيون الممرضتين عليه حتي عادتا تتبادلان النظرات من جديد . فقد كان سرواله مربوطا بإحكام حول ركبتيه بشريط قماشى قديم ربما كان فى يوم من الأيام عبارة عن ربطة

عنق . كان دون أزرار . أما قماشه فكان مهترئاً عند
الركبتين ، لكن المعطف الذي كان يرتديه ساعد علي إخفاء
كل تلك العيوب .

كان حذاؤه قديماً ، لكنه مطلي لامع . أما بالنسبة لجواربه
فقد كانت عبارة عن فردين متنافرتين شكلاً ولونا ، علاوة
علي أنهما كانتا ممزقتين عند الكاحل .

وها هو الشاب الآن مجرد جسم هامد بلا حياة ممدد علي
الرخامة البيضاء كان وجهه قبل أن تخلع ثيابه باتجاه السقف
، لكنه أصبح متوجها نحو الجدار بينما كانت الممرضتان
تزيحان الملابس عن جسمه . لعله فعل ذلك خجلاً من هذا
التعري المزدوج للجسد والروح .

وفي داخل جيوب معطفه تم العثور علي ما يلي :

مشط أسود صغير ، مبلغ يسير من النقود ، نصف
سيجارة ، مفكرة صغيرة كتب فيها أسماء وعناوين بعض
الأشخاص إضافة إلى قائمة بأسماء الأسطوانات الحديثة
ومنشورات دعائية دفع بها إليه الموزعون خلال جولته
المسائية .

أما عصاه الصغيرة التي ربما فقدت أثناء وقوع الحادث
فلم تكن للأسف مشمولة في قائمة مقتنياته الخاصة .

الفهرس

رقم الصفحة	
٥	مقدمة
٩	نظرات حائرة
٣١	الشعر الطويل
٤١	الكاسب والخسران
٥٣	مالك البقرة
٦١	الكفن
٨١	ربة البيت
١٠٧	آدم خان ودرخانى
١٢١	مزرا صاحبان
١٣١	مومل رانو
١٣٩	عمر ماروى
١٤٧	الإهانة

١٨٥	وجاء العيد
١٩٩	غداً سيكون يوماً آخر
٢١٣	العقار المسجل
٢٣٧	الريف
٢٥٩	من مات ومن قتل
٢٨٩	عقار الغابة
٣٠٧	أحمدك يا رب
٣٤٥	المعطف

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنموية ثقافية بالدرجة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

- | | | |
|--|-------------------------------|---|
| ١- اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢- الوثنية والإسلام | ك. مادهو بانتيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣- التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقي جلال |
| ٤- كيف يتم كتابة السيناريو | انجا كاريتتكوفا | ت : أحمد الحضري |
| ٥- ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦- اتجاهات البحث اللساني | ميلكا إفييتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكي |
| ٨- مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩- التغيرات البيئية | أندروس جودى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠- خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزبى وعمر حلى |
| ١١- مختارات | فيسوفا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢- طريق الحرير | ديفيد براونيستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣- ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤- التحليل النفسى للأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥- الحركات الفنية | إيوارد لويس سميث | ت : أشرف رفيق عفيفى |
| ١٦- أثينة السوداء | مارتن برنال | ت : يشارف: أحمد عثمان |
| ١٧- مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة | جورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠- قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح |
| ٢١- خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجى | ت : ماجدة العنانى |
| ٢٢- مذكرات رجالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣- تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤- ظلال المستقبل | باتريك بارنر | ت : بكر عباس |
| ٢٥- مثوى | مولانا جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٦- دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧- التنوع البشرى الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨- رسالة فى التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩- الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانتيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢- الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤- الرواية العربية | روجر آلن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥- الأسطورة والحداثة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

- ٣٦- نظريات السرد الحديثة
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها
٣٨- نقد الحداثة
٣٩- الإغريق والحسد
٤٠- قصائد حب
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية
٤٢- عالم ماك
٤٣- اللهب المزوج
٤٤- بعد عدة أصياف
٤٥- التراث المفنور
٤٦- عشرون قصيدة حب
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)
٤٨- حضارة مصر الفرعونية
٤٩- الإسلام في البلقان
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١- مسار الرواية الإسبانية الأمريكية
٥٢- العلاج النفسي التدميمي
٥٣- الدراما والتعليم
٥٤- المفهوم الإغريقي للمسرح
٥٥- ما وراء العلم
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨- مسرحيتان
٥٩- المحبرة
٦٠- التصميم والشكل
٦١- موسوعة علم الإنسان
٦٢- لذة النص
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥- في مدح الكسل ومقالات أخرى
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية
٦٧- مختارات
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى
٦٩- العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمي
- والاس مارتن
بريجيت شيفر
ألن تودين
بيتر والكوت
آن سكستون
بيتر جران
بنجامين باربر
أوكتايفيو باث
ألدوس هكسلي
روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
بابلو نيرودا
رينيه وليك
فرانسوا نوما
هـ . ت . نوريس
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانوييا وخ. م بينياليستي
بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج .
روجسيفيتز وروجر بيل
أ . ف . ألنجاتون
ج . مايكل والتون
جون بولكنجهوم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونييث
جوهانز ايتين
شارلوت سيمور - سميث
رولان بارت
رينيه وليك
ألان وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
فرناندو بيسوا
فالنتين راسيوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أوخينيو تشانج رودريجت
داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عطف لُصد / إبراهيم فتحى / مصمود ملج
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد على
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد برادة وعثمانى الملود ويوسف الأنطكى
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الغنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمي
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢- السياسي العجوز ت . س . إليوت
٧٣- نقد استجابة القارئ جين . ب . تومكينز
٧٤- صلاح الدين والممالك في مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ رينيه ويليك
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
٧٩- شعرية التأليف بوليس أوسبنسكي
٨٠- بوشكين عند «نافورة النموع» ألكسندر بوشكين
٨١- الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
٨٢- مسرح ميغيل ميغيل دي أونامونو
٨٣- مختارات غوتفريد بن
٨٤- موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥- منصور العلاج (مسرحية) صلاح زكي أقطاي
٨٦- طول الليل جمال مير صادقي
٨٧- نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨- الابتلاء بالتغريب جلال آل أحمد
٨٩- الطريق الثالث أنتوني جيننز
٩٠- وسم السيف ميغل دي ترباتس
٩١- المسرح والتغريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢- أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
الإسباني وأمريكي المعاصر
٩٣- محدثات العولمة مايك فينرستون وسكوت لاش
٩٤- الحب الأول والصعبة صمويل بيكيت
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بويرو بايخو
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
٩٧- هوية فرنسا مج ١ فرنان برودل
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني نماذج ومقالات
٩٩- تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
١٠٠- مسطرة العولمة بول هيرست وجراهام تومبسون
١٠١- النص الروائي (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
١٠٢- السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيب
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياه عبد الوهاب المؤدب
١٠٤- أوبرا ماهوجني بروتول بريشت
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع جيرارچينيت
١٠٦- الأدب الأندلسي د. ماريا خيسوس روبيرامتي
١٠٧- صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الفانسي وناصر حلاوي
ت : مكارم الغمري
ت : محمد طارق الشرقاوي
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالي
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوي
ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
ت : إنبوار الخراط
ت : بشير السباعي
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : عبد العزيز شبيل
ت : د. أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعدي

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حماد كونجى وسكان المستنقع	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وواف	ت : سمىة رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيل الكسندر وفنابولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا بولورس أسيس جاروت	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفيلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- باريسغال	ريشارد فاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولونوى	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥- موت أرتيميو كروث
١٤٦- الورقة الحمراء
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس
١٥٠- التجربة الإغريقية
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ١
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣- غرام الفراعنة
١٥٤- مدرسة فرانكفورت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧- خسرو وشيرين
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ٢
١٥٩- الإيديولوجية
١٦٠- آلة الطبيعة
١٦١- من المسرح الإسباني
١٦٢- تاريخ الكنيسة
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥- حكايات الثعلب
١٦٦- العلاقات بين المتنبيين والطمانيين في إسرائيل
١٦٧- في عالم طاغور
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩- إبداعات أدبية
١٧٠- الطريق
١٧١- وضع حد
١٧٢- حجر الشمس
١٧٣- معنى الجمال
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧- أنطون تشيخوف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩- حكايات أيسوب
١٨٠- قصة جاويد
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢- العنف والنبوة
١٨٣- جان كوكتو على شاشة السينما
- كارلوس فوينتس
ميجيل دي ليبس
تاتكريد دورست
إنريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيولين فاتويك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكنوجى
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
اليخاندرو كاسونا وأنطونير جالا
يوجنا الأسبوى
جوردن مارشال
چان لاکوتير
أ. ن أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رابندراناث طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميفيل دليبيس
فرانك بيجو
مختارات
ولتر ت. ستيس
ايليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت ب. ليتش
وب. بيتش
رينيه چيلسون
- ت : أحمد حسان
ت : على عبدالرؤوف البمبى
ت : عبدالغفار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطابى
ت : فاطمة عبدالله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التمسانى
ت : عبدالعزيز بقوش
ت : بشير السباعى
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومى
ت : زيدان عبدالحليم زيدان
ت : صلاح عبدالعزيز محجوب
ت : بإشراف: محمد الجوهري
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصادفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم المتيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام	هانز إبنودفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزْدَجْ علوى	ت: محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	ت: بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت: سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت: محسن سيد فرجاني
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- رحلة إبراهيم بك جا	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت: محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت: محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت: أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	الوين إمري وآخرون	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخزى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج١	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألفاف حسين هالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شاراز	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهبولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقي	رامون خوتاسنديز	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فرديناند توسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢- قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيننز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جا	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طبيعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كارو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهبولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام

- ٢٢٢- فرانز كافكا
٢٢٣- العلم في مجتمع حر
٢٢٤- دمار يوغسلافيا
٢٢٥- حكاية غريق
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى
٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
٢٢٩- مازق البطل الوحيد
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر
٢٣١- اليرافيل
٢٣٢- ما بعد المعلومات
٢٣٣- فكرة الاضمحلال
٢٣٤- الإسلام في السودان
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي ج١
٢٣٦- الولاية
٢٣٧- مصر أرض الوادي
٢٣٨- العولة والتحرير
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
٢٤١- في انتظار البرابرة
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج١
٢٤٤- الغليان
٢٤٥- نساء مقاتلات
٢٤٦- مختارات قصصية
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والعدالة في مصر
٢٤٨- حقول عدن الخضراء
٢٤٩- لغة التمزق
٢٥٠- علم اجتماع العلوم
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية
٢٥٤- الفلسفة
٢٥٥- أفلاطون
٢٥٦- ديكارت
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة
٢٥٨- الفجر
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور
- رونالد جراي
بول فيرابنر
برانكا ماجاس
جابريل جارشيا ماركث
ديفيد هريت لورانس
موسى مارديا ليف بوركي
جانيت وواف
نورمان كيجان
فرانسواز جاكوب
خايمي سالوم بيدال
توم ستينر
آرثر هومان
ج. سبنسر تريمنجهام
جلال الدين مولوي رومي
ميشيل تود
روبن فيرين
الانكتاد
جيلرافر - رايوخ
كامي حافظ
ج. م كويتز
وليام إمبسون
ليفى بروفنسال
لاورا إسكييل
إليزابيتا أديس
جابريل جارشيا ماركث
والتر إرمبريست
أنطونيو جالا
دراجو شتامبوك
دومنيك فينيك
جوردن مارشال
مارجو بدران
ل. أ. سيمينوفا
ديف روينسون وجودي جروفز
ديف روينسون وجودي جروفز
ديف روينسون ، كريس جرات
وليم كلي رايت
سير أنجوس فريزر
اقلام مختلفة
- ت: نسيم مجلى
ت: السيد محمد نقادى
ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
ت: السيد عبدالظاهر السيد
ت: طاهر محمد على البربرى
ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
ت: ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
ت: أمير إبراهيم العمري
ت: مصطفى إبراهيم فهمي
ت: جمال أحمد عبدالرحمن
ت: مصطفى إبراهيم فهمي
ت: طلعت الشايب
ت: فؤاد محمد عكود
ت: إبراهيم الدسوقي شتا
ت: أحمد الطيب
ت: عنايات حسين طلعت
ت: ياسر محمد جادالله وعربي مديولى أحمد
ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
ت: صلاح عبدالعزيز محبوب
ت: ابتسام عبدالله سعيد
ت: صبرى محمد حسن عبدالنبي
ت: على عبدالرؤوف البمبى
ت: نادية جمال الدين محمد
ت: توفيق على منصور
ت: على إبراهيم على منوفى
ت: محمد طارق الشرقاوى
ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
ت: رفعت سلام
ت: ماجدة محسن أباطة
ت: بإشراف: محمد الجوهري
ت: على بدران
ت: حسن بيومي
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: محمود سيد أحمد
ت: عباده كحيلة
ت: فاروجان كازانجيان

- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٢
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود
٢٦٢- مدينة المعجزات
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة
٢٦٥- روايات مترجمة
٢٦٦- مدير المدرسة
٢٦٧- فن الرواية
٢٦٨- ديوان شمس تبريزي ج٢
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١
٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢
٢٧١- الحضارة الغربية
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر
٢٧٣- الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط
٢٧٤- السيدة باربارا
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتب مسرحيا
٢٧٦- فنون السينما
٢٧٧- الهينات: الصراع من أجل الحياة
٢٧٨- البدايات
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية
٢٨٠- من الألب الهندي الحديث والمعاصر
٢٨١- الفريوس الأعلى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية
٢٨٣- السهل يحترق
٢٨٤- هرقل مجنوننا
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامي
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٢
٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمي
٢٨٨- الفن الروائي
٢٨٩- ديوان منجوهري الدامقاني
٢٩٠- علم اللغة والترجمة
٢٩١- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١
٢٩٢- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢
٢٩٣- مقدمة للألب العربي
٢٩٤- فن الشعر
٢٩٥- سلطان الأسطورة
٢٩٦- مكبث
٢٩٧- فن النحويين اليونانية والسريانية
- جوردن مارشال
زكي نجيب محمود
إيوارد مندوتا
جون جرين
هوراس/ شلي
أوسكار وايلد وصموئيل جونسون
جلال آل أحمد
ديفيد لودج
جلال الدين الرومي
وليم جيفور بالجريف
وليم جيفور بالجريف
توماس سي. باترسون
س. س والترز
جوان آر. لوك
رومولو جلاجوس
أقلام مختلفة
فرائك جوتيران
بريان فورد
إسحق عظيموف
ف.س. سوندرز
بريم شند وآخرون
مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي
لويس ولبيرت
خوان رولفو
يوريبيندس
حسن نظامي
زين العابدين المراغي
انتوني كنج
ديفيد لودج
أبو نجم أحمد بن قوص
جودج موان
فرانشيسكو رويس رامون
فرانشيسكو رويس رامون
روجر آلان
بوالو
جوزيف كامبل
وليم شكسبير
ليونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني
- ت: بإشراف: محمد الجوهري
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت: علي يوسف علي
ت: لويس عوض
ت: لويس عوض
ت: عادل عبد المنعم سويلم
ت: ماهر البطوطي
ت: إبراهيم الدسوقي شتا
ت: صبري محمد حسن
ت: صبري محمد حسن
ت: شوقي جلال
ت: إبراهيم سلامة
ت: عنان الشهاوي
ت: محمود مكي
ت: ماهر شفيق فريد
ت: عبد القادر التمساني
ت: أحمد فوزي
ت: ظريف عبدالله
ت: طلعت الشايب
ت: سمير عبد الحميد
ت: جلال الحفناوي
ت: سمير حنا صادق
ت: علي البمبي
ت: أحمد عثمان
ت: سمير عبد الحميد
ت: محمود سلامة علاوي
ت: محمد يحيى وآخرون
ت: ماهر البطوطي
ت: محمد نور الدين عبد المنعم
ت: أحمد زكريا إبراهيم
ت: السيد عبد الظاهر
ت: السيد عبد الظاهر
ت: نخبة من المترجمين
ت: رجاء ياقوت صالح
ت: بدر الدين حب الله الديب
ت: محمد مصطفى بنوي
ت: ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تقاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة برومثيريوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء جاهين
٣٠١- أسطورة برومثيريوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندي
٣٠٢- فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: محمود عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠- يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وايم دى بويز	ت: أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت: عبدالله الجعدي
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	آف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلاغذ	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الألب الروسى فى السنوات العشر الاخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتز ياسبيفاك وكريستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كلينباور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كريستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	ت: سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس

٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر س كلارك	ت: مصطفى فهمي
٣٣٥- عصر الشك	ناثالي ساروت	ت: فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوي

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٦٥٣

المركز المصري العربي ت : ٧٧٩٥٦٠٧



وقصص أخرى من الهند



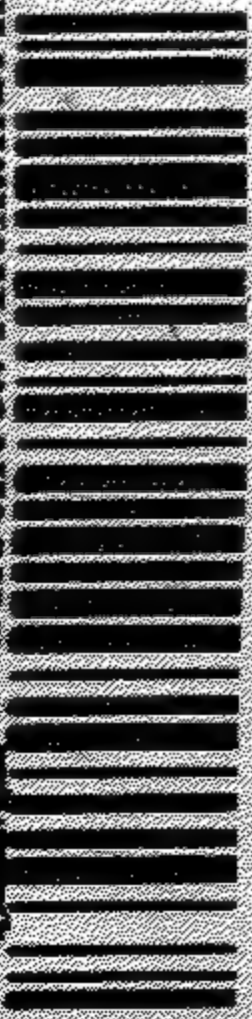
نظرات حائرة

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة مختارة ومنتقاة من القصص القصيرة التي صدرت في شبه القارة الهندية في الخمسين عاما الأخيرة . وقد راعت عند اختيار هذه القصص ان اقدم نماذج من القصص القصيرة في جميع انحاء شبه القارة الهندية بداية من أقصى شمال الهند . وتوجد نماذجها في قصص آدم خان ودرخاني ، ومزرا صاحبان ، ومومل رانو . وعمر ماروي "مرورا بمدينة دلهي حيث قدمت نماذج للقصص القصيرة في احدى قرة العين حيدر " نظرات حائرة وبريم تشاند الكفن " وجاء العيد وتعد هذه القصص قمة التضج الفني في القصص القصيرة في شبه القارة الهندية .

وسوف يرى القارى في هذه القصص تمثيلا كاملا للقوميات والأعراف الهندية المتعددة . فمثلا نجد الزرداشية ممثلة في قصة " نظرات " والهندوسية ممثلة في " الكفن " و مالك البقرة ، والاسلام ممثل " جاء العيد " .

تصميم الغلاف : سامية العبد

Bibliotheca Alexandrina



0447585

EL17.00